الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثامن

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني:

علم.. وقضاء..

قضاء علي.. وقضاء الشيخين:

روى جمع من العامة، عن مصعب بن سلام التميمي، ومن طرق الخاصة بسندهم عن الصادق «عليه السلام» وغيره، أنه قال: ثور قتل حماراً على عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، فرفع ذلك إليه، وهو في أناس من أصحابه، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أبا بكر، إقض بينهما.

فقال: يا رسول الله، بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها شيء.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: اقض بينهما.

فقال كقول أبي بكر صاحبه.

فالتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام» وقال له: يا علي، اقض بينهما.

فقال: حباً وكرامة، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور دية الحمار، وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور.

فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده إلى السماء وقال: الحمد لله

الذي منَّ على العباد بمن يقضي قضاء النبيين[١].

ونقول:

في هذه الرواية إشارات عديدة، نجملها في ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» اكتفى بقضاء أبي بكر وعمر، ولم يطلب ذلك من عثمان، ربما لأنهما هما الأساس في الخلاف على أمير المؤمنين، فإذا ظهر حالهما في القضاء، وسقط اعتبارهما فيه، لم تصل النوبة إلى الآخرين.

٢ ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد انتدب أبا بكر للقضاء أولاً، وسماه باسمه، ليظهر أنه هو المقصود في هذا الأمر، فلم يعد له مناص منه.

ثم نص على عمر، فكان الأمر كذلك.

---

(١) الأربعين لأبي الفوارس ص١٣ وينابيع المودة ص٧٦ وراجع الفصول المهمة ص٣٤ وإرشاد المفيد ص١٨٥ الفصل ٧٥ من الباب ٢، وكذا في مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٥٤ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٤٦ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٤٨ وراجع: الكافي ج٧ ص٣٥٢ وخصائص الأئمة ص٨١ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢٢٩ و الفضائل لشاذان ص١٦٧ وعوالي اللآلي ج٣ ص٦٢٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٣٥٤ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص٤٦ وغاية المرام ج٥ ص٢٥٥ وينابيع المودة ج١ ص٢٢٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٩ ص٢٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج١٩ ص١٩١ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٢١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان ص٢٠٨ .

ولم يطلب من الحاضرين أن يقضوا في القضية، بأن يقول: اقضوا في هذه القضية، فيتقدم كل واحد منهم فيدلي بدلوه، إذ قد لا يتقدم هذان الرجلان لذلك، ليصونا بذلك أنفسهما عن التعرض للمزالق..

٣ ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يعلق على قضاء أبي بكر ولا على قضاء عمر بنفي أو إثبات، إذ لو صوَّب أو خطَّأ قضاء أبي بكر، أو قضاء عمر، لاتخذ الذي يأتي بعد هذا أو ذاك منحى آخر، يفرضه عليه ما يقوله النبي «صلى الله عليه وآله». ولأجل ذلك أبقى «صلى الله عليه وآله» الأمر في دائرة الابهام والإحتمال.

٤ ـ والغريب في الأمر ذلك التعليل الذي انقدح في ذهن أبي بكر، فبنى عليه حكمه في المورد، حيث قال: «بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها من شيء..» ثم وافقه عمر على ذلك.

وكأنهما ظنا: أن المطلوب هو مجازاة البهيمة القاتلة بالقتل، أو بالسجن، أو بتغريمها ثمن البهيمة المقتولة مع أن الكلام إنما هو في تغريم صاحب البهيمة القاتلة ثمن البهيمة المقتولة لصاحبها.

والنزاع لم يكن بين الثور وأقارب الحمار.. بل كان بين صاحب الثور وصاحب الحمار، الذي يطالبه بثمن حماره، أو تهيئة مثله له.

وكان على عمر وأبي بكر أن يفهما مرجع الضمير في قوله «صلى الله عليه وآله»: اقض بينهما، وأنه يرجع إلى الرجلين، لا إلى الثور والحمار!!.

٥ ـ والأغرب من هذا وذاك هو هذه العفوية التي ساقها أبو بكر وعمر للتدليل على بداهة حكم المسألة، ووضوحه الذي لا يقاوم، والذي

يغني المتخاصمين عن الترافع، بل وعن التنازع.

٦ ـ وعلينا أن نتأمل كثيراً، ونتوقف طويلاً عند قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه وإن كان قد أعرض عن الحديث عن قضاء عمر وأبي بكر، ولكنه ذكر قضاء علي «عليه السلام» بصورة اهتز لها الطامحون والطامعون والمناوئون له من الأعماق.. حيث إنه جعل قضاءه «عليه السلام» قضاء النبيين، ليدلل على أنه «عليه السلام» هو وارثهم، والأحق بمقامهم، والقادر على مواصلة نهجهم، وتحقيق أهدافهم.

٧ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» جعل نفس وجود علي «عليه السلام» من منن الله تعالى على العباد التي لا بد أن يحمد عليها..

وهذا يشير إلى أن على العباد أن يتعاملوا مع علي «عليه السلام» بما يتوافق مع هذا العطاء الإلهي لهم..

وهو يعني: أن وجود علي «عليه السلام» له أعظم الأثر على العباد، وليس كوجود أي كان من الناس. فكيف ولماذا يقاس بغيره.

فأين الثريا من الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

٨ ـ ونعود إلى التذكير بأنه «صلى الله عليه وآله» قد جسد للناس عدم أهلية غير علي «عليه السلام» للمقامات التي يطمحون إليها، وأن وجودهم بالنسبة للعباد لا يختلف عن وجود غيرهم من سائر الناس، فقد يكون نافعاً لهم، وقد لا يكون، بل قد يكون بالغ الضرر لهم.

وجسد لهم أيضاً أهلية علي «عليه السلام» بصورة عملية في فعل علي «عليه السلام»، وفي رفع يديه «صلى الله عليه وآله» لحمد الله، والثناء عليه.

وجسده أيضاً: بالكلمة القوية التي أطلقها في حق علي «عليه السلام»، لتضمنها تصويب قضائه. والإرتفاع بهذا القضاء إلى مستوى قضاء النبيين، ثم اعتبار نفس وجود علي «عليه السلام» من المنن الإلهية التي لا بد أن يحمد على عليها.

القرعة لكل أمر مشكل:

عن حريز، عن أحدهما «عليهما السلام» قال: قضى أمير المؤمنين «عليه السلام» باليمن في قوم انهدمت عليهم دار لهم، فبقي صبيان: أحدهما مملوك، والآخر حر، فأسهم بينهما، فخرج السهم على أحدهما، فجعل المال له وأعتق الآخر(١).

ونقول:

إن القرعة لكل أمر مشكل، وهي هنا وإن كانت قد حلت مشكلة المال، فصار لأحدهما دون الآخر. لكن موضوع الرقية والعبودية لا يستخرج بالقرعة، لأن الإنسان يمكن أن يُعطى المال وأن يؤخذ منه، وقد يعطيه الإنسان لغيره، وقد يحتفظ به لنفسه. لكن ليس لأحد الحق في أن

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص١٦٣ عن الكافي، وتهذيب الأحكام، وعن الإرشاد للمفيد. والكافي ج٧ ص١٣٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٢٣٩ وج٩ ص٣٦٢ و ٣٦٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٦ ص٣١١ وج٢٧ ص٢٥٩ و (ط دار الإسلامية) ج١٧ ص٥٩٢ وج١٨ ص١٧٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص٨٥.

يتنازل عن حريته، ويجعل نفسه مملوكاً،كما أنه ليس من حق أحد أن يستعبد من جعله الله حراً، لا بواسطة القرعة، ولا بغيرها.

وإعطاء المال لمن خرجت القرعة باسمه لا يجعله حراً، ولا الطفل الآخر عبداً. ولكن احتمال أن يكون الطرف الآخر عبداً يبقى قائماً. وقد يقوى في ذهن العوام، بل في ذهن الذي أخذ المال أن الشخص الآخر عبد.

وقد حصل التخلص من هذا المحذور كان بمبادرته «عليه السلام» إلى إعتاق الطفل الآخر لإزالة أي احتمال في حقه.

حدث في الجاهلية وقضاء في الإسلام:

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: قضى علي «عليه السلام» في ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر واحد، وذلك في الجاهلية قبل أن يظهر الإسلام، فأقرع بينهم، فجعل الولد لمن (للذي ـ ئل) قرع له، وجعل عليه ثلثي الدية للآخرين.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه.

قال: وقال: ما أعلم فيها شيئاً إلا ما قضى علي «عليه السلام»(١).

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص١٦٢ عن الشيخ، وعن المفيد، والكليني مع اختلاف. وعن مناقب آل أبي طالب عن أبي داود، وابن ماجة في سننهما، وابن بطة، وابن حنبل في فضائله، وابن مردويه بطرق كثيرة عن زيد بن أرقم. والحدائق الناضرة ج٢٥ ص٢٥ ورياض المسائل ج١٠ ص٤٩٩=

ونقول:

١ ـ إن القرعة قد عينت من يأخذ الولد، ويكون له.. ويبدو أن الثلاثة قد واقعوا جارية كان يملك كل منهم ثلثها.

فأعطاه «عليه السلام» الولد وأسقط عنه حصته وهي الثلث، وضمَّنه الثلثين لرفيقيه المشاركين له في ملكية الجارية، فإن لكل واحد منهما ثلثها

= وعوائد الأيام ص٦٤٩ وجواهر الكلام ج٢٩ ص٢٦٢ ونيل الأوطار ج٧ ص٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٦٦ وغاية المرام ج٥ ص٢٥٦ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٧٨٦ وسنن أبي داود ج١ ص٥٠٦ وسنن النسائي ج٦ ص١٨٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٢٠٧ وج٣ ص١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٦٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٣٨٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٧٩ و ٤٩٦ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٣٨٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص١٧٣ ونصب الراية ج٤ ص٤٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٨٤١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٨٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٥ ص١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٠٨ و ٢٠٩ وينابيع المودة ج١ ص٢٢٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص١٥ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٤٧٥ والإستبصار للطوسي ج٣ ص٣٦٨ وتهذيب الأحكام ج٨ ص١٦٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢١ ص١٧١ و (ط دار الإسلامية) ج١٤ ص٥٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص١١٦ وج٢٥ ص٩٠.

أيضاً.

٢ ـ لعله «عليه السلام» قد أسقط الحد عنهم، لأنهم إنما فعلوا ذلك، وحملت بالولد في أيام جاهليتهم وكفرهم، ثم ولدته بعد إسلامهم.. والإسلام يجب ما قبله، فلا يقام الحد بعد الإسلام على من زنى قبل الإسلام.

٣ ـ لقد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، إعجاباً وفرحاً بقضاء علي «عليه السلام» المصيب للواقع..

القارصة والقامصة والواقصة:

روي: أن جارية حملت جارية أخرى على عاتقها عبثاً ولعباً، فجاءت جارية ثالثة، أخرى فقرصت الحاملة، فقفزت لقرصتها، فوقعت الراكبة، فاندقت عنقها وهلكت.

فقضى «عليه السلام» على القارصة بثلث الدية، وعلى القامصة بثلثها، وأسقط الثلث الباقي بقموص الراكبة لركوب الواقصة عبثاً القامصة.

وبلغ الخبر بذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأمضاه وشهد له بالصواب به[١].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٣٧ والإرشاد للمفيد ص١٠٥ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٩٦ والمقنعة ص١١٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٩ ص٢٤٠ و٢٤١ و (ط دار الإسلامية) ج١٩ ص١٧٩ =

قال التستري:

وأما ما رواه الصدوق والشيخ عن الأصبغ قال: قضى أمير المؤمنين «عليه السلام» في جارية ركبت جارية، فنخستها جارية أخرى، فقمصت المركوبة، فصرعت الراكبة فماتت، فقضى بديتها نصفين بين الناخسة والمنخوسة[1].. فمن روايات محمد بن أحمد بن يحيى عن أبي عبد الله، عن محمد بن عبد الله بن مهران، وقد استثنى ابن الوليد وابن بابويه وابن نوح روايته عنهما. وقررهم على ذلك الشيخ والنجاشي.

وفي طريقه أيضاً: أبو جميلة، وهو المفضل بن صالح، وحكم النجاشي بضعفه، وصرح ابن الغضائري بوضعه الحديث.

ورواية المفيد وإن كانت مرسلة إلا أن إرسال مثله معتبر، وقد ذكره في

= وجواهر الكلام ج٤٣ ص٧٥ وجامع المدارك ج٦ ص١٩٦ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٤٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٣٦٠ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص٤٠.

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٣٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٩ ص٢٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج١٩ ص١٧٩ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٢٥ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج٤ ص١٧٠ والنهاية للطوسي ص٧٦٣ والسرائر لابن إدريس ج٣ ص٣٧٣ ومختلف الشيعة ج٩ ص٣٣٧ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣١٦ و ٣١٧.

الإرشاد والمقنعة.

فإن قيل: خبر التنصيف من روايات الخاصة، والأصل في التثليث العامة، بدليل أن صاحب المناقب رواه عن أبي عبيدة في غريب الحديث، وابن مهدي في نزهة الأبصار، عن الأصبغ هكذا: قضى «عليه السلام» في القارصة والقامصة والواقصة، وهن ثلاث جوار كن يلعبن، فركبت إحداهن صاحبتها، فقرصتها الثالثة، فقمصت المركوبة، فوقعت الراكبة فوقصت عنقها، فقضى بالدية أثلاثاً، وأسقط حصة الراكبة لما أعانت على نفسها، فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فاستصوبه.

قلنا: على تسليم استناد المفيد إلى تلك الرواية، يكون هي أولى بموافقته للإعتبار الصحيح، مع ضعف سند الأول بمن تقدم، وبسعد بن طريف عند الأكثر(١).

ملاحظة:

قرص لحمه: أخذه ولوى عليه بإصبعه فآلمه.

قمصت الدابة: أي وثبت ونفرت.

وقص عنقه: كسرها ودقها.

والمراد بالواقصة هنا: (التي هي اسم فاعل) معنى اسم المفعول.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٣٨.

الرسول صلى الله عليه وآله يمتحن أصحابه:

وروي: جابر وابن عباس: أن أبي بن كعب قرأ عند النبي: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[١]. فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لقوم عنده، وفيهم: أبو بكر، وأبو عبيدة، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن: قولوا الآن: ما أول نعمة غرسكم الله بها، وبلاكم بها.

فخاضوا في المعاش والرياش، والذرية والأزواج، فلما أمسكوا قال: يا أبا الحسن، قل.

فقال «عليه السلام»: إن الله خلقني ولم أك شيئاً مذكوراً، وأن أحسن بي فجعلني حياً لا مواتاً، وأن أنشأني ـ فله الحمد ـ في أحسن صورة، وأعدل تركيب، وأن جعلني متفكراً واعياً لا أبله ساهياً، وأن جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت، وجعل فيَّ سراجاً منيراً، وأن هداني لدينه، ولن يضلني عن سبيله، وأن جعل لي مراداً في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً، وأن سخر لي سمائه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذكراناً قواماً على حلائلنا لا إناثاً.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول في كل كلمة: صدقت.

ثم قال: فما بعد هذا؟!

فقال علي «عليه السلام»: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[٢].

---

(١) الآية ٢٠ من سورة لقمان.

(٢) الآية ٢٠ من سورة لقمان.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: ليهنئك الحكمة، ليهنئك العلم يا أبا الحسن، أنت وارث علمي، والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي، الخبر[1].

ونقول:

لا بأس بالإشارة هنا إلى ما يلي:

قولوا الآن:

إنه «صلى الله عليه وآله» حين سأل القوم الذين عنده، حدَّد لهم وقتاً معيناً للإجابة، وزمناً خاصاً، فقال لهم: «قولوا الآن».

فلم يعطهم مهلة، يمكنهم فيها البحث عن إجابة لدى غيرهم. كما أنه ألزمهم بالبقاء في أمكنتهم.. لأن حصر زمان الإجابة بأن تكون «الآن» يجعل الإنتقال إلى مكان آخر، إما غير ذي جدوى، وإما غير مسموح به..

وارث علمي، والمبين لأمتي:

وقد أنتج هذا الإمتحان إعلان حقيقة: أن علم النبي «صلى الله عليه وآله» موجود عند علي «عليه السلام» أيضاً، وأن غيره ممن سوف يسعى لاستلاب مقامه «عليه السلام» فاقد لهذا العلم، الذي يحتاج إليه من يخلفه

---

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص٩٨ و٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٧٧ و ١٧٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٤١٥ وعجائب أحكام أمير المؤمنين ص١٧٣.

«صلى الله عليه وآله» في المرجعية للأمة، حين الإختلاف، وفي كل حين.. لا سيما حين تهجم عليها اللوابس..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» حصر المرجعية للأمة كلها بعلي «عليه السلام». في كل موارد الإختلاف.

وأعظم مورد اختلاف وخلاف حصل في الأمة هو مقام الخلافة بعده «صلى الله عليه وآله».. وهم ليس فقط لم يرجعوا إلى علي «عليه السلام» فيه، بل قهروه على التخلي عنه..

لماذا يمتحنهم؟!:

لا شك في أنه «صلى الله عليه وآله» كان عالماً بحال أصحابه، وبما عندهم من العلم، ولا يحتاج إلى أن يمتحنهم بهذا السؤال الذي وجهه إليهم، ويكلفهم الخوض في أمور لم يكن لهم أن يخوضوا فيها، لعدم أهليتهم لذلك.

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أراد بامتحانهم هذا: أن يعرفوا هم، ويعرف الناس عنهم الأمور التالية:

١ ـ إن الذين خاضوا فيما خاضوا فيه بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إنما اقتحموا أموراً لم يكن ينبغي لهم أن يقتحموها. بل كان يجب عليهم الإقرار بعدم المعرفة، والتورع عن القول بغير علم، فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.. لا سيما وأن السؤال هو عن معنى آية قرآنية.. وقد نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن تفسير القرآن بالرأي..

فمن لا يتورع أن يقول بغير علم بحضرة الرسول، وفي مورد صرح النبي «صلى الله عليه وآله» بالنهي عن القول فيه بغير علم.. لا بد أن يكون بعد رحيله «صلى الله عليه وآله» عن الدنيا أكثر جرأة على هذا الأمر، ولن يردعه رادع، ويمنعه مانع (إيماني أو وجداني) عن اقتحام جراثيم جهنم، إلا إن رأى أن أموره ستختل، وأن مصلحته الدنيوية تقضي عليه بالتريث أو الإنسحاب..

٢ ـ إن هذا الإمتحان قد هدف إلى كشف حال رواد التمرد على شرع الله، ونقض التدبير الإلهي والنبوي، حين اتلعوا أعناقهم إلى أخطر وأجل وأعظم مقام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مدَّعين لأنفسهم الأهلية له، ويعدون العدة للإستيلاء عليه.

ولم يكن صاحب الحق قادراً على مواجهتهم بأكثر من الحجة والدليل، لأن في التعدي عن هذا الأسلوب تفريطاً بأمن الناس، وقد يفسح المجال لاختلال الأمور، وحصول الردة.

أما سائر الناس، فلعل الكثيرين منهم لا يملكون الحجة التي تفي بدفع ادعاءات أولئك الطامحين.. أو أنهم يخشون من مواجهتهم ـ ولو بالحجة ـ على مصالحهم أو أمنهم. ولعل بعضهم يغض الطرف عما يجري، لأنه يرى نفسه منتفعاً من هذا الجو الذي أثاروه وأوجدوه..

ليهنئك الحكمة والعلم:

وقد هنأ النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بالحكمة أولاً، ثم بالعلم ثانياً. والحكمة تحتاج إلى توفيق وتعليم، وهي هبة إلهية، لا ينالها

إلا الأوحدي من الناس عن جدارة واستحقاق. وليست مجرد تقديرات وإدراكات عقلية، كما ربما يتوهمه المتوهمون.

ولذلك يقول تعالى: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[1].

ويقول: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾[2].

وقال: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[3]. والآيات المصرحة بتوقيفية الحكمة كثيرة.

وقدم النبي «صلى الله عليه وآله» التهنئة بالحكمة، لأنها محض عطاء إلهي..

أما العلم، فقد ينال البشر شيئاً منه مهما كان ضئيلاً بوسائلهم التي منحهم الله إياها مما اقتضته خلقتهم، مثل: العقل والفطرة، وغير ذلك..

ولعل التهنئة بالحكمة هنا يشير: إلى أن الإجابة على السؤال هنا مرهونة بالحكمة بالدرجة الأولى، ثم بالعلم.. وهذا ما لم يكن يملكه سوى أمير المؤمنين «عليه السلام». كما أظهرته هذه الواقعة وسواها..

---

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٢) الآية ١٢ من سورة لقمان.

(٣) الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

الفصل الثالث:

بذل علي عليه السلام والإمامة..

ويؤثرون على أنفسهم:

١ ـ قال ابن شهرآشوب «رحمه الله»: تفسير أبي يوسف: يعقوب بن سفيان، وعلي بن حرب الطائي، ومجاهد بأسانيدهم، عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى جماعة عن عاصم بن كليب عن أبيه ـ واللفظ له ـ عن أبي هريرة: أنه جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لهذا الرجل الليلة؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا يا رسول الله، فأتى فاطمة وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر ضيفنا به.

فقال علي «عليه السلام»: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، نومي الصبية واطفئي المصباح. وجعلا يمضغان بألسنتهما.

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج، فوجد الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله».

فلما سلم النبي «صلى الله عليه وآله» من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام». وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد عجب

الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي مجاعة. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾. يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

قال الحميري:

قائل للنبي إني غريب	جايع قد أتيتكم مستجيرا
فبكى المصطفى وقال: غريب	لا يكن للغريب عندي ذكورا
من يضيف الغريب قال علي:	أنا للضيف فانطلق مأجورا
ابنة العم هل من الزاد شيء	فأجابت أراه شيئاً يسيرا
كف بر قال: اصنعيه فإن	الله قد يجعل القليل كثيرا
ثم أطفي المصباح كي لا يراني	فأخلي طعامه موفورا
جاهد يلمظ الأصابع والضيف	يراه إلى الطعام مشيرا
عجبت منكم ملائكة الله	وأرضيتم اللطيف الخبيرا
ولهم قال: يؤثرون على	أنفسهم، قال: ذاك فضلاً كبيرا[(٣)]

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٢) بحار الأنوار ج٤١ ص٢٨ وص ٣٤ وج٣٦ ص٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٨٧ والأمالي للطوسي ص١١٦ وعن كنز جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٤٦ ومجمع البيان ج٩ ص٢٦٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٨٧ و ٨٨ و(ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص٣٤٧ و ٣٤٨.

٢ ـ روت الخاصة والعامة، منهم: ابن شاهين المروي، وابن شيرويه الديلمي، عن الخدري وأبي هريرة: أن علياً أصبح ساغباً، فسأل فاطمة طعاماً.

فقالت: ما كانت إلا ما أطعمتك منذ يومين، آثرت به على نفسي، وعلى الحسن، والحسين.

فقال: ألا أعلمتني، فأتيتكم بشيء؟!

فقالت: يا أبا الحسين، إنى لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه.

فخرج واستقرض من النبي ديناراً، فخرج يشتري به شيئاً.

فاستقبله المقداد قائلاً ما شاء الله.

فناوله علي الدينار، ثم دخل المسجد، فوضع رأسه، فنام، فخرج النبي، فإذا هو به، فحركه وقال: ما صنعت؟!

فأخبره، فقام وصلى معه فلما قضى النبي صلاته، قال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نفطر عليه، فنميل معك؟!

فأطرق لا يجيب جواباً حياء منه. وكان الله أوحى إليه أن يتعشى تلك الليلة عند علي.

فانطلقا حتى دخلا على فاطمة، وهي في مصلاها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فأخرجت فاطمة الجفنة، فوضعتها بين أيديهما.

فسأل علي «عليه السلام»: أنى لك هذا؟!

قالت: هو من فضل الله ورزقه، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

قال: فوضع النبي كفه المبارك بين كتفي علي، ثم قال: يا علي، هذا بدل دينارك. ثم استعبر النبي باكياً وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريا لمريم.

وفي رواية الصادق «عليه السلام»: أنه أنزل الله فيهم: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾(١).

قال الحميري:

وحدثنا عن حادث الأعور الذي	**تصدقه في القول منه وما يروي**
بأن رسول الله نفسي فداؤه	**وأهلي ومالي طاوي الحشا يطوي**
لجوع أصاب المصطفى فاغتدى إلى	**كريمته والناس لاهون في سهو**
فصادفها وابني علي وبعلها	**وقد أطرقوا من شدة الجوع كالنضو**
فقال لها: يا فطم قومي تناولي	**ولم يك فيها قال ينطق بالهزو**
هدية ربي إنه مترحم	**فقامت إلى ما قال تسرع بالخطو**
فجاءت عليها الله صلى بجفنة	**مكرمة باللحم جزواً على جزو**
فسموا وظلوا يطعمون جميعهم	**فَبَخْ بَخْ لهم نفسي الفداء وما أحوي**
فقال لها: ذاك الطعام هدية	**من الله جبريل أتاني به يهوى**
ولم يك منه طاعماً غير مرسل	**وغير وصي خصه الله بالصفو**

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

٣ ـ وفي رواية حذيفة: أن جعفراً أعطى النبي «صلى الله عليه وآله» الفرع من العالية، والقطيفة، فقال النبي: لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

وأعطاها علياً «عليه السلام»، ففصل على القطيفة سلكاً، فباع بالذهب، فكان ألف مثقال، ففرقه في فقراء المهاجرين كلها.

فلقيه النبي ومعه حذيفة، وعمار، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، فسأله النبي الغداء.

فقال حياء منه: نعم.

فدخلوا عليه، فوجدوا الجفنة(١).

٤ ـ عن محمد بن العباس، عن محمد بن أحمد بن ثابت، عن القاسم بن إسماعيل، عن محمد بن سنان، عن سماعة بن مهران، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال:

أتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمال وحلل وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم تبق منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين، وكان غائباً. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: أيكم يعطي هذا نصيبه، ويؤثره على نفسه؟!

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٩٠ و ١٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٠ وبحار الأنوار ج٤١ ص٣٠ و ٣١ وراجع ج٣٦ ص٦٠ عن كنز جامع الفوائد، وتأويل الآيات الظاهرة.

فسمعه علي «عليه السلام»، فقال: نصيبي.

فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأعطاه الرجل، ثم قال: يا علي، إن الله جعلك سباقاً للخير، سخَّاء بنفسك عن المال. أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة. والظلمة هم الذين يحسدونك، ويبغون عليك، ويمنعونك حقك بعدي[١].

قالوا: الفرع: المال الطائل. والعالية: مكان بأعلى أراضي المدينة، ويبدو أن القطيفة كانت مطرزة بأسلاك الذهب[٢].

ونقول:

١ ـ إن الفقر ليس عيباً، إلا حين يكون سببه الكسل، والإتكال على جهد الآخرين، أو غير ذلك من أسباب تشير إلى خلل في المزايا الروحية والإنسانية.. ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ولا علي «عليه السلام» إلا القمة في الفضل والكمال، والأخلاق الفاضلة، والمزايا النبيلة..

والأسباب التي اقتضت نزول الآية المباركة مرة أو أكثر تبين أن هذا الفقر قد كشف لنا عن أفضل المزايا، وأعظم الفضائل في هؤلاء الذين نأوا بأنفسهم عن الدنيا وزخارفها، ولم يهتموا لها إلا بالمقدار الذي فرضه الله تعالى عليهم..

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أراد مساعدة ذلك الجائع لم

---

(١) بحار الأنوار ج٣٦ ص٦٠ عن كنز جامع الفوائد.

(٢) بحار الأنوار ج٤١ ص٣١ و ٣٢.

يبادر إلى دق أبواب الأغنياء، وطلب المساعدة منهم، بل بدأ بنفسه، وببيوته..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يذهب بنفسه إلى تلك البيوت لسؤال أزواجه عن شيء من الطعام، بل أرسل إليهن من يسألهن عن ذلك.. فلم يعد هناك أية فرصة لتوهم أي نوع من أنواع حب الإستئثار بشيء، مهما كان الدافع إلى ذلك معقولاً ومقبولاً، وكافياً لتبرير المنع..

٤ ـ وبعد أن ظهر أن بيوت رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالية إلا من الماء، لم يخاطب النبي «صلى الله عليه وآله» في أمره للناس شخصاً بخصوصه، فلم يطلب من علي «عليه السلام» مثلاً أن يتولى سد حاجته، بل أطلق الخطاب لكل من حضر، وقال: من لهذا الرجل الليلة؟!

ولعل سبب ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن ينيل علياً «عليه السلام» ثواب المبادرة والإختيار، وثواب البذل والعطاء، والإيثار، ولكي لا يتوهم أحد أنه «عليه السلام» قد رضي بما فرض عليه حياء، أو اتباعاً وطاعة. ولا يعلم إن كان وراءها حرص واندفاع، أو ليس وارءها شيء من ذلك.

٥ ـ واللافت هنا: أن فاطمة الزهراء «عليها السلام» هي التي اقترحت إيثار ذلك الجائع بقوت ولديها، مع أن الأم تكون عادة أحرص على طعام أبنائها وتوفيره لهم.

٦ ـ ربما يسأل سائل عن أنه كيف جاز للزهراء وعلي «عليهما السلام» أن يجيعا ولديهما، ويتصرفا بحقهما تصرفاً يعرضهما للأذى أو الضرر. أو

يوقعهما في تعب ومشقة؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن الحسنين «عليهما السلام» كانا منسجمين مع تصرف أبويهما، ولا يرضيان بالإحتفاظ بالطعام لنفسيهما، وإبقاء ذلك الرجل جائعاً.

وصغر سنهما لا يعني أنهما يريان أنفسهما في منأى عن التكاليف الإلهية، فإن التكليف الذي هو منوط بالسن، إنما لوحظ السن فيه بالنسبة لنا نحن. أما الأنبياء وأوصيائهم، فلعل الأمر ليس منوطاً بالسن، بل بالقدرة والعلم والإدراك. وهذا متحقق فيهم «عليهم السلام» بأقصى الدرجات، كما يدل عليه قول عيسى «عليه السلام» حين ولادته: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً**﴾[1]، كما تدل عليه أجوبتهم على أدق المسائل في حال صغرهم، بالإضافة إلى شواهد أخرى..

ولأجل ذلك تقول الرواية: إن الآية المباركة نزلت في الأربعة: علي وفاطمة والحسنين «عليهم السلام»، فراجع..

ثانياً: إننا وإن لم نعرف الوجه في هذا التصرف، فلا نشك في صحة ومشروعية، فإننا إنما نأخذ التشريع منهم «عليهم السلام»، وتكفينا عصمتهم الثابتة بنص القرآن للإجابة على على أي سؤال، وإزالة أية شبهة..

٧ ـ إن تعدد الوقائع المروية في بيان شأن نزول قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ**

---

(١) الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة مريم.

عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[١] في علي «عليه السلام» لا يوجب خللاً في الروايات، لإمكان صحة جميعها، وتكرر نزول الآية في هذه الواقعة وتلك.. وهذا معروف ومألوف..

فلا عجب إذا كانت آية الإيثار قد نزلت في قضية الرجل الجائع، وإيثارهم إياه بطعام الإمامين: الحسن والحسين «عليهما السلام».. ثم نزلت في مناسبة إيثار علي «عليه السلام» بالحلة التي كساه إياها الرسول «صلى الله عليه وآله» ذلك الذي جاءه يشكو عريه وعري أهل بيته..

ثم نزلت في إيثاره «عليه السلام» المقداد بالدنيار الذي استقرضه.

وهذا يفسر التعبير في الآية بالفعل المضارع الدال على الدوام والإستمرار، وأن هو خلقهم «عليهم السلام».

٨ ـ وعن قول الراوي: إنهما جعلا يمضغان بألسنتهما نقول:

هل أرادا «عليهما السلام» الإيحاء لذلك الضيف بأنهما يأكلان ما يأكل؟!

ولماذا يريدان إفهامه ذلك؟! وهل كان هو مهتماً لهذا الأمر؟!

وإذا كان علي «عليه السلام» يريد أن يفهمه ذلك، فما شأن الزهراء «عليها السلام» في هذا الأمر؟! وهل تجلس مع رجل غريب لتأكل معه، وتسمعه صوت مضغها للطعام؟!

وإن كان المقصود هو الإيحاء للصبية بذلك، فهو لا معنى له، لأن ذلك يزيد في رغبتهما بالطعام!!

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

فالأنسب القول: بأن علياً وفاطمة «عليهما السلام» جعلا يفعلان ذلك من دون أن يكون الهدف إسماع الضيف، بل كان ذلك هو ما اقتضته شدة حاجتهما إلى الطعام.

أو يقال: إن الصبية ـ والمقصود هو الحسنان «عليهما السلام» ـ باتا يمضغان بألسنتهما، استجابة لدواعي الحاجة إلى الطعام..

ولكن أين كانت زينب وأم كلثوم عن هذه الحادثة؟! هل كان ذلك قبل ولادتهما؟!

أم أن الإيثار كان بخصوص طعام الحسن والحسين «عليهما السلام»؟! لأنهما اللذان يمكنهما المبادرة الإختيارية إلى أمر من هذا القبيل، لخصوصية فيهما أشرنا إليها فيما قدمناه آنفاً برقم (٦) .

٩ ـ وقد أظهر الله سبحانه الكرامة لهما حين وجدا الجفنة مملوءة طعاماً، ليعلم الناس أن التجارة مع الله رابحة دائماً..

١٠ ـ وحديث الدنيار الذي أعطاه «عليه السلام» للمقداد دل أن علياً «عليه السلام» أصبح ساغباً، ويبدو أنه كان قد مضى عليه يومان بلا طعام.. وأن الزهراء «عليها السلام» آثرت بالطعام على نفسها وعلى الحسنين «عليهما السلام»..

ومن المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أيضاً يطوي بعض أيامه بلا طعام، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع.. مع أن الكثيرين من الناس كانوا على استعداد لبذل أموالهم له، وكثير منهم يبذل نفسه في سبيله ومن أجله..

وكان علي والزهراء والحسنان «عليهم السلام» أقرب الناس إليه، وأحبهم إليه، ولكنهم جميعاً يعرضون عن هذه الدنيا، ويسوون أنفسهم بأضعف الناس فيها.. على قاعدة: «ولعل بالحجاز أو اليمامة، من لا عهد له بالشبع»، وعلى قاعدة: «ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن عيشه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد»[١].

١١ ـ وقد ذكرت الزهراء «عليها السلام» لعلي «عليه السلام»: أنها آثرت بالطعام غيرها على نفسها، وعلى ولديها، مصرحة باسمهما: «الحسن والحسين»، فهما اللذان يمكن التصرف بحصتهما، لخصوصيتهما في التكليف، والإدراك وسائر الكمالات، بملاحظة ما لهما من مقام في الإمامة للأمة.

وربما كان هذا التصرف بطلب منهما، كما أشرنا إليه حين الحديث عن سورة هل أتى.

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٧٠ ومختصر بصائر الدرجات ص١٥٤ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٥٤ وج١٦ ص٣٠٠ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٤٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧٤ وج٤٠ ص٣١٨ و ٣٤٠ وج٦٧ ص٣٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٤ وج٢٣ ص٢٧٢ ونهج السعادة ج٤ ص٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٠٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٣٩ وينابيع المودة ج١ ص٤٣٩.

١٢ ـ وقد صرحت الزهراء «عليها السلام»: بأنها تستحي من الله أن تكلف علياً «عليه السلام» ما لايقدر عليه.. مع أن علياً «عليه السلام» ألمح إلى أنه كان قادراً على أن يأتيهم بشيء، حيث قال لها: «ألا أعلمتني، فأتيتكم بشيء»؟!

فهل علمت «عليها السلام» ما لم يعلمه علي «صلوات الله عليه»؟! بمعنى أنها تحدثت عن علمها بالواقع، فأخبرته: أنه «عليه السلام» حتى لو سعى للحصول على شيء فإنه لن يحصل عليه..

أما علي «عليه السلام» فكلمها وفق الأحوال الظاهرة، والمتوقعة، بحسب العادة عند سائر الناس، بغض النظر عما ينكشف له بعلم الإمامة..

وبذلك تكون هذه الرواية قد تضمنت إشارة إلى أن لدى الزهراء «عليها السلام» معرفة أرقى من المعرفة الظاهرية المتوفرة لدى سائر الناس. وذلك لبيان عظمتها، وتأكيد تميزها عن سائر النساء بهذا المقام الذي لا يناله إلا صفوة الخلق.. وعلى رأسهم أبوها «صلى الله عليه وآله»، وزوجها «عليه السلام».

١٣ ـ وقد لفت نظرنا: أنه «عليه السلام» قد «استقرض» من النبي «صلى الله عليه وآله» ديناراً. مع أن الأمور كانت تجري بينهما على أساس أنهما عائلة واحدة.. والإستقراض معناه: أن ثمة قيوداً وحدوداً لم نعهدها!! فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: لعل النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد ادخر هذا الدينار

للإنفاق على أزواجه. ولم يكن يمكنه التفريط به، مع حاجة من تجب نفقته عليه..

ثانياً: لعل المقصود: هو أن ينال النبي «صلى الله عليه وآله» ثواب القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشرة[1]. وأن ينال علي «عليه السلام» ثواب الكاد على عياله، فإنه كالمجاهد في سبيل الله[2]، حيث لا بد أن يكد في تحصيل الدينار ليرده إلى صاحبه..

١٤ ـ وقد أعطى علي «عليه السلام» الدينار كله للمقداد، وكان بإمكانه أن يتقاسمه معه. فيكون قد نال ثواب الصدقة من جهة، وحل مشكلة العيال من جهة أخرى.

---

(١) الكافي ج٤ ص٣٤ وبحار الأنوار ج١٠٠ ص١٣٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٩ ص٣٠٠ و (ط دار الإسلامية) ج٦ ص٢٠٩ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٣٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص١٢٢ وج١٨ ص٢٨٦ و ٢٨٩ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٠١ وألف حديث في المؤمن للشيخ هادي النجفي ص١٠٧ وتفسير القمي ج٢ ص١٥٩ و ٣٥٠ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص١٩٠ وج٥ ص٢٣٩.

(٢) الكافي ج٥ ص٨٨ وراجع: تحف العقول ص٤٤٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٧ ص٦٧ و (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٤٢ وبحار الأنوار ج٧٥ ص٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص١٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٧ ص٣٨١.

ولكنه «عليه السلام» أراد:

أولاً: أن ينال ثواب الإيثار على النفس حتى مع الخصاصة الظاهرة..

ثانياً: إذا نظرنا إلى مجموع الروايات وجمعنا بينها، فقد نستفيد: أنه «عليه السلام» أراد أن يعطى المقداد ما يغنيه عن العودة إلى معاناة شدائد الحاجة في الجهات المختلفة، وربما كان منها كسوة عياله «رحمه الله» أيضاً.

بل لعله رأى أن حاجة المقداد وعياله كانت غير قابلة للتجزئة، فقد كانوا بحاجة إلى الكسوة أكثر من أي شيء آخر. والكسوة قد تكون أكثر أهمية وحساسية حتى من معاناة الجوع. فأعطاه الحلة ليكتسي هو بها، ثم أعطاه الدينار ليكسو به عياله.

١٥ ـ ورغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأل علياً «عليه السلام» عما صنع، فأخبره. فإنه «صلى الله عليه وآله» طلب منه بعد انقضاء صلاته أن يتعشى عنده، لأن الله تعالى قد أوحى إلى نبيه «صلى الله عليه وآله» بذلك، ليظهر الكرامة الإلهية للزهراء وعلي «عليهما السلام»، كما أظهرها لمريم «عليها السلام» من قبل.

ولكن هناك فرق جوهري بينهما، وهو: أن علياً «عليه السلام» قد نام بعد تصدقه بالدينار، فكان نومه كيقظته عبادة يستحق معها الكرامة.

أما مريم «عليها السلام»، فإن استحقاقها لإظهار هذه الكرامة لها مرهون باشتغالها بالعبادة بالفعل، فأنالها الله تعالى تلك الكرامة نتيجة لذلك.

إذ لم يكن نومها مثل نوم علي «عليه السلام».

كما أن فاطمة «عليها السلام» كانت حياتها كحياة علي «عليه السلام» كلها عبادة، وكان نومها ويقظتها وشغلها وفراغها على حد سواء في ذلك.. فهي تستحق الكرامة في كل حال، وعلى كل حال.

النبي صلى الله عليه وآله في ضيافة علي عليه السلام:

عبد الله بن علي بن الحسين، يرفعه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أتى مع جماعة من أصحابه إلى علي «عليه السلام»، فلم يجد علي شيئاً يقربه إليهم، فخرج ليحصل لهم شيئاً، فإذا هو بدينار على الأرض، فتناوله وعرَّف به، فلم يجد له طالباً، فقومه على نفسه، واشترى به طعاماً، وأتى به إليهم.

وأصاب [به] عوضه، وجعل ينشد صاحبه، فلم يجده، فأتى به النبي «صلى الله عليه وآله» وأخبره.

فقال: يا علي، إنه شيء أعطاكه الله لما اطلع على نيتك وما أردته، وليس هو شيء للناس، ودعا له بخير[١].

ونقول:

لا نرى حاجة إلى التعليق على هذه الحادثة، غير أننا نعيد على مسامع القارئ الكريم ما صرحت به الرواية من أنه «عليه السلام»:

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٣٠ عن مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٨٩ و ٩٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٩٤ وشرح الأخبار ج٢ ص١٨٣.

١ ـ قوم الدينار على نفسه قبل أن يتصرف فيه.

٢ ـ إنه «عليه السلام» عرَّف الدينار مرتين:

إحداهما: قبل التصرف فيه.

والثانية: بعد أن أصاب عوضه، وأصبح قادراً على الوفاء به لصاحبه.

٣ ـ إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» قد تضمن أن للنوايا الحسنة آثارها على صعيد استدعاء الهبات والمنح الإلهية.

٤ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» أسقط عن علي «عليه السلام» مسؤولية البحث عن صاحب الدينار حين أخبره أنه عطاء إلهي، وليس له صاحب بعينه في الناس.

صدقات عليه السلام علي وصدقات غيره:

جاء في تفسير الإمام العسكري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصبح يوماً وقد غص مجلسه بأهله، فقال: أيكم اليوم أنفق من ماله ابتغاء وجه الله؟! فسكتوا.

فقال علي «عليه السلام»: أنا، خرجت ومعي دينار أريد أشتري به دقيقاً، فرأيت المقداد بن أسود، وتبينت في وجهه أثر الجوع، فناولته الدينار.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: وجبت.

ثم قام آخر، فقال: قد أنفقت اليوم أكثر مما أنفق علي، جهزت رجلاً وامرأة يريدان طريقاً ولا نفقة لهما، فأعطيتهما ألف درهم. فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقالوا: يا رسول الله، مالك قلت لعلي: «وجبت»، ولم تقل لهذا وهو أكثر صدقة؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما رأيتم ملكاً يهدي خادمه إليه هدية خفيفة فيحسن موقعها، ويرفع محل صاحبها. ويحمل إليه من عند خادم آخر هدية عظيمة، فيردها ويستخف بباعثها؟!

قالوا: بلى.

قال: فكذلك صاحبكم علي، دفع ديناراً منقاداً لله، ساداً خلة فقير مؤمن، وصاحبكم الآخر أعطى ما أعطى معاندة لأخي رسول الله، يريد به العلو على علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فأحبط الله عمله، وصيره وبالاً عليه.

أما لو تصدق بهذه النية من الثرى إلى العرش ذهباً أو لؤلؤاً لم يزدد بذلك من رحمة الله إلا بعداً، ولسخط الله تعالى إلا قرباً، وفيه ولوجاً واقتحاماً. الحديث[١].

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: يستوقفنا هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» استخدم أسلوباً استدراجياً أراد أن يظهر به إخلاص علي «عليه السلام»، وفضله.. وأنه لا يظهر الزهد والعبادة بالدنيا تصنعاً، كما سيأتي بيانه في خلافة عمر بن

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص١٨ والتفسير المنسوب للإمام العسكري (ط مدرسة الإمام المهدي) ص٨٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦٣١.

الخطاب، حيث زعموا أن عمر قد اتهمه بذلك.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعطي للناس درساً في الإخلاص، ولكن لا بأسلوب الوعظ الكلامي، بل بتقديم الأمثولة العملية، وتجسيد المعنى بصورة واقعية وحيَّة، تشد الأنظار إليه، وتحنو القلوب عليه، فإنه أوقع في النفس، وأرضى للوجدان..

ثالثاً: إن البعض توهم أمرين:

أحدهما: توهم: أن الميزان في الفضل، وفي قبول الأعمال هو الكثرات والأحجام. وتوهم أن النبي «صلى الله عليه وآله» منح علياً «عليه السلام» وسام القبول لأجل ذلك، فقد كانت صدقته ديناراً في وقت حاجة وعوز، يقل التصدق فيها بالذهب..

الثاني: توهم: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما تكلم مع علي «عليه السلام» بمقتضى المجاملة، أو على الطريقة القانونية، التي تلاحظ الأحوال في مظاهرها وتجلياتها الخارجية، وتصدر الحكم على هذا الأساس.

ونقول:

لقد غاب عن ذهن هذا البعض أمران آخران هما:

الأول: أنه «صلى الله عليه وآله» له طريق إلى الباطن، ويستطيع باستشرافه إليه، واطلاعه عليه أن يعرف المخلص في عمله من غيره.

وأنه «صلى الله عليه وآله» لو لم يطلع على إخلاص علي «عليه السلام»، وأنه قد ابتغى وجه الله بالفعل، لم يقل له: «وجبت»، لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولا يمكن أن يخطئ الوحي في كشفه للحقائق.

وقد كان سؤاله «صلى الله عليه وآله» عن الذي ابتغى وجه الله في صدقته، وهذا أمر باطني لا يقف عليه إلا علام الغيوب، ومن أعطاه الله تعالى معرفة ذلك بوسائل يهيؤها له..

الثاني: إن المعيار في الأعمال: هو الكيف. وليس الكم والمقدار، وذلك الرجل إنما أراد أن يتباهى بالكم والحجم، حين قال: «أنفقت اليوم أكثر مما أنفق علي»..

والأريب اللبيب لا بد أن يسأل عن سبب هذه المقايسة بين مقدار ما أنفقه ذلك الرجل، وما أنفقه علي «عليه السلام»، وسيشتم رائحة اعتماد الأحجام والمقادير في مقاييس هذا الرجل، ومعايير الرد والقبول عنده.

رابعاً: إن اعتراض الجماعة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بين أنهم كانوا على شاكلة ذلك الرجل في فهمهم للأمور وتعاطيهم معها، فكانوا بحاجة إلى التوضيح والتصحيح، كصاحبهم..

خامساً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد بين الفرق بين الرجلين، فعلي «عليه السلام» دعاه إلى الأعطاء أمران:

أحدهما: رضا الله.

والآخر: شعوره الإنساني، وإحساسه بآلام الآخرين، وحبه للتخفيف عنهم..

أما الرجل الآخر، فأعطى إرضاء لمن يراه سلطاناً يضر وينفع، ويعطي ويمنع، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يريد بذلك منافسة علي«عليه السلام» والإستعلاء عليه.. فأحبط الله عمله إلى آخر ما قال.

سادساً: إن هذه الحادثة رغم أهميتها وحساسيتها لم تستطع أن تفصح لنا عن اسم ذلك الشخص الذي أراد منافسة علي «عليه السلام»، ولعله من ذلك الفريق الذي جرت عادتهم بالذب عنه، والتستر عليه في أمثال هذه الحالات، وما أكثرها!!

يبيع درعه ليطعم المقداد:

وفي حديث ابن عباس: أن المقداد قال له: أنا منذ ثلاثة أيام ما طعمت شيئاً.

فخرج أمير المؤمنين «عليه السلام» وباع درعه بخمس مائة، ودفع إليه بعضها، وانصرف متحيراً.

فناداه أعرابي: اشتر مني هذه الناقة مؤجلاً.

فاشتراها بمائة، ومضى الأعرابي.

فاستقبله آخر، وقال: بعني هذه بمائة وخمسين درهماً.

فباع.

وصاح: يا حسن ويا حسين، إمضيا في طلب الأعرابي وهو على الباب.

فرآه النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يتبسم ويقول: يا علي، الأعرابي صاحب الناقة جبرئيل، والمشتري ميكائيل.

يا علي، المائة عن الناقة، والخمسين بالخمس التي دفعتها إلى المقداد، ثم

تلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾[١] الآية[٢].

ونقول:

١ ـ إن حديث المقداد هذا هو واقعة أخرى غير ما تقدم من إعطائه الحلة حين احتاج إلى الكسوة، وإعطائه الدينار حين احتاج إليه.

٢ ـ إن لهذه الحادثة رمزية خاصة، من حيث إنها إيثار.

ثم من حيث نوع ما آثره به، وهي درعه التي يفترض أن تحميه من سيوف ونصول وسهام أعدائه، التي يراد لها أن تفتك فيه، وتزهق روحه. فكأنه «عليه السلام» جاد له بنفسه.

«والجود بالنفس أقصى غاية الجود».

٣ ـ إن هذا الإخلاص والإيثار استحق أن يجد «عليه السلام» التعويض عما أنفقه مادياً ومعنوياً إلى الحد الذي تولت الملائكة فيه التجارة له، ومعه.

٤ ـ إن ما فعله جبرئيل وميكائيل لم يأت في سياق المكافأة. لأن ما يستحقه من ذلك لا يقدر بثمن. بل جاء في سياق إيجاد المخرج من الحيرة. وهذا ينبئ عن أن المكافأة الحقيقية لا مجال لتصورها في أهميتها وعظمتها.

---

(١) الآية ٢ من سورة الطلاق.

(٢) بحار الأنوار ج٤١ ص٣١ عن مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٩١ و ٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٠.

رجال لا تلهيهم تجارة:

قال ابن شهرآشوب:

كتاب أبي بكر الشيرازي بإسناده عن مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(١).

قال: هو والله أمير المؤمنين.

ثم قال بعد كلام: وذلك أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى علياً يوماً ثلاثمائة دينار أهديت إليه، قال علي: فأخذتها وقلت: والله لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني، فلما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذت مائة دينار، وخرجت من المسجد، فاستقبلتني امرأة، فأعطيتها الدنانير.

فأصبح الناس بالغد يقولون: تصدق علي الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة.

فاغتممت غماً شديداً، فلما صليت الليلة القابلة صلاة العتمة أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت: والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني، فلقيت رجلاً، فتصدقت عليه بالدنانير.

فأصبح أهل المدينة يقولون: تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل سارق.

---

(١) الآيتان ٣٧ و ٣٨ من سورة النور.

فاغتممت غماً شديداً وقلت: والله لأتصدقن الليلة صدقة يتقبلها الله مني، فصليت العشاء الآخرة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم خرجت من المسجد ومعي مائة دينار، فلقيت رجلاً، فأعطيته إياها.

فلما أصبحت قال أهل المدينة: تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل غني.

فاغتممت غماً شديداً، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخبرته.

فقال لي: يا علي، هذا جبرئيل يقول لك: إن الله عز وجل قد قبل صدقاتك، وزكى عملك.

إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة وقعت في يدي امرأة فاسدة، فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عز وجل من الفساد، وجعلت تلك الدنانير رأس مالها، وهي في طلب بعل تتزوج به.

وإن الصدقة الثانية وقعت في يدي سارق، فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقته، وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها.

وإن الصدقة الثالثة وقعت في يدي رجل غني لم يزك ماله منذ سنين، فرجع إلى منزله، ووبخ نفسه، وقال:

شحاً عليك يا نفس، هذا علي بن أبي طالب تصدق علي بمائة دينار ولا مال له، وأنا فقد أوجب الله على مالي الزكاة لأعوام كثيرة لم أزكه؟!

فحسب ماله وزكاه، وأخرج زكاة ماله كذا وكذا ديناراً، فأنزل الله

فيك: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾[١] الآية[٢].

ونقول:

في هذه الرواية أمور يحسن الوقوف عندها، والتأمل فيها، وهي التالية:

ثلاث مئة دينار لماذا؟!:

قد يسأل سائل عن المبرر لإعطاء هذه المبالغ الطائلة لرجل واحد، وكان بالإمكان تفريقها على مئات الفقراء. مع علمنا بانتشار الفقر، وشيوع الحاجة بين الناس.

ونجيب:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يعطها لمن يدخرها، ويقفل عليها في خزائنه، بل هو يعطيها لمن ينفقها وفق ما يرضي الله تعالى ويرضيه على أتم وجه، ويقول للدنيا: غري غيري.. أبي تعرضت؟! أم إليَّ تشوفت؟![٣].

---

(١) الآية ٣٧ من سورة النور.

(٢) بحار الأنوار ج٤١ ص٢٨ و ٢٩ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٨٨ و ٨٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٤٨ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٦٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٣٢٧.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص١٦ وخصائص الأئمة ص٧١ وروضة الواعظين ص٤٤١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٢ وكنز الفوائد ص٢٧٠ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص٨٦ ومناقب آل أبي طالب (المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٧٠ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي =

ومن يقول فيه أعداؤه: «لو كان له بيتان: بيت من تبن، وبيت من تبر، لأنفق تبره قبل تبنه»[(١)].

ثانياً: إن الإعطاء لا يجب أن يكون دائماً لسد الخلة، ودفع الحاجة، بل قد يكون سببه نشر الدين، أو التألف على الإسلام، أو إفهام الآخرين معانٍ يحسن بهم أن يعرفوها ويفهموها، وأن يتلمسوها.

من أجل ذلك نقول:

إنه «عليه السلام» حين أعطى مئة دينار لرجل واحد في الليلة الأولى،

= ص٥٥٧ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص٣٢ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٢٦ وذخائر العقبى ص١٠٠ والعقد النضيد والدر الفريد ص١٠٢ ومشكاة الأنوار لعلي الطبرسي ص٤٦٧ وعدة الداعي لابن فهد الحلي ص١٩٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٢١٢ و ٢١٤ ومدينة المعاجز ج٢ ص٧٩ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٥١ و ٢٥٧ و ٣٤ ص٢٨٤ وج٤٠ ص٣٢٨ و ٣٤٥ وج٤١ ص١٢١ وج٧٠ ص١٢٨ وج٧٥ ص٢٣ وج٨٤ ص١٥٦ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٢١ وشجرة طوبى ج١ ص١١١ والغدير ج٢ ص٣١٩ وج٧ ص١١٤ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٣٣٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦٠٩ و ٧٦٥.

(١) شرح الأخبار ج٢ ص٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣١ ص٥٣٩ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٥٤ وكشف الغمة ج٢ ص٤٨ وكشف اليقين ص٤٧٥.

ومثلها في الليلة الثانية والثالثة، لعله قد توخى أموراً أخرى غير الحاجة، تستحق أن تبذل في سبيلها هذه المقادير من الأموال..

هل هذا تدخل إلهي؟!:

قد يقال: إن الله تعالى قد يتدخل لتغيير مسار الأحداث، حين لا يكون هذا التدخل مخلاً بالضوابط التي رضيها الله تعالى أساساً للتعامل مع عباده، وفيما بينهم..

ونستطيع أن نلمح هذا التدخل في هذه الواقعة بالذات، حيث رأينا أنه تعالى قد حجب عن علي «عليه السلام» المعرفة بماهية السائلين في الليالي الثلاث، لتقع الصدقة الأولى والثانية والثالثة في يد غير أهلها، لكي تنتج عنها هذه التوبة، ومراجعة الحسابات، التي انتهت بإنقاذ هؤلاء مما هم فيه من انحراف..

ولكننا حين نتأمل في نص الرواية، لا نجد فيها ما يدل على عدم معرفة علي «عليه السلام» بواقع حال من تصدق عليهم في الليالي الثلاث.. بل غاية ما ذكرته هو قوله: إن الناس يقولون كذا وكذا، ويقول «عليه السلام»: «فاغتممت غماً شديداً»..

ثم خبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما جرى..

فقال: يا علي، هذا جرئيل الخ..

فما الذي يمنع من أن يكون «عليه السلام» على علم بما يجري، وكان قاصداً لهدايتهم عن هذا الطريق.. ولكنه كان يغتم بانكشاف واقع هؤلاء

الأشخاص الذين تصدق عليهم للناس..

الدينار المرهون عند الجزار:

بسنده عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أتاها يوماً، فقال: أين ابناي؟! يعني حسناً وحسيناً.

قالت: قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق.

فقال علي: أذهب بهما، فإني أتخوف أن يبكيا عليك، وليس عندك شيء.

فذهب بهما إلى فلان اليهودي، فوجه إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر، فقال «صلى الله عليه وآله»: يا علي، ألا تقلب ابني قبل أن يشتد الحر عليهما.

قال: فقال علي: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة تمرات.

فجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي ينزع لليهودي كل دلو بتمرة، حتى اجتمع له شيء من تمر، فجعله في حجزته، ثم أقبل، فحمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحدهما، وحمل علي الآخر[1].

---

(١) الذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص١٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦١٦ عن أرجح المطالب ص١٤٩ وراجع: ذخائر العقبى للطبري ص٤٩ و ١٠٤ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣١٦ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٢٢ وتاريخ =

روى العلامة محب الدين الطبري عن سهل بن سعد: أن علي بن أبي طالب «عليه السلام» دخل على فاطمة وحسن وحسين يبكيان. فقال: ما يبكيهما؟

قالت: الجوع.

فخرج علي، فوجد ديناراً في السوق، فجاء إلى فاطمة، فأخبرها، فقالت: اذهب إلى فلان اليهودي، فخذ لنا به دقيقاً.

فجاء إلى اليهودي، فاشترى به دقيقاً.

فقال اليهودي: أنت ختن هذا الذي يزعم أنه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: نعم.

قال: فخذ دينارك وخذ الدقيق.

فخرج علي حتى جاء فاطمة فأخبرها.

فقالت: اذهب إلى فلان الجزار، فخذ لنا بدرهم لحماً.

فذهب، فرهن الدينار بدرهم في لحم، فجاء به.

= مدينة دمشق ج١٤ ص١٧١ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص١٨٨ وكشف الغمة ج٢ ص٢٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٣٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦١٦ وج١٠ ص٧٤٠ وج١٩ ص٢٠٦ وج٢٦ ص٢٥٠.

فعجنت، وخبزت، وطبخت. وأرسلت إلى أبيها «صلى الله عليه وآله»، فجاءهم، وقالت: يا رسول الله، أذكر لك، فإن رأيته حلالاً أكلنا وأكلت: من شأنه كذا وكذا.

فقال «**صلى الله عليه وآله**»: كلوا باسم الله، فأكلوا، فبينما هم بمكانهم وإذا بغلام ينشد الله والإسلام الدينار.

فأمر رسول الله «**صلى الله عليه وآله**» **علياً**: يا علي، اذهب إلى الجزار فقل له: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لك: ارسل إلي بالدينار، ودرهمك علي.

فأرسل به، فدفعه إليه(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» لم يأخذ ولديه إلى اليهودي ليستعطفه بهما، ويحصل منه على المال.. بل ذهب ليعمل، ويحصل على حاجته من المال بكديده، وبعرق جبينه.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد أخذ ولديه معه ليخفف عن فاطمة «عليها السلام».. حتى لا يبكيا عليها، حين يعضهما الجوع.. ولا شك في أنها سوف تتأثر لبكائهما هذا، فإذا كان يمكنه «عليه السلام» أن يخفف عنها،

---

(١) ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي بمصر) ص١٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦١٥ ومدينة المعاجز ج١ ص١٦٦ وج٣٢ ص٢٤٧.

فلم لا.. وهذا درس ظاهر الدلالة في تعاون الزوجين في مواجهة مصاعب الحياة.. يضاف إليه درس آخر عن أخلاق الأنبياء والأوصياء في التعامل مع الدنيا.. فلا تهزمه شدائدها، بل يصبر على ألم الجوع حتى حين يعض أطفاله الصغار، الذين هم كالحسنين «عليهما السلام». فيحفظ توازنه، ويستقيم على طريق التعفف، والزهد حتى لو كان يستطيع بأدنى إشارة منه إلى أي كان من الناس أن يحصل على ما يريد.. وفوق ما يريد..

٣ ـ إن الحسنين «عليهما السلام»، وإن كانا معصومين وكاملين، ومتوازنين وعاقلين في الصغر والكبر، ولكن لا بد أن يتعاملا مع الأمور معاملة تشبه حالهما، أي أن المطلوب الذي تفرضه مصالح العباد، هو أن تظهر عليهما حالات الطفولة.. التي منها أن يعبر عن حاجته للطعام حين يحتاج إليه، ثم أن تكون وسيلة تعبيره هي البكاء حين يشتد عليه الجوع..

٤ ـ ذكرت الرواية: أن الرسول قد وجدهما يلعبان في مشربة، فيرد سؤال يقول: كيف يكون هذا والإمام المعصوم لا يلعب؟!

ويجاب: بأن الظاهر: أن المراد باللعب هو ممارسة حركات ذات معان جليلة وعالية لا يفهمها الناس العاديون إلا على أنها لعب، لأن الناس لا يحتملون أن يكون الأطفال الذين في سنهما يتداولون فيما بينهم بأمثال هذه المعاني الراقية.

وسيأتي: أن طفلاً حبا حتى أصبح على الميزاب، فلم يمكنهم الوصول إليه، فاستنجدوا بسيد الوصيين، فجاء بطفل يخاطبه، فكلمه بكلام غير مفهوم، فخرج من موضعه. ثم أخبر علي «عليه السلام» بما قالاه.. وإذ به

يحمل معان لا يظن احد أن من كان في هذا السن يدركها، أو يحسن التعبير عنها.

٥ ـ إن العمل لليهودي ليس ممنوعاً عنه شرعاً، ولا هو ما يعاب به الناس، بل العمل شرف للعامل، والعمل بالأجرة ما هو إلا تبادل للمنافع، فهو لا يختلف عن البيع والشراء الذي هو تداول للسلع معهم..

٦ ـ كانت شوكة اليهود قد كسرت في المدينة، بعد ظهور خياناتهم، والحروب معهم التي انتهت بإجلائهم، وبقتل من قاتل أهل الإسلام منهم..

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو رأس أهل الإسلام، وكان علي«عليه السلام»، وابنته فاطمة «عليها السلام» أعز الناس عليه.. وها هم يقاسون الألام والمصاعب والمتاعب بسبب الجوع، وأعداؤهم ومخالفوهم في الدين، الذين عاملوهم بالخيانة والغدر، يملكون البساتين والأموال، ولكن النبي«صلى الله عليه وآله» وكذلك علي«عليه السلام»، وسائر المسلمين لا يحاولون ابتزاز هؤلاء اليهود، الذين لم يكونوا أوفياء لهم حتى قبضة من تمر. بل هم لا يأخذون منهم ولو تمرة واحدة ، أو ما يعادلها.

٧ ـ بل إنك تجد أعظم الناس أثراً بعد نبي الإسلام، وأخاه وابن عمه، وصهره، الذي حصد رؤوس الشرك والكفر، وأفنى جموع اليهود والمشركين ـ تجده ـ يعمل عند يهودي كأجير، فينزع له كل دلو بتمرة ولا يستفيد حتى من هيبته في الحصول ولو على تمرة واحدة، إضافة على ما يستحقه بعمله، إلا إذا أدى في مقابلها ما يوازيها.

٨ ـ وعن قصة الدينار نقول:

إنها، وإن كانت تشير إلى العديد من الأمور، ولكننا نكتفي منها بذكر ما يلي:

ألف: قد يقال: إن ظاهر الرواية: أن فاطمة «عليها السلام» لم تكن تعرف الحكم الشرعي في هذا المورد، حيث ذكرت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنها سوف تحكي له القصة، فإن رأى الطعام حلالاً أكل وأكلوا معه.

فهل يمكن أن تجهل فاطمة «عليها السلام» تكليفها الشرعي، في هذا المورد؟!

وإذا كانت شاكة في الحكم الشرعي، فلماذا تصرفت بالمال، فطبخت، وعجنت، وخبزت؟!

ونجيب:

أولاً: إنها «عليها السلام» أرادت أن يعرف الناس الحكم الشرعي على لسان أبيها. أما هي فكانت على بينة من أمرها. ولذلك طبخت وعجنت وخبزت دون أن تسأل. ولو كانت شاكة في ذلك لسألت عنه قبل أن تفعل أي شيء، حتى لا يضيع تعبها سدى، لو كان الجواب بالمنع.

ثانياً: لعل هدفها بالإضافة إلى ما ذكرناه أنفاً هو دفع ظنون الناس وأوهامهم، في أن يكون علي وفاطمة «عليهما السلام» يتصرفان بالمال بدون احتياط. ويجمعان المال من أي سبيل. ولا يباليان بالشبهة، وكان الأجدر بهما الإحتفاظ بالدينار لصاحبه، فلماذا تسرعا في التصرف فيه؟!

ثم يدعون: أنهم لو أخبروا النبي«صلى الله عليه وآله» بأمر الدينار لم يأكل معهم، لاحتمال أن يكون صاحب الدينار لا يرضى بالتصرف بديناره..

ب: قد يتوهم: أن علياً «عليه السلام» لم يبحث عن صاحب الدينار، بل تصرف فيه بمجرد وجدانه له..

ولكن هذا التوهم لا مبرر له، فإن علياً «عليه السلام» كان يعرف الحكم الشرعي، وهو لزوم تعريف اللقطة، وقد عرف ديناراً آخراً، في مرة أخرى..

وليس في الرواية ما يدل على عدم مراعاته لهذا الحكم، غاية الأمر أنها لم تذكر ذلك.

فلعل الراوي أسقطه اختصاراً، أو لم ير حاجة إلى ذكره.. أو لعل هذه الخصوصية غابت عن ذهن بعض الرواة.. ولعل.. ولعل..

ج: بل قد يقال: إن علياً «عليه السلام» لم يتصرف بالدينار، بل وضعه عند الجزار وثيقة للدين، وتحفظاً على الدرهم، الذي كان له في ذمة علي «عليه السلام» ، فإذا جاءه بالدرهم ارجع إليه الدينار.

ولذلك بادر ذلك الجزار إلى إرسال الدينار، بعد أن ضمن له رسول الله «صلى الله عليه وآله» درهمه..

فإن قيل: كيف لا يثق ذلك الجزار بعلي «عليه السلام»؟! ولماذا يأخذ منه الدينار وثيقة لدرهم؟!

ونجيب:

بأن ذلك لا يدل على عدم ثقة الجزار بعلي «عليه السلام»، إذ لم تصرح الرواية لنا بتفاصيل ما جرى، فلعل علياً «عليه السلام» هو الذي عرض عليه الإحتفاظ بالدينار إلى أ ن يأتيه بالدرهم. ولعله خشي من أن يحدث لعلي «عليه السلام» حدث في الحروب.. ويقع الذين هم بعده في الإرتباك، ويصعب أو يطول عليهم الوقت في تحصيل درهمهم.

قبول الصدقات وتزكية العمل:

ثم ذكرت الرواية: أنه تعالى قد زكى عمل علي «عليه السلام» وقبل صدقاته. وفي هذا إلماح لما ذكرناه، من أن المال الطاهر إذا خلصت النية في إنفاقه، فإن الله تعالى يتدخل ليزيل عنه التلوثات التي قد يُلْحِقُها به الإغيار، لدواع شيطانية مختلفة. على قاعدة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آَيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

أي أن الشيطان يسعى لإفساد تدبير الأنبياء والرسل، وإحباط مسعاهم إلى أهدافهم النبيلة الكبرى، ولكن الله يتدخل لإبطال كيد الشيطان، وإزالة الشبهات التي يلقيها، لتسطع أنوار آياته وبراهينه ودلائله..

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الحج.

سورة الليل نزلت في علي عليه السلام:

١ ـ عن علي بن الحسين «عليهما السلام» قال: كان رجل مؤمن على عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، في داره حديقة، وله جار له صِبْيَة، فكان يتساقط الرطب من النخلة، فَيَنْشَدُّون صِبْيَتَه يأكلونه، فيأتي الموسر، فيخرج الرطب من جوف أفواه الصبية.

وشكا الرجل ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

فأقبل وحده إلى الرجل، فقال: بعني حديقتك هذه بحديقة في الجنة.

فقال له الموسر: لا أبيعك عاجلاً بآجل!

فبكى النبي «صلى الله عليه وآله»، ورجع نحو المسجد.

فلقيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال [له]: يا رسول الله، ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟!

فأخبره خبر الرجل الضعيف والحديقة.

فأقبل أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى استخرجه (أي استخرج الرجل الموسر) من منزله، وقال له: بعني دارك.

قال الموسر: بحائطك الحسي.

فصفق على يده ودار (أي استدار) إلى الضعيف، فقال له: تحول إلى دارك، فقد ملكها الله رب العالمين لك.

وأقبل أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونزل جبرئيل على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال له: يا محمد، اقرأ: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا**

خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[١]. إلى آخر السورة..

فقام النبي «صلى الله عليه وآله» **وقبل بين عينيه، ثم قال:** بأبي أنت (وأمي)، قد أنزل الله فيك هذه السورة كاملة[٢].

٢ ـ عن موسى بن عيسى الأنصاري قال: كنت جالساً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بعد أن صلينا مع النبي «صلى الله عليه وآله» العصر بهفوات، فجاء رجل إليه، فقال له: يا أبا الحسن، قد قصدتك في حاجة لي، أريد أن تمضي معي فيها إلى صاحبها.

فقال له: قل.

قال: إني ساكن في دار لرجل فيها نخلة، وإنه يهيج الريح فيسقط من ثمرها بلح وبسر، ورطب وتمر. ويصعد الطير فيلقي منه، وأنا آكل منه ويأكلون منه الصبيان من غير أن نبخسها بقصب، أو نرميها بحجر، فاسأله أن يجعلني في حل.

قال: انهض بنا.

فنهضت معه، فجئنا إلى الرجل، فسلم عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فرحب، وفرح به وسر، وقال: فيما جئت يا أبا الحسن؟**!**

قال: جئتك في حاجة.

---

(١) آيات سورة الليل.

(٢) بحار الأنوار ج٤١ ص٣٧ وتفسير فرات ص٥٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٢٢١.

قال: تقضى إن شاء الله، فما هي؟!

قال: هذا الرجل ساكن في دار لك في موضع كذا، ذكر أن فيها نخلة، فإنه يهيج الريح، فيسقط منها بلح وبسر، ورطب وتمر، ويصعد الطير، فيلقي مثل ذلك من غير حجر يرميها به، أو قصبة يبخسها. فاجعله في حل.

فتأبى عن ذلك.

وسأله ثانياً، وأقبل عليه في المسألة، ويتأبى.

إلى أن قال: والله أنا أضمن لك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبدلك بهذا النبي حديقة في الجنة.

فأبى عليه، ورهقنا المساء.

فقال له علي «عليه السلام»: تبيعنيها بحديقتي فلانة؟!

فقال له: نعم.

قال: فاشهد لي عليك الله وموسى بن عيسى الأنصاري، أنك قد بعتها (أي الحديقة)بهذخ الدار؟!

قال: نعم أشهد الله وموسى بن عيسى [الأنصاري على] أني قد بعتك هذه الحديقة، بشجرها، ونخلها، وثمرها، بهذه الدار، أليس قد بعتني هذه الدار بما فيها بهذه الحديقة ولم يتوهم أنه يفعل.

فقال: نعم أشهد الله وموسى بن عيسى على أني قد بعتك هذه الدار بهذه الحديقة.

فالتفت علي «عليه السلام» إلى الرجل، فقال له: قم، فخذ الدار بارك

الله لك، وأنت في حل منها.

وسمعوا أذان بلال، فقاموا مبادرين حتى صلوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» المغرب والعشاء الآخرة، ثم انصرفوا إلى منازلهم.

فلما أصبحوا صلى النبي بهم الغداة وعقب، فهو يعقب حتى هبط عليه جبرئيل «عليه السلام» بالوحي من عند الله.

فأدار وجهه إلى أصحابه، فقال: من فعل منكم في ليلته هذه فعلاً؟! فقد أنزل الله بيانها، فمنكم أحد يخبرني أو أخبره.

فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: بل أخبرنا يا رسول الله.

قال: نعم، هبط جبرئيل، فأقراني عن الله السلام، وقال لي: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فعل البارحة فعلة.

فقلت لحبيبي جبرئيل: ما هي؟!

فقال: اقرأ يا رسول الله.

فقلت: وما أقرأ؟!

فقال: اقرأ: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾. إلى آخر السورة ﴿**وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾[١].

---

(١) آيات سورة الليل.

أنت يا علي، ألست صدقت بالجنة، وصدقت بالدار على ساكنها، وبذلت الحديقة؟!

قال: نعم يا رسول الله.

قال: فهذه سورة نزلت فيك، وهذا لك..

فوثب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقبل بين عينيه وضمه إليه، وقال له: أنت أخي، وأنا أخوك، صلى الله عليهما وآلهما..(١).

ونقول:

وقد تضمنت الرواية الأولى:

١ ـ قسوة ذلك الرجل الموسر، التي بلغت به حد أنه كان يستخرج الرطب المتساقط من جوف أفواه الصبية، مع أن النخلة في دار سكناهم.. وفي الرواية الأولى: أنهم كانوا جيرانها، ورطبها يتساقط في دارهم، دون أن يحركوها.. الأمر الذي يدل على خلو قلبه من أية مشاعر إنسانية حية، بل هو قد تحول إلى سبع ضار، لا مجال للسكوت عن فتكاته بمشاعر الناس، حتى الأطفال الذين يعيشون البراءة والطهر بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

٢ ـ لقد رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرواية الأولى يبادر بنفسه إلى معالجة الأمر، فلا يستنيب أحداً، ربما لأنه أراد أن يحفظ لذلك الرجل ماء وجهه أمام الناس.

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٣٧ ـ ٣٩ وتفسير فرات ص٥٦٦ و ٥٦٧.

ولعله أراد أيضاً: أن يوظف مقامه وموقعه، وما له من قداسة في النفوس، لصالح نهاية مربحة لذلك الرجل بالذات في الدنيا والآخرة..

كما أنه يكون بذلك قد بذل أقصى ما يمكن أن يبذل من جاه ومقام في سبيل معالجة هذه القضية، فلا مجال لتوهم أي قصور أو تقصير في المعالجة، استناداً لافتراضات توهم أنها ربما تكون هي الأولى بالاعتماد..

٣ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد بلغ مع ذلك الرجل أقصى مدى يمكن بلوغه لسد أبواب الذرائع، فيما قدمه له من عروض المقايضة، حيث عرض عليه بيع حديقته تلك بحديقة بالجنة.

٤ ـ ثم كانت المفجأة الأكبر والأخطر حين رفض ذلك الرجل الموسر طلب سيد رسل الله، وصرح له أيضاً: بأنه لا يبيع عاجلاً بآجل، فدل على أن تلك القسوة تستند إلى عزوف شديد عن الآخرة، وتفضيل الدنيا عليها.

فأصبح بذلك على عتبة الخروج عن الدين،حيث إنه لا يحتاج بعدُ إلى أكثر من تفسير كلامه هذا: بأنه لا يرى للآخرة قيمة في مقابل الدنيا..

ولأجل ذلك بكى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأما الرواية الثانية، فتضمنت أموراً عديدة، نشير إضافة إلى ما قدمناه إلى الأمور التالية:

١ ـ إنه «عليه السلام» يضمن لذلك الرجل عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يعطيه حديقة في الجنة، لمجرد أن يرضى بإحلال ذلك الرجل..

فيلاحظ ما يلي:

ألف: إنه لم يضمن هو مباشرة، بل أحال الأمر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه لا يتقدم رسول الله في أمر من الأمور..

ب: إنه يضمن ذلك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنه يعرف المعايير التي ينطلق منها «صلى الله عليه وآله» في الإعطاء والمنع.

ج: إن هذا العطاء العظيم لمجرد أن يحل ذلك الرجل لتمرات تسقطها الريح، أو العصافير من نخلة. يدل على مدى خطورة التعدي على مال الناس.

كما أن الثمن الذي بذله علي «عليه السلام» لتلك الدار، كان بحيث إن مشتريها لم يتوهم أن علياً سيبذله له بالفعل.

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يذكر علياً «عليه السلام» باسم أمير المؤمنين.

٣ ـ وفي هذه المناسبة بالذات، وفي أجواء هذا التصرف العلوين رأى النبي «صلى الله عليه وآله» ضرورة أن ينبه الناس إلى مدى التوافق فيما بينه وبين علي، فرأى الأخوة متجسدة فيه بجميع معانيها، ويريد من الناس أن يروا ذلك. ولذلك قال له في هذه المناسبة بالذات أيضاً: أنت أخي، وأنا أخوك.

سورة الليل في من نزلت؟!:

وتقدم: أن سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ قد نزلت في علي «عليه السلام»

بهذه المناسبة، التي تضمنت التصديق بالآخرة في مقابل من كذب بها، وتضمنت الإعطاء وظهور التقوى لدى علي «عليه السلام» في مقابل من ﴿**بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى**﴾، والعطاء الإلهي في الآخرة.

وقد ادعى بعضهم نزول قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾: في أبي بكر حين اشترى بلالاً وأعتقه وعامر بن فهيرة وأعتقهما(١).

ونقول:

إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: لما ذكره الإسكافي، الذي قال: «أما بلال، وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق»(٢).

---

(١) العثمانية ص٣٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٧٣ والدر المنثور ج٦ ص٣٥٨ ـ ٣٦٠ عن عدد من المصادر، والسيرة الحلبية ج١ ص٢٩٩ وعمدة القاري ج٨ ص٣٠٦ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٣٧٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣٤٤٠ وتفسير الواحدي ج٢ ص١٢٠٨ وتفسير البغوي ج٤ ص٤٩٥ وتفسير الآلوسي ج٣٠ ص١٤٨.

(٢) راجع: العثمانية (ط دار الكتاب العربي ـ مصر) ص٣١٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٧٣ وقاموس الرجال ج٥ ص١٩٦ وج٢ ص٢٣٨ عن الإسكافي، وعن الواقدي، وابن إسحاق.

وعدَّ ابن شهرآشوب وغيره بلالاً من موالي النبي «صلى الله عليه وآله»[(١)].

ثانياً: روى ابن بابويه، عن عبد الله بن علي قال: حملت متاعي من البصرة إلى مصر فقدمتها، فبينا أنا في بعض الطريق إذا أنا بشيخ طويل، شديد الأدمة، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران: أحدهما: أسود. والآخر: أبيض، فقلت: من هذا؟

فقالوا: هذا بلال مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذت ألواحي فأتيته فسلمت عليه الخ..[(٢)].

ثالثاً: ذكر الواقدي في كتاب فتوح الشام: أنه لما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر إليه القس أنكره، وقال: إن القوم قد هنَّا عليهم، فإنَّا دعوناهم نخاطبهم، فبعثوا إلينا بعبيدهم لصغر قدرنا عندهم.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧١ ورجال ابن داود ص٥٨ ورجال الطوسي ص٢٧ ونقد الرجال للتفرشي ج١ ص٣٠٢ وجامع الرواة للأردبيلي ج١ ص١٣١ وإكليل المنهج للكرباسي ص١٥١ وطرائف المقال ج٢ ص١٢٩ وسماء المقال ج٢ ص٢٨١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٣٠ ص٣٢٦ و (ط دار الإسلامية) ج٢٠ ص١٤٨ وأعيان الشيعة ج٢ ص٣٧٥ وراجع: العقد النضيد والدر الفريد ص١٤٩ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٩٢ وروضة الواعظين ص٣١٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٦٣٤ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٣٨٠ ومنتهى المطلب (ط.ج) ج٤ ص٣٧٢ و (ط. ق) ج١ ص٢٥٣ والحدائق الناضرة ج٧ ص٣٢٩.

ثم قال: أيها العبد، أبلغ مولاك وقل له: إن الملك يريد أميراً منكم حتى يخاطبه بما يريد.

فقال بلال: أيها القس أنا بلال مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومؤذنه، ولست بعاجز عن جواب صاحبك.. الخ..[١].

رابعاً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه.

وأخرى: إنه أعطى غلاماً وزوجته، وابنته، ومائتي دينار.

وثالثة: اشتراه بسبع أواق.

ورابعة: بتسع.

وخامسة: بخمس.

وسادسة: برطل من ذهب.

وسابعة: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذي كان صاحب عشرة آلاف دينار، وجوار، وغلمان، ومواش.

وثامنة: ببردة، وعشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف والتناقض[٢].

---

(١) فتوح الشام للواقدي ج٢ ص٢٠.

(٢) راجع ما تقدم في: السيرة الحلبية: ج١ ص٢٩٨ و ٢٩٩، وقاموس الرجال: ج١=

خامساً: عن عائشة أنها قالت: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن غير أن الله أنزل عذري[(١)]. (يعني الآيات المرتبطة بالإفك).

ولكننا ذكرنا أن آيات الإفك لم تنزل فيها أيضاً[(٢)].

وهناك كلام أوسع من هذا أوردناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، يتعلق بموضوع شراء أبي بكر لبلال وغيره من الموالي، فراجع.

سادساً: ذكرت بعض الروايات: أن نزول الآيات، وهي قوله تعالى:

= ص٢١٦، وسير أعلام النبلاء: ج١ ص٣٥٣، والسيرة النبوية لابن هشام: ج١ ص٣٤٠، وحلية الأولياء: ج١ ص١٤٨، وغير ذلك كثير.

(١) راجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩) ج٣ ص١٢١ و (ط دار الفكر) ج٦ ص٤٢ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧١ وفتح القدير ج٥ ص٢١ والدر المنثور ج٦ ص٤١ وعمدة القاري ج١٩ ص١٧٠ وفتح الباري ج٨ ص٤٤٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٩٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٩٦. وراجع: الغدير ج٨ ص٢٤٧ والصراط المستقيم ج٣ ص٨٩ و ١٣٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٠٦ وبحار الأنوار ج٣١ ص٥٤٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٦٢ .

(٢) راجع كتابنا: حديث الإفك تاريخ ودراسة، وكتابنا: الصحيح في سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٣ .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1] في سمرة بن جندب في قضية النخلة التي كانت في بيت بعض الصحابة، وقد أبى سمرة إلا أن يديم الدخول إليها من غير استئذان، ولم يبعها بمثلها في الجنة..

فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» **بقلعها وإلقائها إليه.. وقال:** لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

ونرجح: أن تكون الآيات كلها في سورة الليل، قد نزلت في علي «عليه السلام»، وفي ذلك الغني الموسر.. ولعل سمرة لم يتعظ بها، فاستشهد الرسول له بآيات سورة الليل إذا يغشى لانطباقها عليه في بعض جونبها، وبعض آياتها. ولكن انطباقها على ما جرى لأمير المؤمنين بصورة أتم، وأوفى وأبين وأظهر.. فلاحظ وقارن.

---

(١) الآيات ٨ ـ ١٠ من الليل.

الفصل الرابع:

علي عليه السلام في كلام الرسول صلى الله عليه وآله..

بحق علي اغفر للمذنبين:

عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلمت وقلت: يا رسول الله، أرني الحق أنظر إليه بياناً (عياناً. ظ.).

فقال: يا ابن مسعود، لج المخدع، فانظر ماذا ترى؟!

قال: فدخلت، فإذا علي بن أبي طالب «عليه السلام» راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده، ويقول: اللهم بحق نبيك محمد إلا ما غفرت للمذنبين من شيعتي.

فخرجت لأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، فوجدته راكعاً وساجداً. وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهم بحق علي وليك إلا ما غفرت للمذنبين من أمتي.

فأخذني الهلع، فأوجز «صلى الله عليه وآله» في صلاته، وقال: يا ابن مسعود، أكفراً بعد إيمان؟!

فقلت: لا وعيشك يا رسول الله، غير أني نظرت إلى علي وهو يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله تعالى بجاهه، فلا أعلم أيكما أوجه عند الله تعالى من الآخر؟!

فقال: يا ابن مسعود، إن الله تعالى خلقني وخلق علياً والحسن والحسين

من نور قدسه، فلما أراد أن ينشئ خلقه فتق نوري، وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض.

وفتق نور علي، وخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجل من العرش والكرسي.

وفتق نور الحسن، وخلق منه الحور العين والملائكة، والحسن والله أجل من الحور العين والملائكة.

وفتق نور الحسين، وخلق منه اللوح والقلم، والحسين والله أجل من اللوح والقلم.

فعند ذلك أظلمت المشارق والمغارب.

فضجت الملائكة ونادت: إلهنا وسيدنا، بحق الأشباح التي خلقتها إلا ما فرجت عنا هذه الظلمة.

فعند ذلك تكلم الله بكلمة أخرى، فخلق منها روحاً، فاحتمل النور الروح، فخلق منه الزهراء فاطمة، فأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فلأجل ذلك سميت الزهراء.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لي ولعلي: أدخلا الجنة من أحببتما، وألقيا في النار من أبغضتما.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[١].

---

(١) الآية ٢٤ من سورة ق.

فقلت: يا رسول الله، من الكفار العنيد؟!

قال: الكفار من كفر بنبوتي، والعنيد من عاند علي بن أبي طالب[١].

ونقول:

أولاً: دلت هذه الرواية على جواز التوسل بالأنبياء والأوصياء. وأن ذلك ليس من الشرك في شيء.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» مستجاب الدعوة، وكذلك الوصي، ولا يحتاجان إلى التوسل بأحد، ولكنهما «عليهما الصلاة والسلام» يتعاملان مع نفسيهما كما يتعامل سائر الناس مع أنفسهم، فلا يأخذان معنى العصمة في تعاملهما هذا.. ومن فوائد ذلك تجسيد معنى الأسوة والقدوة بصورة عملية؛ إذ لو فهم الناس أنهما يتعاملان على أساس حقيقة النبوة والإمامة، ليشعر الناس بالعجز عن التأسي بهما، والمجارات لهما..

ثالثاً: المطلوب هنا: تعريف ابن مسعود بأمور:

أحدها: أن يرى بأم عينيه وبصورة عملية مقام علي «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله».

---

(١) بحار الأنوار ج٣٦ ص٧٣ و ٧٤ وج٤٠ ص٤٣ و ٤٤ عن جامع الفوائد، وعن الفضائل لشاذان، وتأويل الآيات ج٢ ص٦١٠ ـ ٦١٢ والفضائل لشاذان ص١٢٨ و ١٢٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢١٩ ـ ٢٢١ و ٤١٧ ـ ٤١٩ والدر النظيم ص٧٦٥ و ٧٦٦ واللمعة البيضاء ص١٠٧ و ١٠٨ وغاية المرام ج٤ ص١٦٣ وج٧ ص٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٢٥٠.

الثاني: تعريفه بمدى اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأمته، واهتمام علي «عليه السلام» بشيعته.

الثالث: أن هذا الهمَّ همٌّ حقيقي، يحمله كل منهما إلى خلواته، ويناجي به ربه، ويبذل الجهد في العبادة والتبتل إلى الله من أجله..

الرابع: أن محبة النبي «صلى الله عليه وآله» للمطيعين لا تعني سعيه لعذاب وشقاء العاصين، بل هو يسعى لإنقاذهم من البلاء، وتخليصهم من العذاب والعناء والشقاء.

رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» حين قال لابن مسعود: أكفر بعد إيمان؟! قد أعطاه جرعة تفيده في التحمل والتماسك والثبات، وتؤهله لتلقي ما هو أعظم، مما تضمنته أقواله «صلى الله عليه وآله» من حقائق ودقائق، حول هذه الموجودات النورانية السامية المقام، ليقيم بذلك الحجة على ابن مسعود، ولتكون له ذخراً وملاذاً في الأيام الصعبة، حين تهجم عليه وعلى غيره اللوابس، وتعصف رياح الشبهات، وتلقي ظلم الأضاليل والأباطيل والترهات بكلاكلها..

فلعله يستعين بها على إنقاذ غيره.. وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة، وما ربك بظلام للعبيد.

النبي شجرة، وعلي فرعها:

عن أبي الزبير، عن جابر: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات، وعلي «عليه السلام» تجاهه، فأومأ إليَّ وإلى علي «عليه السلام»، فأتيناه، فقال: ادن مني يا علي.

فدنا علي منه، فقال: أطرح خمسك في خمسي ـ يعني كفك في كفي ـ يا علي، أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة.

يا علي، لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله تعالى في النار(١).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ وتقول الرواية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أومأ إلى جابر، وإلى علي «عليه السلام» معاً، ولكنه وجه الخطاب لعلي «عليه السلام» دون سواه.. فهل أراد «صلى الله عليه وآله»: أن يتخذ جابراً كشاهد على ما يجري؟! وقد أشار إليه معه ليفهم أنه هو الآخر يتحمل مسؤولية تجاه ما سيقوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»!!

---

(١) الفصول المئة ج٣ ص٢٨٩ وفرائد السمطين ج١ ص٥١ ح١٦ وعن الرسالة القوامية في فضائل الصحابة، وراجع إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص١٨٠ و٨٣ وج٩ ص١٥٨ وج١٦ ص١٢٤ و ١٢٥ وج١٧ ص١٨٤ وج٢١ ص٤٤٢ وج٢٣ ص١٣٥ وج٣١ ص٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٦٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين الكوفي ج١ ص٢٤٢ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص٥٢ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٢٦ وينابيع المودة ج١ ص٢٧٠ وغاية المرام ج٣ ص٦٢ و ٦٣ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٣٤ .

٢ ـ قد يقال: إن جابراً توهم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أومأ إليه، وهو إنما أومأ لعلي «عليه السلام» فقط..

ونجيب:

بأنه يستشم من الرواية: أن جابراً كان في ناحية أخرى في ذلك المجلس، ولم يكن إلى جانب علي «عليه السلام»، حيث صرح جابر: بأن علياً كان تجاه النبي، وسكت عن نفسه، ولو كان جابر في نفس الإتجاه لقال: وأنا وعلي «عليه السلام» تجاهه..

٣ ـ إذا ترجح أنهما كانا في موضعين مختلفين، فذلك يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» أومأ إيماءتين، إحداهما لعلي «عليه السلام»، والأخرى لجابر «رحمه الله»..

٤ ـ إن وضع علي «عليه السلام» خمسه في خمس النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشير إلى التلاحم، وإلى تمام الإنسجام والتطابق بينهما.. وعلى استيعاب هذا التطابق وهذا التلاحم كما تستوعب الكف بخمس أصابعها الكف الأخرى بخمس أصابعها أيضاً.

٥ ـ ثم أعلن «صلى الله عليه وآله» هذا التوافق والتطابق ـ بالقول ـ ليؤكد هذا الفعل، فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» : أنا وأنت يا علي من شجرة واحدة.

٦ ـ وحيث إن ذلك لا يمنع من أن يكون غيرهما أيضاً من شجرة، كما لا يمنع من أن يكون أشخاص آخرون من النبي «صلى الله عليه وآله» (مع علي «عليه السلام» أو بدونه) فقد شفع ذلك بقوله النافي لهذه الإحتمالات،

حين فصل حقيقة هذه الشجرة بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أصلها، وعلياً فرعها، والحسنين غصناها، فلم يبق في الشجرة مكان تمكن المشاركة فيه لأي كان من الناس..

٧ ـ بينت هذه الرواية: أن لهؤلاء الأطهار حقيقة منسجمة، ومتوافقة في آثارها، وأحوالها وأطوارها، وفي الأمر الأهم للإنسان، الوصول للجنة بالتعلق بأي غصن من أغصانها.

وإذا كانت الأغصان منطلقة من الفرع، والفرع منطلق من الأصل، فذلك يعني أنه يحمل حقيقته، وخصائصه في عمق ذاته وكنهه.

٨ ـ ثم صرحت الرواية: بأن الأعمال لا تقبل من مبغضي علي «عليه السلام»، مهما بلغت في كثرتها، وشدة معاناة الإنسان لها في حياته الدينا..

وهذا المضمون مؤيد بمضامين كثيرة جداً أو متواترة تؤكد على أن الأعمال لا تقبل بدون ولاية ولاية علي «عليه السلام» حتى لو صام نهاره، وقام ليله، وحج دهره.. بل قد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب أن الفقرة الأخيرة، في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1]، تدل على ذلك أيضاً.

٩ ـ وحيث إن هذا الحدث قد كان في عرفات، فمن المتوقع أن يكون كثير من الناس قد شهدوه، وسمعوا ورأوا ما جرى..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ومعنى هذا: أن الإيماءة النبوية لجابر وعلي «عليه السلام» ستثير الأسئلة عن سبب عدم مخاطبة جابر بشيء من الكلام رغم الإشارة إليه.. ويكون نفس هذا اللغز من أسباب تذكر الحدث، والتأمل فيه، وفي مراميه ومغازيه.

تكذيب سلمان بحضرة النبي صلى الله عليه وآله:

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً لأصحابه: أيكم يصوم الدهر؟!

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فأيكم يحيى الليل؟!

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

قال: فأيكم يختم القرآن في كل يوم.

فقال سلمان: أنا يا رسول الله.

فغضب بعض أصحابه، فقال: يا رسول الله، إن سلمان رجل من الفرس، يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش.

قلت: أيكم يصوم الدهر؟!

فقال: أنا، وهو أكثر أيامه يأكل.

وقلت: أيكم يحيى الليل؟

فقال: أنا، وهو أكثر ليلة ينام.

وقلت: أيكم يختم القرآن في كل يوم؟!

فقال: أنا، وهو أكثر نهاره صامت.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: مه يا فلان، أنى لك بمثل لقمان الحكيم؟! سله فإنه ينبئك.

فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله، أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟!

قال: نعم.

فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل.

فقال: ليس حيث تذهب، إني أصوم الثلاثة في الشهر، وقال الله: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾(١)، وأصل شعبان بشهر رمضان، فذلك صوم الدهر.

فقال: أليس زعمت أنك تحيي الليل؟!

فقال: نعم.

فقال: أنت أكثر ليلك نائم.

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من نام على طهر، فكأنما حيا الليل كله، وأنا أبيت على طهر.

فقال: أليس زعمت أنك تختم القرآن في كل يوم؟!

قال: نعم.

قال: فإنك أيامك صامت.

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأنعام.

فقال: ليس حيث تذهب، ولكني سمعت حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن، مثلك في أمتي مثل ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[(١)]، فمن قرأها مرة، فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، ومن أحبك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان. والذي بعثني بالحق يا علي، لو أحبك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لك لما عذب أحد بالنار.

وأنا أقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات.

فقام وكأنه ألقم حجراً[(٢)].

---

(١) الآية ١ من سورة التوحيد.

(٢) الأمالي للصدوق ص٨٥ وفضائل الأشهر الثلاثة للصدوق ص٤٩ ومعاني الأخبار ص٢٣٤ وروضة الواعظين ص٢٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣١٧ وج٣٩ ص٢٥٧ وج٧٣ ص١٨١ وج٨٩ ص٣٤٥ وج٩٤ ص٩٣ وغاية المرام ج٦ ص١٤٤ والفصول المئة ج٣ ص٢٨٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٣٩٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٨ ص٣٧٩ والدرجات الرفيعة ص٢١٢ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٣٦٩.

ونقول:

١ ـ لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعرف سلمان، أكثر مما يعرفه سائر أصحابه. ويعرف أنه يفطر ويصوم، وينام الليل، وكان يراه صامتاً في كثير من أيامه. ولكنه ليس فقط لم يعترض على سلمان، بل وقف في موقع المدافع عنه، بل هو قد تجاوز الدفاع إلى الثناء العظيم عليه، وجعله مثل لقمان الحكيم.

٢ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله» لذلك المتهجم على سلمان: سله ينبئك، يشير إلى ثقته بأن سلمان يملك الجواب الكافي والشافي.

٣ ـ إن تشبيه سلمان بلقمان الحكيم يشير إلى أنه «رحمه الله» يضع الأمور في مواضعها بدقة متناهية، وليس في تصرفاته وأقواله زلل ولا خطل..

٤ ـ إن كلمة أنى لك بمثل فلان، تشير ـ بعد استثناء علي وفاطمة والحسنين «عليهم السلام»، الذين لا يقاس بهم أحد ـ إلى أنه لا نظير لسلمان في دقة مواقفه، وصوابية أقواله، وموافقتها للحكمة.

٥ ـ إن ذلك الذي تهجَّم على سلمان كان من المهاجرين، وكان قرشياً فيما يظهر..

٦ ـ إنه قد تكلم بمنطق أهل العصبية الجاهلية الذي لا يقره الإسلام، ولا يرضاه أهل العقل والدين، فقد اعتبر سلمان فارسياً يريد أن يفتخر على قريش.

٧ ـ إن جواب سلمان يدل على مدى علمه وفقاهته، ودقته في فهم كلام الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو يفهم ويعمل بما يفهم..

٨ ـ لعل تشبيه علي «عليه السلام» في الأمة بقل هو الله أحد قد جاء ليظهر أن الإيمان كله يتمحور حول علي «عليه السلام»، ويقوم به، وقد أوضح ذلك كلام الرسول الذي نقله سلمان أيما إيضاح.

٩ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى توضيح مراد سلمان، بل ترك الأمر إليه، ربما لكي لا يتوهم متوهم أنه «صلى الله عليه وآله» قد أحسن الظن بسلمان، وأنه يبعد أن يكون سلمان قد نحى هذا المنحى الدقيق..

١٠ ـ ومن يدري؟! فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يفسح المجال أمام سلمان ليظهر هذه الكرامة العظيمة لعلي «عليه السلام»، بهذه الصورة التي جاءت مثيرة ومؤثرة.

رسول الله يخبر علياً بما يكون:

عن علي «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

يا علي! كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا. وأكلوا التراث أكلا لماً، وأحبوا المال حباً جماً واتخذوا دين الله دخلاً ومال الله دولاً؟

قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار الله ورسوله والدار الآخرة وأصبر على مصائب الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله!

قال: صدقت، اللهم افعل ذلك به[1].

---

(١) ينابيع المودة ص٢١٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٢٨٠ وذخائر العقبى ص١٠١ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٤٦٣ وتفسير فرات ص٥٥٥ وجواهر =

ونقول:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يوجه كلامه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ليعلن موقفه من أحداث لا يقرها الشرع، ويأباها الوجدان والضمير الحي، كان «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعلمه بوقوعها، لتكون عنواناً مشيراً إلى أن تغير الأحوال وتحولها باتجاه لا يرضاه الله تبارك وتعالى..

٢ ـ إن هذا الإخبار معناه: أن معرفة موقف علي «عليه السلام» وطريقة تعامله مع هذا الواقع أمر مهم جداً، يبرر أهمية السؤال عنه..

٣ ـ إن هذا السؤال يشير أيضاً: إلى أن هذا الأمر يعني علياً «عليه السلام» أكثر من أي شخص آخر.

٤ ـ وهو يعني: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سيكون غائباً بحسب الظاهر..

إذ لو كان حاضراً لكان موقفه هو الذي يحدد مسار الأحداث..

٥ ـ إن ما سوف يستجد سيكون له تجذر في أعماق النفوس، ثم ينطلق منها له ليتجسد حركة وسلوكاً وموقفاً على صعيد الواقع الخارجي العام..

٦ ـ قد أوضح جواب علي «عليه السلام»: أنه سوف لا يتعامل بانفعال وإنما بحكمة وروية.. حيث أخبر أنه سوف لا يهتم لما يصدر عنهم من

= المطالب في مناقب الإمام علي لابن الدمشقي ج١ ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق ج١٨ ص١٣٦ وج٣٢ ص٢٣٢ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص٢١١.

أفعال، بل هو يلتزم بما يرضي الله ورسوله، ويحقق الفوز بالآخرة.. مهما كلفه ذلك من مصائب وبلايا، ومحن ورزايا في الدنيا، نتيجة لطغيان الأهواء، والنزوات، ويقظة أحقاد وعصبيات.

٧ ـ وقد صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصدق علي «عليه السلام»، ووفائه في تعهداته، ولكنه طلب من الله تعالى أن يشمله برعايته، ويمده بالطافه، لما يعلم من شدة الأمر، وعظيم البلاء والإبتلاء فيه.

آية حب أهل البيت حب علي عليه السلام:

عن أبي بردة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم ونحن حوله: والذي نفسي بيده، لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟! وعن جسده فيما أبلاه؟! وعن ماله مما كسبه وفيما أنفقه؟! وعن حبنا أهل البيت؟!

فقال عمر: يا رسول الله، وما آية حبكم من بعدك؟!

قال: فوضع يده على رأس علي بن أبي طالب «عليه السلام» ـ وهو إلى جنبه ـ فقال: آية حبنا من بعدي حب هذا[1].

---

(١) الفصول المهمة ص١٢٥ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٧٩ وراجع ج٣٩ ص٢٩٩ وفوائد العراقيين لابن عمرو النقاش ص٤٩ والمناقب للخوارزمي ص٧٦ و ٧٧ وكشف الغمة ج١ ص١٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٢٣٥ وج١٨ ص٣٥٦ و ٤٧٨ وج٢٠ ص١٣٥ وج٢١ ص٣٤٢ وج٢٤ ص٣٩٣ =

ويلاحظ هنا:

أولاً: لا ندري لماذا اختار عمر بن الخطاب السؤال عن علامة حب أهل البيت «عليهم السلام»، ولم يسأل عن شيء له ارتباط بالأمور الثلاثة التي سبقتها!! هل أراد أن يعرف علامة حب أهل البيت، ليكتشف الأشخاص الذين يحملون هذا الحب، فيتعامل معهم وفق ما يرتأيه وتفرضه عليه سياساته في الأحوال المختلفة؟!

أم أنه أراد أن يعرف نفسه إن كان يحمل، أو لا يحمل هذا الحب لهم «عليهم السلام»؟!

وهل يجب أن تكون لهذا الحب علامة يعرف الناس من خلالها المحب والمبغض؟!

ثانياً: حبذا لو سأل عمر عن الأمور التي ينبغي إفناء العمر فيها، أو عن الأمور التي ينبغي إبلاء الجسد فيها، أو عن المواضع التي يصح كسب المال فيها، والمواضع التي يجب إنفاقه فيها!!.. وعن الأمور التي تزيد هذا الحب قوة لدى صاحبه، أو عن موجبات الحصول على هذا الحب لدى من لا يملك شيئاً منه، أو نحو ذلك!!

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» جعل الميزان هو حبهم «عليهم السلام»

= ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٤ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤٤ وكشف اليقين ص٢٢٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٥٨٤ وينابيع المودة ج١ ص٣٣٦ و ٣٣٧ وغاية المرام ج٣ ص٩٣ .

من بعده، فإنها هي الفترة التي يمتحن فيها الناس، وتشرئب فيها الأعناق لنيل المقامات والمناصب مهما غلت القيم التي سيبذلونها في هذا السبيل، ومهما بلغ الظلم الذي سيمارسونه .

أبو ذر وحديث الرحى:

روى محب الدين الطبري، بسنده عن أبي ذر قال: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أدعو علياً. فأتيته، فناديته، فلم يجبني، فعدت وأخبرت [رسول الله]، فقال: عد إليه وادعه، فهو في البيت.

قال: فعدت وناديته، فسمعت صوت الرحى تطحن، فشارفت الباب، فإذا الرحى تطحن وليس معها أحد!!! فناديته، فخرج إلي منشرحاً، فقلت له: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوك.

فجاء.

ثم لم أزل أنظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وينظر إلي، فقال: يا أبا ذر، ما شأنك؟!

فقلت: يا رسول الله، عجب من العجائب، رأيت رحى في بيت علي تطحن وليس معها أحد يديرها!!!

فقال: يا أبا ذر، إن لله ملائكة سياحين في الأرض، وقد وكلوا بمعونة آل محمد[1].

(١) ذخائر العقبى ص٩٨ والرياض النضرة ج٣ ص٢٠٢ وجواهر المطالب لابن =

ونقول:

يلاحظ في الرواية الأمور التالية:

١ ـ إن عدم جواب أمير المؤمنين لأبي ذر «رحمه الله» حين ناداه في المرة الأولى قد يكون لأجل انشغاله بالصلاة، أو لغير ذلك من أسباب، ارتفعت حين عاد إليه في المرة الثانية.

٢ ـ ما معنى أن يشارف أبو ذر ليرى الرحى، وهي تطحن، ألا يعد ذلك من محاولة النظر إلى العورات؟! أو من التطلع في الدور المنهي عنه؟!

ونجيب:

أولاً: قد يكون أبو ذر على علم بخلو الدار من النساء، وعلى علم أيضاً بأن علياً أو غيره، ممن يحتمل أن يكونوا هناك كانوا في وضع طبيعي، لا يزعجهم اطلاع الناس عليه.

ثانياً: لعل هذه الرحى كانت في مكان لا يحظر على الناس الإشراف عليه، أو الوصول اليه.

٣ ـ قد يمكن إبداء احتمال أن تكون ثمة رغبة في اطلاع أبي ذر على تلك الرحى، وهي تعمل بنفسها. ليخبر الناس بما رأى. وهو الذي أعلم

= الدمشقي ج١ ص٢٦٤ وينابيع المودة ج٢ ص١٨٧ و ٣٨٠ و ٤٦٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٧٠٦ وج١٨ ص١٩٧ و ٢١١ و ٤٨٤ وج١٩ ص١٥١ وج٢٤ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وج٣١ ص٢٠٨ و ٤٢٥ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٠٦ عن الصواعق المحرقة، والغدير ج٤ ص١٤٥ .

الرسول الاعظم الناس، بأنه ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من ذي لهجة أصدق منه.

٤ ـ لقد بين «صلى الله عليه وآله» أن حديث الرحى ليس مجرد كرامة عابرة، قد يتوهم زوالها بزوال أو باختلال موجبات استحقاقها. بل هو كرامة إلهية ثابتة وباقية ببقاء هذا التوكيل الإلهي لأولئك الملائكة بمعونة آل محمد في أي مكان في الأرض، وفي أي زمان احتاجوا فيه إلى المعونة.

فالحديث عن توكيل الملائكة يشير إلى بقاء واستمرار موجبات هذه الكرامة لآل محمد «صلى الله عليه وآله».

٥ ـ كان يمكن للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يخبر الناس بأمر هؤلاء الملائكة، من دون انتظار ما جرى.. والحقيقة هي: أن اقتران الخبر بالحدث، ثم الانتظار التعجبي، وتأمل أبي ذر للحصول على تفسير ما رأى سيكون أشد تأثيراً في حفظه ما يراد له حفظه، ويجعله أكثر دقة في فهم المراد، وإدراك المعنى التطبيقي والعملي للكلمة التي يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطلقها.

رابع الخلفاء كيف؟ ولماذا؟!:

عن علي «عليه السلام» قال: بينما انا أمشي مع النبي «صلى الله عليه وآله» في بعض طرقات المدينة، إذ لقينا شيخ طوال، كث اللحية، بعيد ما بين المنكبين، فسلم على النبي «صلى الله عليه وآله»، ورحب به. ثم التفت إلي، فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته: أليس كذلك هو يا رسول الله؟!

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بلى.

ثم مضى، فقلت: يا رسول الله، ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ، وتصديقك له؟!

قال: أنت كذلك والحمد لله، إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، والخليفة المجعول فيها آدم «عليه السلام».

وقال: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ**﴾[2]، فهو الثاني.

وقال عز وجل حكاية عن موسى حين قال لهارون «عليهما السلام»: ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**﴾[3]، فهو هارون إذ استخلفه موسى «عليه السلام» في قومه، فهو الثالث.

وقال الله عز وجل: ﴿**وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الْأَكْبَرِ**﴾[4]، فكنت أنت المبلغ عن الله وعن رسوله، وأنت وصيي، ووزيري، وقاضي ديني، والمؤدى عني، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أولا تدري من هو؟!

---

(١) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٦ من سورة ص.

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٣ من سورة التوبة.

قلت: لا.

قال: ذاك أخوك الخضر «عليه السلام»، فاعلم[1].

ونقول:

إن هذه الرواية تشير إلى العديد من الأمور، نذكر منها:

١ ـ إن الخضر «عليه السلام» وإن كان قد تحدث عن الأنبياء والخلفاء من السابقين. ولكنه فيما يبدو قد استخدم التورية، فأشار إلى ما يأتي. وأشار إلى ما سبق في آن واحد، ليدل على أنه يعلم أن علياً سيكون الخليفة الرابع في اللاحق، كما هو علي في السابق.

ولكن شتان بين أن آدم وداود وهارون، وعلي «عليه السلام» رابعهم. فإنهم أنبياء جعل الله الخلافة لله كما جعلها له.

وبين أبي بكر وعمر وعثمان، فإنهم قد تغلبوا «صلى الله عليه وآله»أخذوا ما ليس لهم بحق رغم كل هذه التأكيدات من الله ورسوله على أنه لا يحق لأحد سوى علي «عليه السلام» أن يتصدى لهذا الأمر.

٢ ـ إن هذا الإلماح قد أريد به تعريف الناس: بأن الأمور سوف تجري

---

(١) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٩ رقم الحديث ٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص١٢ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٤١٧ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤١٩ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٢٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٨ وينابيع المودة ج٣ ص٤٠٢ و ٤٠٣ وغاية المرام ج٢ ص٧٨ وج٤ ص٨٢ وعن العوالم ص٣٠٩.

على خلاف ما يرضي الله تبارك وتعالى، وأن ثمة من يسعى لنقض تدبير رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد وفاته.

٣ ـ إن الخضر قد استشهد برسول الله على صحة ما يخبر به، ليفيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين يؤكد هذا الخبر، فإنه يدل على أن خلافة علي «عليه السلام» أمر إلهي، كخلافة آدم وداود وهارون، وليس لأحد أن يختار أو أن يرد على الله، ولأجل ذلك لا بد أن يستمر «صلى الله عليه وآله» في التأكيد على إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» بعده، وأن يأخذ البيعة له من الناس في غدير خم. رضي الناس أم غضبوا، فإن الأمر لله يضعه حيث يشاء.. والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يفعل المتناقضات، وليس غافلاً عما يدبر في الخفاء، ولكنه مكلف بأن يقيم الحجة على الناس. وأن يعرفهم: أنهم يخالفون أمر الله إن لم يرضوا بعلي «عليه السلام». وأنهم إن زعموا رضا الله ورسوله بسوى ذلك، فإنما يخدعون بذلك الناس، وأنفسهم.

٤ ـ إن علياً «عليه السلام» بدوره لم يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك الشيخ من هو؟! بل سأل عن الذي قاله الشيخ له. لكي يصرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالتأكيد على قوله مرة أخرى. لأنه يعلم أن ما يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وهو الصادق الأمين ـ في جواب ذلك الشيخ هو المطلوب من الناس أن يسمعوه وأن يعوه. وأن يعرفوه حتى لا يتلاعب به المتلاعبون وأصحاب الطموحات..

٥ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أكد في جوابه لعلي «عليه السلام» من خلال استشهاده بأربع آيات قرآنية على أن علياً «عليه السلام» رابع

الخلفاء، وأنه كأولئك الأنبياء، واغتصاب هذا الأمر منه لا ينقص من مقامه، ولا يبطل خلافته ولا يسقطها، وأن سعي أولئك الناس في إبطال خلافته «عليه السلام» لن يؤتي ثماره التي منه.. بل قد يستفاد منه الإشارة ولو بنحو من الخفاء إلى أن علياً سيصل إلى ذلك الأمر الذي يجهدون في طمسه، بعد أن يتولى الأمر ثلاثة منهم.

٦ ـ ومن الواضح: أن تولي ثلاثة منهم الخلافة قبل علي «عليه السلام» سوف يجعل الناس يتيقنون بعدم وصوله «عليه السلام» إلى هذا الأمر، ولا سيما حين يتولى ثالثهم،الذي يقوم معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، ومعهم سياساتهم الهادفة إلى إخمال ذكره «عليه السلام»، والحيلولة بينه وبين الخلافة، فإن ذلك سيزيد من يقين من الناس باستحالة وصوله «عليه السلام» إلى هذا الأمر.

٧ ـ يلاحظ: أن الآيات الأربع عن آدم وداود وهارون، وعن إبلاغ علي «عليه السلام» يوم الحج الأكبر، قد تضمنت الحديث عن خصوص الخلافة الفعلية في الناس. والهيمنة على قرارهم، ولم تتحدث عن خصوص معنى الإمامة، بصورة تجريدية، وفكرية، وإيمانية بحتة..

كما أن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: وأنت وصيي ووزيري إلخ.. قد أشار إلى هذه الخلافة العملية التي تتصرف في الشؤون، وتدير وتدبر الأمور بصورة فعلية أيضاً.

٨ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أخبر علياً «عليه السلام» بأن الذي تكلم بذلك هو الخضر، فالكلام قد صدر من نبي، وليس من إنسان عادي، قد

يخطئ أو يقصر في بيان مراميه. ولا يتكلم الأنبياء إلا بوحي من الله.. وذلك يعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر الخضر «عليه السلام» بأن يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ويقول ذلك. وعلى الناس أن يأخذوا ذلك بجدية تامة.. فإن الله تعالى لم يفعل ذلك عبثاً، ولا كان ذلك مجرد مداعبة من الخضر «عليه السلام».

٩ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لعلي «عليه السلام» أنه الخضر، بل قال: إنه أخوك الخضر، وهذا معناه: أن أخوة علي للأنبياء لم تكن لدواع شخصية، وإنما هي أهلية اختص الله تعالى بها علياً «عليه السلام».

الفصل الخامس:

علي عليه السلام في سورة هل أتى..

سورة هل أتى:

روى ابن بابويه قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا شعيب بن واقد، قال: حدثنا القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وحدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال: حدثنا الحسن بن مهران، قال: حدثنا سلمة بن خالد، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه «عليهما السلام» في قول الله عز وجل: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**﴾[(١)]، قال: «مرض الحسن والحسين «عليهما السلام» وهما صبيان صغيران، فعادهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنيك نذراً لله إن عافاهما الله.

فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة «عليها السلام».

وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة.

---

(١) الآية ٧ من سورة الإنسان.

فألبسهما الله العافية، فأصبحوا صائمين وليس عندهم طعام.

فانطلق علي «عليه السلام» إلى جار له من اليهود، يقال له: شمعون، يعالج الصوف، فقال: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير.

قال: نعم.

فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير، وأخبر فاطمة «عليها السلام»، فقبلت وأطاعت. ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف. ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص.

وصلى علي «عليه السلام» مع النبي «صلى الله عليه وآله» المغرب، ثم أتى منزله، فوضع الخوان، وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي «عليه السلام» إذا مسكين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة.

فوضع اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين

أما ترين البائس المسكين ... جاء إلى الباب له حنين

يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائع حزين

كل امرء بكسبه رهين ... من يفعل الخير غداً يدين

موعده في جنة رهين ... حرمها الله على الضنين

وصاحب البخل يقف حزين تهوي به النار إلى سجين

شرابه الحميم والغسلين يمكث فيه الدهر والسنين

فأقبلت فاطمة «عليها السلام» تقول:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة ما بي من لؤم ولا ضراعة

غذيت باللب وبالبراعة أرجو إذا أشبعت من مجاعة

إذن ألحق الأخيار والجماعة وأدخل الجنة في شفاعة

وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعاً، وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير، فطحنته وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص.

وصلى علي «عليه السلام» المغرب مع النبي «صلى الله عليه وآله» ثم أتى إلى منزله، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي «عليه السلام» إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة.

فوضع علي «عليه السلام» اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم

قد جائنا الله بذا اليتيم من يرحم اليوم فهو رحيم

موعده في جنة النعيم حرمها الله على اللئيم

وصاحب البخل يقف ذميم تهوي به النار إلى الجحيم
شرابه الصديد والحميم

فأقبلت فاطمة «عليها السلام» تقول:

فسوف أعطيه ولا أبالي وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي أصغرهما يقتل في القتال
بكربلاء يقتل باغتيال لقاتليه الويل مع وبال
تهوي به النار إلى سفال كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت، فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح، فأصبحوا صياماً.

وعمدت فاطمة «عليها السلام» فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته، وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص، وصلى علي «عليه السلام» المغرب مع النبي «صلى الله عليه وآله» ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان، فجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي «عليه السلام» إذا أسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا!!

فوضع علي «عليه السلام» اللقمة من يده، ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد بنت نبي سيد مسود
قد جائك الأسير ليس يهتد مكبلاً في غله مقيد
يشكو إلينا الجوع قد تقدد من يطعم اليوم يجده في غد

عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد
فأطعمي من غير منٍ أو نكد

فأقبلت فاطمة «عليها السلام» وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع قد دبرت كفي مع الذراع
شبلاي والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع
وما على رأسي من قناع إلا عباء نسجها بصاع

وعمدوا إلى ما كان على الخوان، فأعطوه، وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي «عليه السلام» بالحسن والحسين «عليهما السلام» نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: يا أبا الحسن، أشد ما يسؤني ما أرى بكم. انطلق إلى ابنتي فاطمة «عليها السلام».

فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضمها إليه وقال: «وا غوثاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى»!!

فهبط جبرائيل «عليه السلام»، فقال: «يا محمد، خذ ما هيأ لك في أهل بيتك».

فقال: وما آخذ يا جبرائيل؟!

قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[١].

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي «صلى الله عليه وآله» حتى دخل منزل فاطمة «عليها السلام»، فرأى ما بهم، فجمعهم ثم انكب عليهم يبكي، وقال: «أنتم منذ ثلاث فيما أرى، وأنا غافل عنكم».

فهبط جبرائيل بهذه الآيات: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[٢].

قال: هي عين في دار النبي «صلى الله عليه وآله» تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[٣].

يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين، وجاريتهما فضة[٤].

---

(١) الآيات ١ ـ ٢٢ من سورة الإنسان.

(٢) الآيتان ٥ و ٦ من سورة الإنسان.

(٣) الآية ٧ من سورة الإنسان.

(٤) راجع: البرهان (تفسير) ج٨ ص١٧٩ ـ ١٨٢ و(ط مؤسسة إسماعيليان ـ الطبعة الثالثة) ج٤ ص٤١٢ ـ ٤١٣ وغاية المرام ج٤ ص١٠٠ والأمالي للصدوق ص٣٢٩ وروضة الواعظين ص١٦٠ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٣٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٦٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٧١ و ٤٧٤ وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٩٨ وتفسير الثعلبي ج١٠ ص١٠١ ونهج الإيمان ص١٧٤ وبناء =

ونقول:

إن هذا الحديث قد روي بطرق كثيرة يصعب حصرها وجمعها.. وقد اخترنا منها النص الآنف الذكر، وإن كنا نرى في بعض أبيات الشعر المذكور خللاً من ناحية الوزن. ومن ناحية العربية أيضاً. لكن سائر النصوص خالية من الشعر المذكور.

وعلى كل حال، فإن لنا كتاباً في جزئين في تفسير سورة هل أتى، لا بد لنا من إحالة القارئ الكريم عليه.. فلعله يكون مفيداً في هذا الموضوع. ونحن هنا نعتمد على هذه الإحالة. ولا نذكر هنا إلا لمحات يسيرة جداً، قد لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، فلاحظ ما يلي من عناوين:

تشكيكات واهية:

قد يقال: لماذا يبقى الصائمون ثلاثة أيام بلا طعام، مع أنه قد بقي عندهم في اليوم الأول صاعان من شعير، كان يمكنهما طحن صاع منه وخبزه، بعد تصدقهما بالأقراص مباشرة. فإن الوقت إلى طلوع الفجر يسع ذلك؟!.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن التصريح بالأيام الثلاثة قد ورد في بعض الروايات دون بعضها الآخر، إذ إن بعضها يقول: «فلما تم إنضاجه، أتى مسكين،

= المقالة الفاطمية ص٢٣٥ والعمدة لابن البطريق ص٣٤٨ وخصائص الوحي المبين ص١٧٩.

فأخرجوا إليه الطعام.. ثم عمل الثلث الثاني. فلما تم إنضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الثالث، فلما تم إنضاجه، أتى أسير الخ..»[١].

ورواه القمي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وفيه: أنهم جعلوا الشعير عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فأعطوه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم، فأعطوه الثلث الثاني، ثم جاء أسير، فأعطوه الثلث الباقي، وما ذاقوها[٢].

وفي نص آخر: كانت عندهم ثلاثة أرغفة ـ قال ـ: فجلسوا ليأكلوا، فأتاهم سائل، فقال: أطعموني فإني مسكين.

---

(١) مجمع البيان ج١٠ ص٤٠٤ و ٤٠٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١٠ ص٢٠٩ و ٢١٠ وتفسير القمي ج٢ ص٣٩٨ وراجع: ذخائر العقبى ص١٠٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٧٠ وأسباب نزول الآيات ص٢٩٦ وشواهد التنزيل ج٢ ص٤٠٥ وتفسير البغوي ج٤ ص٤٢٨ ومطالب السؤول ص١٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٤٥١ وج٢٠ ص١٥٣ و ١٥٥ و ١٦٠ وج٣٠ ص٤٥.

(٢) تفسير البرهان ج٨ ص١٧٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣٩٠ و (ط مطبعة النجف) ج٢ ص٣٩٨ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٦٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٣٧٥ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٢١٠ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٧٠ وغاية المرام ج٤ ص١٠٠.

فقام علي فأعطاه رغيفه، ثم جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم، فأعطته فاطمة الرغيف.

ثم جاء سائل، فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة، فأعطته الرغيف. وباتوا ليلتهم طاوين، فشكر الله لهم، فأنزل فيهم هذه الآيات(١).

ثانياً: قد يقال: إن اقتراض الشعير مقابل غزل الصوف(٢) لا يعني أنه تسلمها كلها من مقرضه، إذ لعل المطلوب هو أن يأخذ كل يوم صاعاً، مقابل ما ينجزه من الغزل..

ويرد هذا الإحتمال: أن الرواية تصرح بأنه «عليه السلام» قد جاء بالأصوع الثلاثة ووضعها في ناحية البيت.

فلعل الأصوب أن يقال: إن علياً «عليه السلام» لم يكن ليتصرف بهذا الشعير إلا بالمقدار الذي أنجز غزلاً في مقابله، ويشير إلى ذلك قول رواية الأمالي:

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٤٤٦ وشواهد التنزيل ج٢ هامش ص٤١٠.

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٤٠٤ وتفسير البرهان ج٨ ص١٧٩ والأمالي للصدوق ص٢١٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص٣٢٩ وروضة الواعظين ص١٦٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٤٧ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٣٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٦٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٣٧٥ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٧١ و ٤٧٤ وغاية المرام ج٤ ص١٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص١١٨ وج١٨ ص٣٣٩.

«ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعاً من الشعير، فطحنته الخ..

إلى أن قال: ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته..

إلى أن قال: وعمدت فاطمة «عليها السلام»، فغزلت الثلث الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي..»[١].

فلعل التملك أو التصرف في الشعير مشروط بتسليم أو بإنجاز مقدار معين من الغزل.

ثالثاً: لعل الأسباب لم تكن مهيأة للطحن في الليل، مثل: الإنارة، والحطب، وسائر ما يحتاجه تجهيز الطعام، ومن وسائل؟! ولعل الحركة في تلك الليالي لا تروق لكثير من الناس الساكنين في جوارهم. وتثير فضولهم، وتدفعهم للوقوف على ما لا يحب أهل البيت «عليهم السلام» أن يوقفوهم عليه، من منطلق الإباء والعزة، والشعور بالكرامة.. أو لغير ذلك من أسباب..

هل يحتمل هذا الجوع؟!:

وقالوا: كيف يمكن لإنسان أن يبقى ثلاثة أيام بلياليها بلا طعام،

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢١٢ فما بعدها و (ط مؤسسة البعثة) ص٣٢٩ ـ ٣٣٣ والبرهان ج٨ ص١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ وراجع: روضة الواعظين ص١٦٠ ـ ١٦٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص١٧٨ ـ ١٨٢ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٧ ـ ١٤٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٣٧ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٧١ .

ويفطر على الماء؟! ولا سيما إذا كان طفلاً قد لا يتجاوز عمره عد أصابع اليد الواحدة..

وأجيب: بأن وقوع ذلك أدل دليل على إمكانه.. وشاهدنا على ذلك كثرة الذين يضربون عن الطعام أياماً كثيرة، ولا يتناولون غير الماء، احتجاجاً على سياسات بعينها[(١)].

ولكن هذا الجواب، إنما يقبل في حق الكبار، أما الأطفال الصغار، فلا يقبل ذلك بالنسبة إليهم.. إلا في حالة الفوز باللطف والمدد الإلهي، حيث استحقاقهم في أعلى وجل الصور..

الآية عامة.. والرافضة يكذبون:

وقال ابن حزم: إن القول بنزول آية ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً في علي «عليه السلام» من أكاذيب الرافضة.

بل هذا لا يصح، لأن الآية على عمومها، وظاهرها لكل من فعل ذلك[(٢)].

وجوابه واضح:

أولاً: إن عموم معنى الآية لا ينافي نزولها في مورد خاص، بل هذا هو شأن كثير من الآيات، فإن مفهومها يكون عاماً وشاملاً، ولكنها تنزل في

---

(١) الفصول المئة ج٢ ص٢٢٢.

(٢) الغدير ج٣ ص١٠٦ عن ابن حزم، ونظرة في كتاب الفصل في الملل ص٤٨.

مورد بعينه، لتدل على أنه المصداق الأكمل، والأتم، والأظهر..

ثانياً: إن نسبة هذا القول للرافضة لا معنى له، لأن الحديث مروي عند العامة والخاصة، كما أوضحته المصادر التي أشرنا إليها فيما سبق، وقد أفرد العاصمي كتاباً لهذه السورة في مجلدين، باسم زين الفتى في تفسير سورة هل أتى. وليس العاصمي من الرافضة.

هل تجوز الصدقة بهذا المقدار؟!:

ذكر المحقق التستري في إحقاق الحق أنهم قالوا: أنكر هذه الرواية كثير من المحدثين وأهل التفسير، وتكلموا في أنه: هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد؟! ويجوِّع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك؟!

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾[1]، والعفو ما كان فاضلاً من نفقة العيال.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خير الصدقة ما يكون صنواً (لعل الصحيح: صفواً) عفواً[2].

وأجاب المحقق التستري بما يلي:

أولاً: إن أهل التفسير والمحدثين لم ينكروا الحادثة، وإنما هناك طائفة منهم لم يذكروها، بل أبقوا الآية على عمومها، ربما بقصد إخفاء هذه

(١) الآية ١٩ من سورة التوبة.

(٢) إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص١٧٠.

الفضيلة لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، أو لغير ذلك من أسباب.

ثانياً: فسر العفو تارة: بالفاضل من المال عن الحاجة. وفسر أخرى: بأفضل المال وأطيبه[١]، ويؤيده قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[٢].

ثالثاً: إن علياً «عليه السلام» لم ينفق قوت عياله، بل أنفق هو قوته، وهم بادروا إلى إنفاق قوتهم أيضاً[٣].

ويدل على ذلك: ما تقدم عن ابن المغازلي، من أن علياً «عليه السلام» أعطى المسكين رغيفه، فلما جاء اليتيم أعطته فاطمة «عليها السلام» رغيفها، فلما جاء الأسير قامت الخادمة فأعطته الرغيف[٤].

رابعاً: ونضيف إلى ما تقدم: أن الله قد مدح المؤثرين على أنفسهم، فقال عز وجل: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٥]. فلماذا لا يعدون هذا من الإيثار الممدوح والمحبوب لله تعالى؟! وقد ورد في هذه الرواية: أن علياً «عليه السلام» لما جاءهم الأسير قال: يا فاطمة، إني أحب

---

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص١٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٥٦.

(٢) الآية ٩٢ من سورة آل عمران.

(٣) إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص١٧٧.

(٤) المناقب لابن المغازلي ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٤٤٦ وشواهد التنزيل ج٢ هامش ص٤١٠.

(٥) الآية ٩ من سورة الحشر.

أن يراك الله وقد آثرت هذا الأسير على نفسك وأشبالك!! [(١)].

لكن في هذه الرواية التي أشرنا إليها فقرات تضمنت ما لا يمكن القبول به. فلا بأس بملاحظتها لمن أراد. وربما يكون الإيثار إلى هذا الحد جائز لهم دون سواهم، أو أنه كان جائزاً للناس كلهم، ثم نسخ.

مسكيناً ويتيماً وأسيراً:

وفي سورة هل أتى التي نزلت في هذه المناسبة دقائق وأسرار عظيمة، ربما نكون قد وفقنا للتنبه إلى نزر يسير منها في كتابنا: «تفسير سورة هل أتى». ولعل من المناسب ذكر فقرات منه. ونختار منه ما حاولنا فيه تسليط الضوء على التسلسل العفوي بين بعض عناصر هذا الحدث من خلال الآية، في خصوص المسكين واليتيم والأسير، فقلنا ما يلي:

١ ـ تنوين التنكير لماذا؟!:

إن أول ما يواجهنا هنا: أنه تعالى أورد هذه الكلمات: ﴿**مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾، منونة بتنوين التنكير، ولم يوردها محلاة بالألف واللام..

وربما يكون السبب في ذلك: هو أنه إذا قال: «المسكين، واليتيم، والأسير» فقد يوهم ذلك: إرادة خصوص المعهودين لديهم، والمعروفين عندهم، فيكون إطعامهم لهم ناشئاً عن عدة دواع متمازجة، ومتعاضدة في

---

(١) البرهان (تفسير) ج٨ ص١٨٣ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٧٥٠ ونهج السعادة ج١ ص٣٢ وغاية المرام ج٤ ص١٠٤.

التأثير، وفي الاندفاع إلى الإطعام.. لأن المعرفة بالشخص قد تدعو لإجابة طلبه، وكذا لو كان ذا قرابة مثلاً، أو من قومه، أو من بلده، أو مرتبطاً بذي قرابة، أو بصديق، أو جاراً، أو ما إلى ذلك..

أما تنوين التنكير فهو صريح في أنهم يطعمون أي مسكين، وأي يتيم، وأي أسير كان، ممن لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة.

وذلك يدل على أن اليتم والمسكنة والأسيرية هي المحرك الإنساني، وعلى أن الغاية هي وجه الله. وليس ثمة أية شائبة في هذا الخلوص، وذلك الإخلاص.. فليس في نفوسهم أية آثار لمؤثرات دنيوية أرضية غير إلهية، أو غير إنسانية.

فالدافع إنساني مرتبط بالمشاعر، والهدف إلهي، وقد تناغم هذا الهدف مع ذلك الداعي، فكان هذا الإيثار العظيم..

٢ ـ توافق الترتيب البياني مع الواقع الخارجي:

وقد حدثتنا الروايات: عن أن الواقعة التاريخية، قد حدثت وفق الترتيب الذي أورده القرآن، فقد جاء المسكين أولاً، ثم اليتيم، ثم الأسير..

وذلك هو التوفيق والتسديد الإلهي الظاهر.. لكي لا يبقى أي مجال للتفكير في أن ما هو افتراضي، قد لا يكون منسجماً مع حركة الواقع الخارجي، خصوصاً حينما تتوافر الدواعي في الإتجاه المعاكس كما سنبينه..

كما لا يبقى أيضاً مجال للقول: بأن الحديث هنا جارٍ في ما هو مثالي.. وقد لا يتوافق المثالي مع مقتضيات الواقع وشروطه.

بل نقول:

إنه حتى لو لم يكن الترتيب في الآية مطابقاً لما حصل بالفعل، فإن نفس أن يأتي سياقها القرآني على هذا النحو، ستكون له أهدافه وأغراضه التكريمية، أو البيانية لمعانٍ يريد الله لنا أن نتلمسها ونعرفها فيهم «عليهم السلام».. وقد تكون هذه المعاني الغيبية التي يكشفها الله لنا، رحمة بنا، وامتناناً منه تعالى علينا..

وحيث يأتي البيان على سبيل الإخبار عن طبيعة وسجية وديدن هؤلاء الصفوة، فإنه لا بد أن يزيد ارتباطنا بهم، وتعريفنا بحقيقتهم، ليكونوا لنا الأسوة والقدوة والمثل الأعلى.. فكيف، وقد تطابق الواقع الخارجي، مع السجية والطبيعة، فجاء المسكين، ثم اليتيم، ثم الأسير.. ليكون ذلك أدعى في الإقناع، وأوثق في الدلالة..

٣ ـ حالتان تصاعديتان تتعاكسان:

وحين نريد أن نبحث الموضوع بعمق، فسنجد أن هناك حالة تصاعدية في جهة السائلين، تقابلها حالة تصاعدية في ناحية الباذلين..

بمعنى أن الإنتقال كان في ناحية السائلين من الأعلى إلى الوسط، ثم إلى الأدنى.

ولكن الإنتقال في ناحية الباذلين كان من الأدنى.. وانتهى بالأعلى..

وهذا هو سر عظمة هذا الحدث، وهو أقوى تعبير عن حقيقة هؤلاء الصفوة الأطهار، حيث إنه يؤسس بصورة حية لفهم سرّ كل هذه الكرامة التي اختصهم الله بها، وهذا التشريف العظيم الذي حباهم سبحانه به..

وتوضيح ذلك يكون على النحو التالي:

٤ ـ المسكين.. والباذلون في اليوم الأول:

إننا إذا أردنا أن نوضح ذلك، برسم صورة تطبيقية، فسنجد: أن الذي أتى للصائمين في وقت إفطارهم، في اليوم الأول، هو «مسكين»، فمن هو هذا المسكين، وما هي حالته؟!

إن المسكين هو إنسان بلغ به الفقر أقصى مداه. إلى درجة أنه أسكنه، وجعله عاجزاً.

وقد روى أبو بصير «رحمه الله» عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «الفقير الذي لا يسأل، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهد منهما»[١].

وصيغة «مسكين»، تفيد التكثير.. أي يكثر سكونه، لأنه كلما أراد أن يتحرك للحصول على شيء أحس بعجزه، فيسكن..

ومعنى ذلك: أنه قد جرب حظه في الحياة أكثر من مرة، وبذل أكثر من محاولة للخروج من المأزق، فلم يفلح.

---

(١) بحار الأنوار ج٩٣ ص٥٧ و ٧٠ وتهذيب الأحكام ج٤ ص١٠٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٩١ ووسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج٦ ص١٤٤ ومستدرك الوسائل ج٧ ص١٠٣ وعوالي اللآلي ج٢ ص٧١ وج٣ ص١٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص١٧٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٢٩ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٦٠ وراجع: الكافي ج٣ ص٥٠٢ والمعتبر ج٢ ص٥٦٥ ومختلف الشيعة ج٣ ص١٩٩ .

وواضح: أن الإنسان إذا بلغ هذا الحد، فإن أمله يتضاءل ويذوي.. كما أنه يفقد شيئاً من عنفوانه، ومن قوة شخصيته.

إذن، فحالة هذا الشخص تثير العطف الشديد، وتوجد اندفاعاً قوياً لمساعدته، ممن يرى ذله، وعجزه، وحاجته، وانكساره..

وفي المقابل كان الباذلون للطعام، الذين تتحدث عنهم الآية الشريفة، قد صاموا يوماً كاملاً، واحتاجوا إلى الطعام بصورة حقيقية وفعلية، وضعفت أجسادهم، ولا سيما أجساد الأطفال الذين في جملتهم، وكانوا صائمين أيضاً..

وهؤلاء الأطفال ليسوا كسائر الأطفال، بل هم خيرة الله سبحانه من خلقه، وصفوته من عباده..

وقد كان من الطبيعي أن يتنازع أولئك الباذلين عاملان:

أحدهما: يدفعهم للبذل، وهو حالة المسكين الصعبة للغاية.. وحالة حاجتهم الذاتية للطعام..

وثانيهما: الحاجة العاطفية للإحتفاظ به، لأجل طفلين هما الغاية في الكمال، والنبل، والفضل، والصفاء.. ولا شك في أن أحداً على وجه الأرض، لا يملك مواصفاتهما، وميزاتهما.

فإمكانية الإستجابة للعامل الأول تبقى موجودة، وفيها شيء من القوة.. فإذا استجابوا له، فإنهم ـ ولا شك ـ يكونون قد قاموا بعمل عظيم، ولكنه ليس مستحيلاً، بسبب قوة التحريك للعطاء، من خلال الإنسجام العاطفي والإنساني، مع حالة المسكين.

ومن جهة أخرى: فقد كان بالإمكان أن يعطوا المسكين بعضاً من طعامهم على سبيل المشاركة، والتسوية بالنفس.. ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل اندفعوا بالإيثار إلى أقصى مداه، فأعطوه جميع ما أعدوه لإفطارهم. لأنهم أرادوا له أن يجد الفرصة لمراجعة حساباته، واستئناف تحركاته في سبيل عمل يخرجه مما هو فيه..

أضف إلى ذلك: أن هذا العطاء كان بالنسبة للباذلين، في ساعة حرجة جداً. وبالذات في ساعة الإفطار، حيث تلح النفس بالمطالبة بالطعام، وتدعو للإحتفاظ به، إذ لو طلب منهم بذل الطعام، قبل حلول ساعة الإفطار، فإن التخلي عن الطعام يكون أيسر، لعدم وجود هذا الإلحاح على الإحتفاظ به، بفعل قوة الحاجز، مع الإفساح في الأمل بإمكانية الحصول على البديل فيما تبقى من الوقت..

ولكن الطلب قد جاء في الساعة الحرجة والصعبة، وحيث يشتد تعلق النفس بالطعام، فكيف إذا مازج ذلك عامل الحضور والمشاهدة والعيش بالأجواء، حتى لتكاد الأيدي تمتد إليه، فإن التعلق به سيكون ـ بلا شك ـ أقوى، والتخلي عنه أصعب..

ولكن حالة المسكين وضعفه، وشدة حاجته، فيها أيضاً شيء من قوة الدعوة للبذل، ودرجة من التأثير المعاكس في أحوال كهذه..

٥ ـ اليتيم والباذلون في اليوم الثاني:

وفي اليوم الثاني.. حيث لم يذق الصائمون طعاماً طيلة يومين كاملين. بل اكتفوا بشرب الماء في الليلة السابقة. قد أصبح واضحاً: أن الحاجة إلى

الطعام قد اشتدت، ودواعي الإحتفاظ به قد ازدادت، والحرص عليه قد تنامى وعظم، لا سيما مع وجود صبيين معهم، هما الحسنان «عليهما السلام» بالذات.. وهما سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكان وقت الإفطار قد حضر أيضاً، وطبيعي أن يزداد التطلع للطعام، والبحث عنه، وبعد حضوره يزيد التعلق بما حضر منه.. فكيف إذا وضع أمامهم، وتكاد الأيدي تتحرك باتجاهه، وتمتد إليه.

وإذا بسائل جديد، هو في هذه المرة «يتيم»، وليتمه تأثيره على النفوس. ولكن الإندفاع إلى مساعدته يكون في العادة أضعف من الإندفاع لمساعدة المسكين، لأن احتمالات الحاجة فيه أقل وأضعف. إذ إن يتمه لا يدل على حاجته المادية..

فإن نفس الحالة الظاهرة للمسكين هي حالة حاجة وفقر، وعجز عن إيجاد ما يتبلَّغ به، وهي فورية، وحادة، وهي بنفس ظهورها فيه تمثل دعوة لمساعدته بلسان الحال، وهي شاهد صدقه في ما يدعيه، بلسان المقال..

أما اليتيم، فإن هناك شفقة عليه، لأجل يتمه، وحاجته للعاطفة والطمأنينة، لا لأجل حاجة ظاهرة له، تستبطن دعوة بلسان الحال لمساعدته.. إذ لعله كاذب في دعواه الفقر..

وحتى لو كان صادقاً، فإن الفقر الذي يخبر عنه لا يصل في حدته إلى درجة ظهور ذلك في حالته. كما كان الحال بالنسبة إلى المسكين..

بل هو لا يزال في مقتبل العمر، والفرص أمامه، ولم يمارس بعد

إمكاناته، وقدراته، بل هو لم يكتشفها بعد. ولعل مشكلته ناشئة من فقد التوجه الصحيح له، بعد أن فقد كافله.. ففرص النجاح أمامه متوفرة، وأمله كبير، وطموحه عارم.

وتحرك العاطفة لأجل فقر اليتيم، ليس بدرجة تحركها لأجل ذل ومسكنة المسكين.. ويتمه، لا يحرك الإنسان ليتخلى له عن طعامه، حتى في الحالات العادية. فكيف بعد طي يومين من الصيام المتواصل، واشتداد الحاجة للطعام؟!..

وحتى لو أراد أن يتخلى ذلك الصائم له عن شيء، فإنه سيقنع نفسه بأنه لا حاجة لأن يتخلى له عن جميع ما هيأه.. فضلاً عن أن يعطيه إياه ساعة الإفطار، وبعد أن وُضع أمامه، وبعد مضي يومين على الصيام.

وإذا أعطاه شيئاً، فإنما يعطيه طعام نفسه، ولا يعطيه طعام غيره كزوجته، وولده.. فكيف إذا كانت السيدة الزهراء «عليها السلام» هي الزوجة، وكان الولدان الوحيدان له طفلين صغيرين، ثم كانا هما الحسنان «عليهما السلام» بالذات، في ميزاتهما، وفي موقعهما من الدين، ومن الإسلام كله، وليس لهما على وجه الأرض مثيل، لا من الأيتام، ولا من غيرهم. وهما اللذان تتجلى فيهما ميزات الإمامة وخصائصها، بأجلى وأبهى مظاهرها..

وأبواهما كانا أعرف من كل أحد بهما، وبقيمة مزاياهما، وبكرامتهما على الله سبحانه، فهل يمكن أن يخاطرا بحياتهما، لمجرد احتمال حاجةٍ يدّعيها يتيم، ليس هو مثل الحسنين قطعاً؟! وهي حاجة ـ حتى لو كانت واقعية ـ فليس ثمة ما يدل على أنها تبلغ درجة الإحراج والعسر..

إذن.. فقد ازدادت المثبطات، وتوافرت الموانع عن الإعطاء، سواء فيما يرتبط بالإعتبارات التي تزداد قوة وتنوعاً، في ناحية الباذلين، أم فيما يرتبط بضعف المشجعات في جانب السائلين، حيث تضاءلت وانحسرت وضعفت تلك الخصوصيات التي تثير وتحرك.

ولكن وبرغم ذلك كله، فإن العطاء والبذل، قد بلغ أيضاً أقصى مداه، حيث أعطوا «عليهم السلام» في اليوم الثاني أيضاً جميع ما يملكون، وآثروا اليتيم به على أنفسهم مع شدة الحاجة والخصاصة. وبذلك فقد أصبح هذا الإطعام أعظم قيمة، وأشد أهمية، إذا لوحظت جميع الخصوصيات التي أشرنا إليها..

٦ ـ الأسير.. والباذلون: في اليوم الثالث:

ويطوي الصائمون ليلتهم، ولا يقدرون على شيء إلا على شرب الماء، ويصومون يوماً ثالثاً هو الأشد، والأقسى، والأمض، وقد أصبحت الأخطار الجسام تتهدد صفوة الخلق، وصبية هم خيرة الله، وحججه على عباده، بصورة أعظم وأقوى..

ويحين وقت الإفطار، وهو ما يجعل النفوس أيضاً تهفوا وتتطلع إلى الطعام، فكيف إذا كان ذلك بعد ثلاثة أيام من الطوى؟! ثم يوضع الطعام أمامهم، ولا يحول بينهم وبينه شيء..

وقد بلغت خطورة الموقف حداً قاسياً، يدعوهم ليس فقط إلى عدم بذل الطعام، وإنما إلى بذل كل الجهد والتضحية في سبيل الإحتفاظ به..

وإذا بسائل جديد يطرق الباب.. غير أن حالة هذا السائل كانت أخف

الحالات وأهونها، فإنها ليست فقط لا تثير شعوراً قوياً بالرغبة في مساعدته، بل ربما تكون المثبطات والموانع عن إعطاء هذا السائل، أكبر وأظهر..

ولا نريد أن نتحدث عن الحالات، ولا عن الخصوصيات التي كانت في جانب الباذلين، فقد ظهر جانب منها في البيانات السابقة، بل نريد فقط أن نُلْمِحَ إلى ما كان منها في ناحية السائل.. فنقول:

إنه عدا عن جميع ما لاحظناه من خصوصيات في جانب اليتيم والمسكين.. فإن الأسير رجل مكتمل قوي البنية، قادر على مواجهة الآخرين، حتى بالقتال، وله قدرة على تحمل الصعاب، ومكابدة المشاق..

والزهراء «عليها السلام» في هذا الجانب امرأة، والحسنان «عليهما السلام» أيضاً لم يكونا قد بلغا سن الأقوياء، فيما يعرفه الناس من ذلك..

ومشكلة الأسير تبقى محصورة في مدة أسره، المانع له من بعض ضروب السعي.. وهي مشكلة لها أمد، ولها مخرج. وسينتهي الأمر به إلى الخروج من هذه الحالة، والعودة إلى أهله، وأملاكه، وإلى الذين لديهم أكثر من دافع لمد يد العون له.. بخلاف المسكين الذي ليس لديه ما ينعش به، وبخلاف اليتيم الذي لن يجد مثل كفيله الذي فقده كفيلاً، وحامياً، وراعياً، وحبيباً..

ثم إنه ليس في الأسير أية جهة أخرى ـ سوى ما يدَّعيه من الحاجة ـ تدعو إلى العطف عليه، كما كان الحال بالنسبة ليتم اليتيم..

بل هناك ما يدعو إلى النفور منه، وإلى حرمانه، فإنه مجرد أسير، والأسير في واقع الأمر محارب للإسلام وللمسلمين.. وربما لا يكون قد

تخلى عن عدائه لهم، ولا ذهب حقده عليهم.. بل ربما لا يكون قد تخلى عن كفره، أو شركه، أو انحرافه.

وإذا كان قد أسر في ساحة الحرب، فلعله قد قتل بعض الأحبة، والأصفياء، أو شارك في قتلهم..

ولعل اليتيم الذي جاءهم بالأمس قد فقد كافله، وحاميه في الحرب التي شارك فيها هذا الأسير نفسه، أو شارك هو في قتله، أو في الأجواء التي تمكن القتلة من القيام بجريمتهم..

أضف إلى جميع ذلك: أن نهاية هذا الأسير ستكون هي الرجوع إلى قومه، ولعله يعود معهم إلى حرب الإسلام والمسلمين من جديد..

وكل هذا الذي ذكرناه، قد يكوّن معذراً مقبولاً أمام الوجدان، وتبريراً معقولاً لرد طلبه عند العرف والعقلاء..

ثم إنه لم يظهر من حال هذا الأسير ما يشي بصدقه فيما يدَّعيه من الحاجة.. وحتى لو كان صادقاً، فإن حاجته ليست بمستوى حاجة من طوى ثلاثة أيام بدون طعام، فكيف إذا كان هذا الطاوي هو طفلان صغيران. ثم كانا هما الحسن والحسين، ومعهما الزهراء، وعلي أمير المؤمنين «عليهم السلام».

ثم إنه قد كان يمكنهم «عليهم السلام» أن يعطوه بعضاً من ذلك الطعام، ويحتفظوا لأنفسهم بالباقي، أو يحتفظوا بطعام الحسنين «عليهما السلام» على الأقل..

فكل هذه العوامل التي ذكرناها تدعو إلى الإحتفاظ بالطعام.. تضاف

إليها العوامل المضادة والمانعة من العطاء، ومن بينها ما هو قوي، ومتناغم مع العواطف والمشاعر الإنسانية، ومع كثير من النقاط التي سجلناها من ابتداء الحديث إلى هنا..

وبعد هذا كله.. فقد جاءت المفاجأة وأعطى هؤلاء الصفوة ذلك الأسير كل ما لديهم، وعرَّضوا أنفسهم للأخطار الجسام. مع أنه قد كان يكفيه بعض ما أعطوه، غير أنهم أرادوا له أن يجد لنفسه قوتاً في أطول زمن يمكنهم أن يمدوه بالقوت فيه..

والبذل في مثل هذه الحالات، وبملاحظة كل تلكم الخصوصيات، هو منتهى الكمال الإنساني، والإيماني، والروحي، وهو الحد الذي لا يصل إليه بشر. إلا إذا كان ذلك البشر هو الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» رغم أن عطاءهم في ظاهر الأمر، كان بضعة أقراصٍ من شعير.. لكن الحقيقة هي أن في هذه الأقراص، كل حياتهم، وكل وجودهم، وكل الطهر، والإيمان والإخلاص..

٧ ـ السائلون.. هل هم مسلمون؟!:

وقد يحاول البعض أن يدعي: أن المسكين، واليتيم، والأسير، كانوا من المسلمين.

ونقول:

إنه لا مبرر لهذا التخصيص، ولا دليل يثبته، بل إن الأمور التي ركزت الآيات عليها ترجع إلى شعور إنساني فياض، ونبيل، لا يفرق بين مسلم وغيره، فإن لكل كبد حرّى أجر، ومن خلال هذا الشعور الإنساني يتحرك

الإنسان في الإتجاه الصحيح، يرفده بالدفقات الروحية وبالمشاعر الإنسانية حتى يبلغ به إلى الهدف الأقصى، وهو أن يصبح عمله كله لله سبحانه..

هذا كله فضلاً عن أن بعض الروايات قد أشارت إلى أن الأسير الذي سأل هؤلاء الصفوة فأعطوه.. قد أسره المسلمون أنفسهم، ولم نجد في تاريخ الإسلام أن أحد المسلمين قد أسره الرسول «صلى الله عليه وآله» مع المشركين حتى احتاج إلى زيارة بيوت الناس للإستجداء..

٨ ـ الترتيب هنا عكسه في آيات أخرى:

وبعد.. فإن هذه الآية قد ذكرت المسكين أولاً، ثم اليتيم، ثم الأسير.. ولكننا نجد أنه تعالى حين يعدد أصناف المستحقين للزكاة والخمس.. رتبهم بطريقة مختلفة، فهو يقدم الفقراء، أو اليتامى مثلاً على المساكين.. فما هو السبب يا ترى؟!

وقد يمكن الجواب عن هذا: بأن النظر في تلك الآيات المباركة يحتاج إلى إثبات أن هذا الصنف مستحق لهذا القسط من الخمس.. أو الزكاة، أو الصدقات. وليس ثمة أي اختلاف في ناحية المقدار فيما بين جميع الأصناف. وقد جيء بالعناوين لمجرد أن تكون مشيرة إلى موضوعاتها، ليتعلق الحكم بها.

ولكن الأمر هنا ليس كذلك، إذ إن لنفس هذه العناوين دوراً في إفهام الخصوصيات المطلوبة في المعنى الذي هو بصدد بيانه والتأكيد عليه، وهو ذلك المعنى الإنساني الإلهي العظيم، الذي ألمحنا إلى بعض جوانبه..

٩ ـ الإكرام أم الإطعام؟!:

وقد ركزت هذه الآيات على إطعام اليتيم، ولكنه تعالى في آيات أخرى قد تحدث عن إكرامه..

ثم إنه تعالى حين تحدث عن إطعامه أخَّره بالذكر عن المسكين. ولكنه حين تحدث عن إكرامه قدمه بالذكر على المسكين، فقال: ﴿**كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[٢].

فالدعُّ هو الدفع.. وعدم التقبُّل.. وهذا يعتبر عدواناً على من يفترض في الإنسان المتوازن أن يبادر إلى الترحيب به وإكرامه..

وعدم الحض على طعام المسكين يأتي في المرتبة التالية.. لأن الحالة الظاهرة في المسكين هي حاجته لما يزيل حالة السكون الناشئة عن شدة حاجته..

أما اليتيم فإنه بحاجة إلى المعالجة الروحية، وإلى أن يخرج من دائرة الصدمة، والخوف من المستقبل، وأن يشعر بأنه ليس وحده في هذه الحياة، بل الجميع معه، وإلى جانبه..

فلا بد من ذكره أولاً، لأن سلامة الحالة النفسية، هي الأهم.. وبها

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفجر.

(٢) الآية ٢ من سورة الماعون.

يكون قوام وسلامة شخصيته.. فكيف إذا كان هناك دعٌّ له، وممارسة درجة من العدوان عليه.

أما حين تكون القضية مجرد قضية الحاجة إلى المال.. فإن الأولوية إنما تكون لمن تشتد حاجته للمال.. والمسكين هو الحالة الأصعب بالنسبة لليتيم، والأسير..

١٠ ـ قصة الإطعام.. وهدف السورة:

هذه السورة تتحدث عن النشأة الإنسانية، ومسيرتها إلى غاياتها في ظل الهداية الإلهية، لتتجلى من ثم أنوار أشرف المخلوقات، من سماء الكرامة والمجد، لتضيء هذه الحياة بأنواع الهدايات إلى صراط الله العزيز الحميد..

وقد ذكر الله سبحانه ذلك، تارة بطريقة البيان لمنازل كرامتهم، وتارة أخرى بأسلوب التجسيد الحي، الذي تتجلى فيه كمالاتهم، وإنسانيتهم، موقفاً وسلوكاً، وطريقة حياة..

فجاءت قصة إطعامهم اليتيم والمسكين والأسير، لتجسد أمام عين الإنسان تلك المضامين. لكي يحس بها، ويتلمسها، ويتمازج لديه المحسوس بالمعقول، ليكون ذلك أوقع في النفس، وأشد في الإقناع، وأرسخ في اليقين(١).

---

(١) تفسير سورة هل أتى ٢١٤ ـ ٢٢٦.

الفصل السادس:

آية التطهير.. وحديث الكساء..

حديث الكساء:

ويذكر هنا حديث الكساء، ونزول آية التطهير، وقد حصل ذلك قبل شهر، أو قبل أربعين صباحاً، أو قبل ستة، أو سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، أو عشرة أشهر، أو سبعة عشر، أو تسعة عشر شهراً من وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله».. حيث بقي «صلى الله عليه وآله» يمر في كل يوم ببيت علي وفاطمة «عليهما السلام»، ويقول:

الصلاة يا أهل البيت، **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1].

وذلك ليؤكد: أنهم المقصودون بالآية الشريفة دون سواهم. وأن المراد هو: أهل بيت النبوة، لا بيت السكنى.

ولينتشر ذلك في الناس، ولا سيما في تلك الفترة التي تكثر الوفود فيها إلى المدينة، ليعلنوا إسلامهم، ثم يعودون إلى بلادهم.

فراجع في تفصيل الكلام حول هذه القضية، ودلالة الآية، كتابنا: أهل البيت في آية التطهير.

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

وملخص ما جرى:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» جمع علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» معه تحت كساء خيبري فدكي، في حجرة أم سلمة وفي يومها، وقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

فقالت أم سلمة: أدخل معهم يا رسول الله؟!

قال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم.

ثم مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بقية عمره، حتى قبضه الله إليه، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر، فيقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١] الحديث[٢].

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص١٣٨ وراجع هذه الأحاديث الكثيرة جداً على اختلاف ألفاظها في المصادر التالية: جامع البيان ج٢٢ ص٥ و ٧ والدر المنثور ج٥ ص١٩٨ و ١٩٩ عنه، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصححاه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير ج٤ ص٢٧٩ و ٢٨٠ وجوامع الجامع ص٣٧٢ =

= والتسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص١٣٧ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٤٥٧ ـ ٤٥٩ والطرائف ص١٢٢ ـ ١٣٠ والمناقب لابن المغازلي ص٣٠١ ـ ٣٠٧ وشواهد التنزيل ج٢ ص١١ ـ ٩٢ ومسند الطيالسي ص٢٧٤ والعمدة لابن بطريق ص٣١ ـ ٤٦ ومجمع الزوائد ج٧ ص٩١ وج٩ ص١٢١ و ١١٩ و ١٤٦ و ١٦٧ ـ ١٦٩ و ١٧٢ وأسد الغابة ج٤ ص٤٩ وج٢ ص٩ و ١٢ و ٢٠ وج٣ ص٤١٣ وج٥ ص٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩ وآية التطهير في أحاديث الفريقين، المجلد الأول كله. وأسباب النزول ص٢٠٣ ومجمع البيان ج٩ ص١٣٨ وج٨ ص٣٥٦ و ٣٥٧ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٠٦ ـ ٢٢٣ وج٤٥ ص١٩٩ وج٣٧ ص٣٥ و ٣٦ ونهج الحق ص١٧٣ ـ ١٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٨٢ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣٠ وسعد السعود ص٢٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ وذخائر العقبى ص٢١ ـ ٢٥ و ٨٧ وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص٤٠٥ والإيضاح لابن شاذان ص١٧٠ ومسند أحمد ج٤ ص١٠٧ وج٣ ص٢٥٩ و ٢٨٥ وج٦ ص٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣٠٤ وج١ ص٣٣١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٣ ـ ٤٨٦ وكفاية الطالب ص٥٤ و ٢٤٢ و ٣٧١ و ٣٧٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٨٤ و ١٨٣ والمعجم الصغير ج١ ص٦٥ و ١٣٥ والجامع الصحيح ج٥ ص٦٦٣ و ٦٩٩ و ٣٥١ و ٣٥٢ وخصائص الإمام علي للنسائي ص٤٩ و ٦٣ والمستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤١٦ وج٣ ص١٧٢ و ١٤٦ و ١٤٧ و١٥٨ و١٣٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه)، وتفسير القمي ج٢ =

= ص١٩٣ والتبيان ج٨ ص٣٠٧ ـ ٣٠٩ والتفسير الحديث ج٨ ص٢٦١ و ٢٦٢ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٣ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٠٩ ـ ٣٢٥ وتفسير فرات ص٣٣٢ ـ ٣٤٠ ووفاء الوفاء ج١ ص٤٥٠ وراجع: نزهة المجالس ج٢ ص٢٢٢ ومنتخب ذيل المذيل للطبري ص٨٣ وحبيب السير ج١ ص٤٠٧ وج٢ ص١١ والشفاء لعياض ج٢ ص٤٨ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٣٤٦ و ٣٤٧ وج٣ ص٢٧٠ و ٣١٥ و ٣٨٥ و ٢٥٤ والغدير ج١ ص٥٠ وج٣ ص١٩٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص١ ـ ٦٩ وج٣ ص٥١٣ ـ ٥٣١ وج٢ ص٥٠٢ ـ ٥٧٣ وج١٤ ص٤٠ ـ ١٠٥ وج١٨ ص٣٥٩ ـ ٣٨٣ عن مصادر كثيرة جداً، وسليم بن قيس ص ١٠٥ و ٥٢ و ٥٣ وراجع ص١٠٠ ونزل الأبرار ص١٠٢ ـ ١٠٤ و ١٠٨ وكنز العمال ج١٣ ص٦٤٦ ونوادر الأصول ص٦٩ و ٢٦٥ والصراط المستقيم ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ وقال في جملة ما قال: «أسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنتزعة. وقد وقفه المستنصر بمدرسته، وشرط أن لا يخرج من خزانته. وهو بخط ابن البواب. وفيه سماع لعلي بن هلال الكاتب. وخطه لا يمكن أحد أن يزوره عليه» ومرقاة الوصول ص١٠٥ ـ ١٠٧ وذكر أخبار أصبهان ج٢ ص٢٥٣ وج١ ص١٠٨ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٩٧ والرياض النضرة ج٣ ص١٥٢ و ١٥٣ ونهج الحق (مطبوع ضمن إحقاق الحق) ج٢ ص٥٠٢ و ٥٦٣ ومصابيح السنة ج٤ ص١٨٣ والكشاف ج١ ص٣٦٩ والإتقان ج٢ ص١٩٩ و ٢٠٠ وتذكرة الخواص ص٢٣٣ وأحكام القرآن لابن عربي ج٣ ص١٥٣٨ والفصول المهمة =

= لابن الصباغ ص٧ و ٨ والإصابة ج٢ ص٥٠٩ وج٤ ص٣٧٨ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر (بتحقيق المحموي) ص٦٣ ـ ٧٠ والصواعق المحرقة ص١٤١ ـ ١٤٣ و ١٣٧ ومتشابه القرآن ومختلفه ج٢ ص٥٢ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٧٠ ـ ٢٧٧ وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص١٠٦ و ١٠٧ ونور الأبصار ص١١٠ ـ ١١٢ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٢٤ ـ ٢٤٣ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٦ وج٣ ص٣٧ وفرائد السمطين ج١ ص٣١٦ و ٣٦٨ وج٢ ص١٠ و ١٩ و ٢٢ ـ ٢٣ وينابيع المودة ص١٠٧ و ١٦٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٦٠ و ١٥ و ٨ و ١٧٤ و ٢٩٤ و ١٩٣ والعقد الفريد ج٤ ص٣١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٦١ ـ ٦٢ وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ج١ قسم٢ ص٦٩ ـ ٧٠ و ١١٠ وراجع ص١٩٧ وكتاب الكنى للبخاري ص٢٥ ـ ٢٦ ونظم درر السمطين ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص٢٠٧ ـ ٢٠٩ والنهاية في اللغة ج١ ص٤٤٦ ولباب التأويل ج٣ ص٤٦٦ والكلمة الغراء «مطبوع مع الفصول المهمة» ص٢٠٣، ٢١٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٤ و ١٠٦ وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص٦٠ ـ ٧٦ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٢٢٦ و ٢٦٧ وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج٢ ص١٢٢ والمحاسن والمساوئ ج١ ص٤٨١ ونفحات اللاّهوت ص٨٤ و ٨٥ وتيسير الوصول ج٢ ص١٦١ والكافي ج١ ص٢٨٧ ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند =

وقد احتج علي «عليه السلام» بهذه القضية، وبنزول الآية فيها في يوم الشورى، ثم استدل بها في مسجد المدينة في خلافة عثمان على جماعة من المهاجرين والأنصار، كما سيأتي..

بل واحتج «عليه السلام» بهذه الآية على أبي بكر أيضاً.

فقد روى حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي بكر: يا أبا بكر تقرأ الكتاب؟!

قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1] في من نزلت؟! فينا؟! أم في غيرنا؟!

= أحمد) ج٥ ص٩٦ عن ابن أبي شيبة، وكنز العمال (ط الهند) ج١٦ ص٢٥٧ والإتحاف ص١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص٤٤ وأحكام القرآن للجصاص ج٥ ص٢٣٠ وتاريخ بغداد ج١٠ ص٢٧٨ وج٩ ص٢٦ ـ ٢٧ والمناقب للخوارزمي ص٢٣ و ٢٢٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٠٠ ومشكل الآثار ج١ ص٣٣٢ ـ ٣٣٩ والسنن الكبرى ج٢ ص١٤٩ ـ ١٥٢ وج٧ ص٦٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٢١ وج٨ ص٣٥ و ٢٠٥ ومنهاج السنة ج٣ ص٤ وج٤ ص٢٠ وعن ذخائر المواريث ج٤ ص٢٩٣ وعن ميزان الإعتدال ج٢ ص١٧.

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

قال أبو بكر: بل فيكم[١].

وراجع في تفصيل الكلام حول هذه القضية، وفي دلالة الآية كتابنا: أهل البيت في آية التطهير..

لمحات ضرورية:

غير أن ذلك لا يمنع من تسجيل بعض اللمحات التي ترتبط بهذه الحادثة الهامة جداً هنا أيضاً، وبيان مفاد الآية التي نزلت بهذه المناسبة، وسوف نستلُّها، أو نلخصها من كتابنا: أهل البيت في آية التطهير، وذلك على النحو التالي:

أهل البيت:

قد يراد بالبيت:

١ ـ بيت السكنى. وتكون الألف واللام عهدية، فأهل البيت هم: الناس الساكنون فيه. ولعله هو المقصود بقول الملائكة لزوجة إبراهيم «عليه السلام»:

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ

---

(١) البرهان (تفسير) ج٣ ص٣١٢ وتفسير القمي ج٢ ص١٥٦ و ٢٧٤ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص١٨٧ وغاية المرام ج٣ ص١٩٩ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٢٩ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١١٧ .

حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[١].

وزوجة إبراهيم من جملة أهل البيت هنا، لأنها وقعت في الآية مورداً للخطاب المباشر. وهذا الخطاب هو القرينة على ذلك.

وليس هذا المعنى هو المقصود في آية التطهير، إذ قد كان لعلي وفاطمة «عليهما السلام»، ومعهما الحسنان «عليهما السلام» أيضاً بيت مستقل عن بيت النبي «صلى الله عليه وآله». والدليل على ذلك حديث سد الأبواب.

٢ ـ وقد يراد بالبيت: العشيرة والأقارب، كقولك: البيت الأموي، والبيت العلوي أو الهاشمي.. وهذا ما نفاه زيد بن أرقم عن الأزواج، فقد قيل له: أليس نساؤه من أهل بيته؟!

فقال: نساؤه من أهل بيته؟! لكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده..[٢]. فإنه قرر: أن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» لسن من أهل بيته،

---

(١) الآية ٧٣ من سورة هود.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٥ ص١٩٩ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٦ وفتح القدير ج٤ ص٢٨٠ وكنز العمال ج١٣ ص٦٤١ والمواهب اللدنية ج٢ ص١٢٢ والتفسير الحديث ج٨ ص٢٦١ والبرهان في تفسير القرآن ج٣ ص٣٢٤ والصواعق المحرقة ص٢٢٦ وراجع ص٢٢٧ و ٢٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٤٨ وتهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٣٤٧ وكتاب سليم بن قيس ص١٠٤ ونور الأبصار ص١١٠ وإسعاف الراغبين ص١٠٨ والإتحاف بحب الأشراف ص٢٢ والسيرة النبوية لدحلان =

لأنهن لم يحرمن الصدقة، وأهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرموا منها.

وذلك، لأن قول زيد: نساؤه من أهل بيته؟! إستفهام إنكاري، حذفت منه أداة الإستفهام للتخفيف. والقرينة على ذلك: تعقيبه بعبارة: لكن أهل بيته من حرموا الصدقة بعده.. إذ لو لم يكن إستدراكاً لأجل التصحيح لكان ينبغي أن يقول: نساؤه من أهل بيته وكذا من حرموا الصدقة بعده..

وأصرح من ذلك: ما روي، من أن الحصين سأل زيد بن أرقم: من أهل بيته؟! نساؤوه؟!

قال: لا، وأيم الله، إن المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها.

أهل بيته: أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[1].

= ج٢ ص٣٠٠ وراجع: بحار الأنوار ج٣٥ ص٢٢٩ وكفاية الطالب ص٥٣ (وليس فيه عبارة: نساؤه من أهل بيته؟!) عن مسلم، وأبي داود، وابن ماجة. وفي هامشه عن: مسند أحمد ج٤ ص٣٣٦ وعن كنز العمال ج١ ص٤٥ وعن مشكل الآثار ج٤ ص٣٦٨ وعن أسد الغابة ج٢ ص١٢ وعن المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٠٩.

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣ والصراط المستقيم ج١ ص١٨٥ وتيسير الوصول ج٢ ص١٦١ والبرهان في تفسير القرآن ج٣ ص٣٢٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٨٦ والطرائف ص١٢٢ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٣٠ وج٢٣ =

٣ ـ وقد يراد به معنى آخر، يصطلح عليه من يُقْبَلُ منه ذلك، لغرض بعينه، وهذا هوما حصل هنا، فإن المراد بالبيت: بيت النبوة. وأهل هذا البيت: من لهم موقعية، ودور أساس في تحقيق أهداف النبوة، ونشرها وحفظها.

ولأجل ذلك نجد هذا التعبير قد شاع وذاع، ويكفي أن نذكر هنا قول الإمام الحسين «عليه السلام»: إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة[1].

أهل الرجل:

وقد دلت روايات حديث الكساء على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم

= ص١١٧ والعمدة لابن البطريق ص٣٥ والتفسير الحديث ج٨ ص٢٦١ عن التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٠٨ و ٣٠٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٢ ص٦٤ عن دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ص٢٢٧ ـ ٢٣١ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٣٢٣ عن الجمع بين الصحيحين، والصواعق المحرقة ص١٤٨ ونقل أيضاً عن جامع الأصول ج١٠ ص١٠٣.

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص١٧٤ ومثير الأحزان لابن نما الحلي ص١٤ ولواعج الأشجان ص٢٥ واللهوف في قتلى الطفوف ص١٧ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص١٢٠ وج٢ ص٢٠٩ و ٢٥٥ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦١٥ و ٦٧٤.

يرض بدخول كل من أم سلمة ولا عائشة، ولا زينب بن جحش في جملة أهل البيت، ومنعهن من دخول أي منهم تحت الكساء، بل قال لأم سلمة: إنك من أهلي، وإنك على خير.

أو قال: إنك من أهلي، وهؤلاء أهل بيتي، أو نحو ذلك. أي أنه أخبرها أنها من أهله، أما من هم تحت الكساء، فهم أهل بيته (أي بما هو نبي ورسول).

لا بما هم من سكان البيت، لأن الأزواج كن يسكن البيت أيضاً، في حين أن علياً وفاطمة والحسنين «عليهم السلام» لم يكونوا كذلك، بل كان لهم بيت سكنى خاص بهم..

ولا بما أنهم عصبته وعشيرته، فإن العباس كان عم الرسول، وأبناء العباس كانوا أبناء عمه «صلى الله عليه وآله»، وكذلك عقيل رضوان الله تعالى عليه، ولم يدخلهم في هذا الأمر..

أهل البيت في اللغة:

بل في كتب اللغة ما يدل على أن إطلاق كلمة الأهل على الزوجة ليس على نحو الحقيقة. مما يعني: أن قوله «صلى الله عليه وآله» لأم سلمة: إنك من أهلي قد جاء على سبيل المجاز، والتوسع في الإطلاق أيضاً.

قال الزبيدي: «ومن المجاز: الأهل للرجل: زوجته، ويدخل فيه الأولاد»[1].

---

(١) تاج العروس ج١ ص٢١٧.

ويفهم من كلام ابن منظور: أن دلالة كلمة: «الأهل» على الزوجة إنما تكون مع القرينة، لا بدونها[١].

وقال الراغب: «وعبر بأهل الرجل عن امرأته»[٢]، فدل على أن إرادة الزوجة من هذه الكلمة من باب الإطلاق والإستعمال.

آيات سورة الأحزاب:

وحيث إن آية التطهير قد وردت كجزء من آية ترتبط بنساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد وقعت الشبهة في شمولها للنساء وعدمه، رغم إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على بيان اختصاصها بفاطمة وبعلها وبنيها «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فاقتضى الأمر بيان المراد بالآية، وسبب ورود هذه الفقرة في هذا الموضع من الآية فنقول:

إننا نذكر هنا بعض ما أوردنا في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير بعين لفظه، فنقول:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً.

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً.

---

(١) راجع: لسان العرب ج١١ ص٣٨ وراجع: الغدير ج ٦ ص١٧٠.

(٢) راجع: مفردات غريب القرآن للراغب ص٢٩ وبحار الأنوار ج٧٠ ص٦٦ .

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً.

يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾.

وتستمر الآيات إلى أن تقول:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[1].

ثم تستمر الآيات في الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه، ومع المؤمنين في ما يخص شأن النبي «صلى الله عليه وآله» فلتراجع.

ونقول:

ألف: إن الظاهر الصريح المستفاد من هذه الآيات هو أن الله سبحانه:

١ ـ قد أمر نبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله» بأن يخيِّر نساءه بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.

٢ ـ وأمره بأن يقول لهن:

---

(١) الآيات ٢٨ ـ ٣٧ من سورة الأحزاب.

﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾.

٣ـ وأمره أيضاً بأن يقول لهن:

﴿**فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾.

﴿**وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾.

﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾.

﴿**وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأولَى**﴾.

﴿**وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ**﴾.

﴿**وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾.

٤ ـ وبعد أن ينفذ النبي «صلى الله عليه وآله» ما طلبه الله منه، ويبلغ هذه الأوامر للنساء، يواصل الله سبحانه خطابه لمقام النبوة، وبيت الرسالة، ليخبره: بأن هذه الأوامر والنواهي التي أمره أن يبلغها لهن، إنما جاءت لأجل الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومهبط الوحي والتنزيل، ومختلف الملائكة.

وعلى هذا الأساس يكون: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ..**﴾. استمراراً لأمر الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله» بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**﴾، فهو مقول القول أيضاً، علاوة على ما سبق من تخييرهن بين الدنيا والآخرة.

ب: ولو صرفنا النظر عن ذلك، لأجل الإصرار على أن قوله تعالى: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ..**﴾. إنما هو خطاب منه تعالى للنساء مباشرة؛ فإننا نقول أيضاً: إنه لا يضر فيما نرمي إليه؛ لأنه قد جاء على سبيل

الالتفات إليهن، وتكون النتيجة هي:

١ ـ أنه تعالى، قد أمر نبيه بأن يخير نساءه بين الله ورسوله، وبين الحياة الدنيا وزينتها.

٢ ـ ثم التفت الله سبحانه إليهن وخاطبهن مباشرة، بعنوان أنهن منسوبات إلى النبي، لا بعنوان كونهن مجرد نساء. فأمرهن وزجرهن، وقرر لمن تأتي منهن بفاحشة مبينة: أن يضاعف لها العذاب ضعفين، ولمن تطيع الله ورسوله، أن تؤتى أجرها مرتين. وقرر أيضاً: أنهن لسن كأحد من النساء، إن التزمن جانب التقوى والورع.

٣ ـ ثم عاد سبحانه وتعالى إلى خطاب مقام النبوة وبيت الرسالة من جديد، موضحاً أن سبب هذا الالتفات إلى الزوجات وعلة ما أصدره إليهن من أوامر وزواجر هو إذهاب الرجس عن هذا البيت، وتطهيره، فإن الحفاظ على قدسية بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة ضرورة لابد منها، لحفظ الرسالة نفسها.

فالخطاب للنبي ـ كما ظهر من خلال الآيات الشريفة ـ إنما هو من حيث إنه نبي، وصاحب وحي وقداسة إلهية، لا بما هو شخص.

ومن الواضح: أن حفظ بيت النبوة والرسالة، ما هو إلا حفظ للرسالة نفسها.

فالكلام مع النساء إذن، قد جاء على طريق الالتفات إليهن، كالالتفات الذي في قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(١).

فيلاحظ: أن الحديث قد كان عن الله تعالى بصورة الحديث عن الغائب الرحمان ـ الرحيم ـ مالك، ثم التفت وخاطب الله تعالى مباشرة من موقع الحضور بين يديه تعالى فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

الإرادة بماذا تعلقت؟!:

ويظهر من كلام العلماء الأبرار «رضوان الله عليهم»: أن الإرادة الإلهية المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ..﴾ قد تعلقت أولاً وبالذات بإذهاب الرجس، وبالتطهير(٢).

ولكننا نقول:

إن الظاهر: هو أنها قد تعلقت أولاً وبالذات بأمر آخر، وهو نفس الأوامر والزواجر التي توجهت إلى زوجات النبي «صلى الله عليه وآله».

بيان ذلك:

أنه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾.

ولم يقل: إنما يريد الله أن يذهب، أو إذهاب الرجس عنكم.

ولو أنه قال: يريد أن يذهب الرجس عنكم، لكانت الإرادة متعلقة

---

(١) الآيات ٣ ـ ٥ من سورة الفاتحة.

(٢) ستأتي المصادر لذلك إن شاء الله تعالى، حيث الحديث حول انحصار آية التطهير بأهل الكساء.

بنفس الإذهاب؛ وذلك معناه: أن الرجس موجود فيهم، ويريد الله إزالته عنهم. وحاشاهم «صلوات الله عليهم».

بل الصحيح: هو أن الرجس ليس فيهم، بل هو في غيرهم، ويريد الله إزالته عن الغير حفاظاً وإكراماً لـ «أهل البيت» «عليهم السلام» وإفهام الناس ان صدور المخالفات من النساء لا يضر بعصمة وطهارة أهل البيت.

بيان ذلك:

أن كلمة: «إنما» تفيد حصر المقصود، والغاية من الأمر والنهي لنساء النبي «صلى الله عليه وآله» في حفظ «أهل البيت» وتطهيرهم.

واللام في «ليذهب» هي لام كي، وهي تفيد التعليل، أي أن ما بعدها يكون علة لما قبلها، كقولك: «جئت لأكرمك»؛ فمدخول اللام، وهو الإكرام، علة لما قبلها وهو المجيء.

فما ذكره البعض من أن متعلق الإرادة هو نفس إذهاب الرجس، ليس على ما يرام لا من حيث التركيب ولا من حيث المعنى حسبما أوضحناه.

بل متعلق الإرادة شيء آخر، ويكون الإذهاب علة لتعلق الإرادة به.

وذلك الشيء الذي تعلقت به الإرادة هنا هو نفس التكاليف، والأوامر والنواهي الصادرة لزوجات الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الله سبحانه قد أراد منهن ذلك لأجل إذهاب الرجس.

وبتعبير آخر: إذهاب الرجس عن «أهل البيت» علة لإرادة الله سبحانه من زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» ـ بالإرادة التشريعية ـ أن يفعلن كذا، أو يتركن كذا.

فلا دلالة في الآية على أن النساء من «أهل البيت»، بل فيها دلالة على العكس إذ لو كانت النساء داخلات في مدلول الآية لكان المناسب أن يقول: إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس، لأن نساءه قد صدر منهن أشياء هي من الرجس ومنها حرب الجمل بقيادة بعض نسائه «صلى الله عليه وآله»..

أضف إلى ذلك: أن لا رجس على الرسول «صلى الله عليه وآله» ليريد الله إزالته عنه.

ويتضح ذلك، بملاحظة النظائر التي استعملت فيها لام كي، بدلاً من كلمة «أن» في القرآن الكريم، وغيره.

فلاحظ: قوله تعالى في ذيل آية الوضوء والتيمم: ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ**﴾[1].

أي أن أمره تعالى لكم بالتيمم بدلاً عن الوضوء، إنما هو لأجل أن يطهركم.

فالتطهير لهم علة لإرادة هذا الأمر منهم بالإرادة التشريعية.

وفي مورد آخر، بعد أن ذكر الله تعالى بعض التشريعات والأحكام قال: ﴿**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾[2].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿**بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾[3].

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ٥ من سورة القيامة.

وفي مورد آخر يقول تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١).

ومما يزيد الأمر وضوحاً: أننا نجد آيتين قد تعرضتا لأمر واحد، ولكن إحداهما قد جاءت «بأن» والأخرى «بلام كي»، التي تقدر بعدها أن.

فبعد أن ذكر الله سبحانه قول اليهود والنصارى في عزير، والمسيح، قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢).

وقال تعالى في مورد آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٣).

والسبب في اختلاف التعبير أنهم في المورد الأول (أي في سورة التوبة) قد تعلقت إرادتهم مباشرة في إطفاء نور الله، فاستعمل الله كلمة «أن»، وقال: يريدون أن يطفئوا.

أما في هذا المورد الأخير فقد تعلقت إرادتهم بالافتراء على الله، لأجل أن يطفئوا، فالإطفاء كان داعياً لهم، وعلة وسبباً لتعلق إرادتهم بالافتراء

---

(١) الآية ٥٥ من سورة التوبة.

(٢) سورة التوبة الآية ٣١ و ٣٢.

(٣) الآيتان ٧ و ٨ من سورة الصف.

والكذب، فاستعمل «اللام» فقال: «يريدون ليطفئوا».

ثم رأيت أن الراغب الأصفهاني قد أشار إلى ذلك أيضاً، فقال: «يريدون أن يطفئوا نور الله، يريدون ليطفئوا نور الله.

والفرق بين الموضعين: أن في قوله: «يريدون أن يطفئوا»، يقصدون إطفاء نور الله.

وفي قوله: «ليطفئوا» يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله»[١] كالانفاق في وجوه الخير مع أن المقصود هو الإضلال أو التسلط على الناس بغير حق. والأمر في آية التطهير كذلك أيضاً كما أوضحناه.

الأولوية القطعية ومفهوم الموافقة:

من الأمور التي لا يجهلها أحد: أن الأولوية القطعية هي من الظهورات اللفظية التي جرى عليها القرآن، كما جرى عليها أهل اللسان في محاوراتهم، وبيان مراداتهم.

والأولوية القطعية، ومفهوم الموافقة هذا موجود هنا أيضاً، ويدل على عصمة «أهل البيت» «عليهم السلام» بشكل قاطع ونهائي.

التوضيح بالمثال:

وتوضيح ذلك بالمثال على النحو التالي:

إنه إذا كان ثمة رجل يعزّ عليك، وتهتم بالحفاظ على مقامه، وترسيخ

---

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٠٥ وتفسير الميزان ج١٩ ص٢٥٥.

وتأكيد احترامه، فإنك ستنزعج كثيراً إذا رأيت ولده أو غيره ممن ينتسب إليه يرتكب بعض المخالفات التي تسيء إلى سمعة أبيه، وتدفع بالناس إلى توجيه النقد إلى ذلك الأب، ولسوف تردع ذلك الولد عن فعله ذاك؛ بهدف الحفاظ على كرامة الأب، وسمعته.

أما الولد نفسه، فقد لا يكون واقعاً في دائرة اهتماماتك أصلاً، بحيث لو لم يكن ابناً لذلك الرجل لما تعرضت له، ولما وجدت الدافع القوي في نفسك لأمره ولا لنهيه.

والحال في الآيات الشريفة من هذا القبيل، فإن الرجس ليس في أهل البيت، بل هو في غيرهم، فالله إنما يأمر وينهى نساء النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، لأن مخالفاتهن سوف تنعكس سلباً على أهل بيت الرسالة أنفسهم. فـ «أهل البيت» هم الأهم ولا يريد الله سبحانه أن ينالهم أدنى رجسٍ أو هنات، ولو على سبيل النسبة المجازية، ولو من طرف خفي، كما لو كان ذلك الرجس صادراً ممن ينسبون إلى ذلك البيت نسبة مجازية، كما تقدم عن أهل اللغة عن زيد بن أرقم، وأوضحه الرسول «صلى الله عليه وآله» في حديث الكساء.

وهذا هو غاية الاهتمام بـ «أهل البيت»، وهو يقع في سياق شمولهم بالعنايات والألطاف الإلهية، والتوفيقات الربانية.

ومعنى ذلك كما قلنا: أن الدلالة على الاهتمام الإلهي بطهر «أهل البيت»، وعدم لحوق أي رجس بهم أولاً وبالذات، لسوف تكون أشد وأعظم وأهم، وآكد وأتم.

ثم إنه إذا كان الله تعالى يريد أن يذهب حتى الرجس الذي ينسب إلى «أهل البيت» «عليهم السلام»، ولو بالعرض والمجاز، فإنه يريد إذهاب ما يلحق بهم «عليهم السلام» أولاً وبالذات بطريق أولى؛ فنستفيد، بمفهوم الموافقة والأولوية القطعية: أن الله سبحانه قد طهرهم ونزههم فعلاً عن الرجس، لاسيما وأن المقام مقام تعظيم لبيت النبوة، وهو يدخل في نطاق خطة إلهية، تعمل على إبعاد الرجس بكل حالاته ومجالاته، حتى ما كان منه ليس لهم فيه أي اختيار، بأن كان صادراً عن أشخاص آخرين كالزوجات.

فإذا كان الله سبحانه يبادر للمنع من حصول هذا، حتى لَيقرر للزوجات ضعفي العذاب، والثواب لو بدرت منهن أية بادرة، فإن ذلك يكشف عن تصميم إلهي أكيد على أن لا يلحق «أهل البيت» أنفسهم رجس أصلاً، لا أولاً وبالذات ولا ثانياً وبالعرض.

ومما يشير إلى أن الأهمية إنما هي لأهل بيت النبوة لا للزوجات ـ بل هنّ كغيرهن من بني الإنسان، ما ألمحت إليه الآيات التي سبقت الآيات التي هي مورد البحث والتي تحدثت عن أن الله تعالى قد أمر نبيه بأن يخير زوجاته بين الحياة الدنيا وزينتها، فيمتعهن النبي «صلى الله عليه وآله»، ويسرحهن سراحاً جميلاً.. وبين الله ورسوله، والدار الآخرة، فإن الله ـ والحالة هذه ـ قد أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً.

فهذا التخيير يشير إلى أنه ليس للزوجات أهمية مميزة، وترجيح خاص لهن، بل هن عبء على غيرهن. والمطلوب في الآية التخلص منه.

وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن اللواتي يخترن الله ورسوله قد كن على

قسمين: محسنات وغير محسنات.

أضف إلى ذلك: أن السورة نفسها قد ذكرت بعد ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان بالخيار بين أن يرجي من يشاء منهن، وأن يؤوي إليه من يشاء.

فكل ذلك يشير بوضوح: إلى أن الأهمية الباعثة على تسجيل الموقف هنا إنما هي للنبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» بما هو نبي وقد قال الإمام الحسين «عليه السلام»: إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة.

وبيت النبوة له حالات وشؤون يجب مراعاتها وهناك تكاليف ومسؤوليات تجاهه يجب الالتزام بها. خصوصاً من قبل الزوجات وليس المراد «أهل البيت» بمعنى السكن ولا «أهل البيت» بمعنى العشيرة..

وقد أكد ذلك حين اختار أن يخاطبه بالقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**﴾. ويخاطبهن بالقول: ﴿**يَا نِسَاء النَّبِيِّ**﴾. ولم يقل: يا نساء الرسول، أو نحو ذلك. ولم يقل: أيتها النساء، أو يا محمد، حتى لا يفهم الأمر على أنه حديث معه كشخص من الناس. أو يقال: إن الهدف هو الحفاظ على ثقة الناس به وانقيادهم له كرسول، من خلال سلوك زوجاته.

كل ذلك يدل: على أن الأمر والزجر للزوجات لا لخصوصية وامتياز ذاتي لهن، إذ قد ظهر من الآيات أنه يعاملهن معاملةً عادية جداً.

بل الخصوصية هي للنبي «صلى الله عليه وآله»، بما هو نبي، وهي التي توجب الحفاظ عليه، ولأجل ذلك قرر سبحانه أن يكون العذاب والثواب لزوجاته ـ أي هذا النبي بما هو نبي ـ ضعفين في صورة المخالفة والموافقة،

حتى إنهن إذا خرجن عن صفة الزوجية للنبي بما هو نبي، فإنهن كما دلت عليه آية التخيير يصبحن كسائر النساء الأُخريات.

ولأجل ما ذكرناه بالذات كان التهديد الإلهي للتين تظاهرتا على النبي «صلى الله عليه وآله» بالطلاق، ثم ضرب لهن مثلاً بامرأتي نوح ولوط، وما كان لهما من المصير الذي انتهتا إليه.

هذا.. ونلاحظ أخيراً: أن القرآن قد تحدث في موارد متعددة عن زوجات الرسول بطريقة تُظهر أنهن لسن في منأى عن ارتكاب الذنب، فلتلاحظ آيات سورة الأحزاب، والطلاق، والتحريم.

وقد حكى سبحانه عن صدور مخالفات كبيرة من بعضهن، ولم يمنع من صدور المزيد من ذلك في المستقبل، كما قد حصل ذلك بالفعل ممن خضن منهن حروباً قتلت فيها الألوف من النفوس المسلمة والبريئة، دونما سبب معقول، أو مقبول.

أما «أهل البيت» فقد تحدث الله تعالى عنهم في هذه الآية، وعلى لسان نبيه في عشرات المواقع والمواضع بطريقة مباينة تماماً، لحديثه عن الزوجات، فأوضح أن الله سبحانه قد عصمهم وطهرهم، كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد جعلهم بأمر الله عِدْلاً للقرآن، وسفينة للنجاة، والعروة الوثقى، إلى غير ذلك مما يظهر بملاحظة النصوص المشهورة والمتواترة، والتي تفوق حد الحصر والعدّ.

وبذلك كله ظهر: أنه تعالى يريد بأوامره للزوجات أن يتوسل إلى إذهاب الرجس عن «أهل البيت»، وقد جاء التعبير بالإذهاب لا بالإزالة

ربما ليشير إلى أن الرجس ليس فيهم وإنما في غيرهم وهو يتوجه إليهم عن طريق ذلك الغير، لان حلوله في غيرهم «كالزوجات» يهئ لنسبته إليهم بالعرض والمجاز خصوصاً وأن النبي المعصوم بالقطع واليقين من جملتهم..

الإرادة تشريعية:

ومن المعلوم: أن الإرادة على نحوين:

تكوينية: وهي التي تتعلق بفعل المريد نفسه، أي بتكوين الشيء وإيجاده. كالإرادة الإلهية التي تعلقت بإيجاد الزرع والشجر والشمس والقمر.

وتشريعية: وهي التي تتعلق بفعل الغير، على أن يصدر العمل منه باختياره.

وقد اتضح مما تقدم: أن الإرادة الملحوظة في الآيات أولاً وبالذات. لم تتعلق بإزالة الرجس مباشرة لكي تكون إرادة تكوينية، بل هي إرادة تشريعية تعلقت بأوامر وزواجر موجهة إلى زوجات الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله».

وهي إرادة منبثقة عن إرادة أخرى ـ سيأتي الحديث عنها إن شاء الله ـ تعلقت بإذهاب الرجس عن «أهل البيت»، وتطهيرهم إلى درجة العصمة. والإرادة الأولى قد دلت عليها الآية صراحة، أما الإرادة الثانية فقد دُلّ عليها بمفهوم الموافقة، والأولوية القطعية.

الإرادة التشريعية أولى وأدل:

ولاشك في أن الإرادة التشريعية أشد وآكد، وأكثر رسوخاً وجديةً من إرادة التكوين، في دلالتها على عظيم فضل «أهل البيت» «عليهم السلام»

وذلك لأن الله سبحانه وهو في مقام جلاله وعزته يهتم بأن لا يلحق بيت النبوة ـ لا العشيرة ولا بيت السكنى ـ وهم الخمسة أصحاب الكساء أدنى شيء يوجب حزازة وإساءة إليهم ولو من طرف خفي ولو بالانتساب المجازي إليهم، بل هو يضع أحكاماً إلزامية يلزم بها أناساً آخرين ليسوا منهم بل لهم بهم علقة عرضية بسبب مصاهرة توجب الاختلاط بهم. فيأمر أولئك الأغيار وينهاهم ثم يعاقبهم على مخالفة أوامره وزواجره فذلك يكشف عن درجة الاهتمام بأولئك الناس الذين يريد الحفاظ عليهم.

أما لو كانت الإرادة تكوينية وقد تعلقت بإذهاب الرجس عنهم فإنها لا تدل على عظيم فضلهم عنده، إذ لو فرضنا أن إرادة التكوين قد تعلقت بخلق شيء بعينه فإن ذلك لا يدل على عظمة ذلك المخلوق.

وإرادة خلق الذباب لا تدل على عظمة الذباب، بل تدل على الحاجة إليه. كما أن حاجتنا إلى سائق سيارة لا تدل على عظمة ذلك السائق ولا على قداسته نعم قد يكون لذلك السائق قداسته لأسباب أخرى غير مجرد كونه سائقاً.

والأمر هنا كذلك، فإنه حينما يشرع الأمر والنهي لأناس آخرين ويبيّن أنه يضاعف العقاب على المخالفة من أجل الحفاظ على غيرهم فإن العظمة لذلك الغير تصبح ظاهرة ولا حاجة إلى الاستدلال عليها بأكثر من ذلك.

بل قد يقال: لو كانت الإرادة في الآية تكوينية تتعلق بإزالة الرجس عنهم فإن ذلك قد يكون على العجز والضعف أدل، لدلالتها على الحاجة إلى التدخل الإلهي للمساعدة، وهذا التدخل كما يمكن أن يكون للتكريم،

كذلك يمكن أن يكون لظهور الحاجة والضعف.

الخبر الصادق والشهادة الإلهية:

والحاصل: أن الآية تتضمن إخباراً عن أن الله سبحانه يرعى «أهل البيت»، ويريد تطهيرهم من كل رجس، حتى ما كان منه ثانياً وبالعرض.

وذلك يعني: أنهم قد حصلوا على الطهارة التامة بالفعل، فاستحقوا منه هذه العناية التامة وهذا التكريم العظيم فاختصاصهم بهذه العناية الإلهية يتضمن إخباراً صادقاً، وشهادة إلهية[1] بأنهم حاصلون على مزية الطهر، ونفي الرجس، دون كل من عداهم، إلى درجة العصمة التي صرح بها الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» ـ مستشهداً بهذه الآية «آية التطهير» بالذات حيث قال: «فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»[2].

وفي دعاء عرفة يقول الإمام زين العابدين «عليه السلام»: «وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك، وجعلتهم الوسيلة»[3].

---

(١) وقد نص على أنها تضمنت شهادة إلهية بالطهارة أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطابه لأبي بكر في أمر فدك، فراجع: علل الشرايع ج١ ص١٩١ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٢٣ وتفسير القمي ج٢ ص١٥٦ و ١٥٧ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

(٢) ستأتي مصادر هذه الحديث في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٣) راجع الصحيفة السجادية الدعاء رقم٤٧.

طريقان آخران: الإلتفات والإعتراض:

ولو سلمنا: أن الآيات تخاطب النساء مباشرة، لا بواسطة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهناك طريقان آخران لبيان اختصاص آية التطهير بالخمسة أصحاب الكساء، وهما:

١ ــ الالتفات:

فإن الإلتفات هو من الأساليب البيانية، التي جرى عليها الناس في محاوراتهم.

وهو يعطي الكلام جمالاً، ورونقاً، وإشراقاً. وله أيضاً فوائد جليلة لأنه يشد السامع، ويثير انتباهه، ويجعله يتطلع لمعرفة هذا الجديد، وإلى سماع المزيد.

وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب في كثيرٍ من الموارد، حتى في فاتحة الكتاب، كما تقدم، وكما يكون الإلتفات من الغيبة للخطاب كما ورد في سورة الفاتحة، أو عكسه كذلك قد يكون من شخص لآخر كما في قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ**﴾[1].

وحكمة هذا الالتفات في آية التطهير: هو الإشارة إلى أن تأديب الزوجات إنما هو من توابع إذهاب الرجس والدنس عن «أهل البيت»،

---

(١) الآية ٢٩ من سورة يوسف.

وإكراماً لهم حتى لا يلحقهم بسببهن وصمة أو عيب[١].

٢ ـ الاعتراض:

ولنا أن نعتبر قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ..**﴾ جملة اعتراضية، إذا صححنا ورود الاعتراض في آخر الكلام، أو اعتبرنا الآيات سابقاً ولاحقاً كلها ذات وحدة واحدةً، جاءت الجملة الاعتراضية فيما بينها؛ للإشارة إلى حيثيات ودوافع الحكم الوارد في الفقرات السابقة واللاحقة.

وهذا الاعتراض ليس فقط قد جاء معقولاً ومقبولاً، بل هو راجح ومطلوب، بل ضروري أيضاً؛ لحكمة ونكتة، وهي بيان هذا الأمر الهام والخطير، أعني أن الإرادة الإلهية قد تعلقت بتطهير «أهل البيت»، ثم هو لبيان الفرق الشاسع بين أهل بيته الحقيقيين، وبين الزوجات اللواتي لا يصح توهم أنهن في مستوى أهل بيت النبوة في العصمة والطهارة.

وبعد هذا فإن الجمل الإعتراضية كثيرة في القرآن، وقد قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ**﴾[٢].

---

(١) راجع: نفحات اللاهوت ص٨٥ ودلائل الصدق ج٢ ص٧٢ والصوارم المهرقة للتستري ص١٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢ ص٥٦٩.

(٢) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة يوسف.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً..﴾.

إلى أن قال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾[٢].

وأمثال ذلك في القرآن ليس بعزيز.

مخالفة السياق لأجل القرينة:

ولنفترض: أن السياق القرآني يؤيد كون الخطاب للنساء، فإن رفع اليد عن الظهور السياقي، الذي هو أضعف الظهورات، لأجل وجود قرينة بل قرائن داخلية وخارجية على خلافه، ليس فيه أي محذور.

ويكفي من القرائن الخارجية على ذلك روايات حديث الكساء المتواترة. أما القرائن في الآيات نفسها، فقد ذكرنا بعضها في كتابنا: أهل البيت في آية التطهير. فراجع.

---

(١) الآية ٧٦ من سورة الواقعة.

(٢) الآيات ١٣ ـ ١٦ من سورة لقمان.

وليراجع حول الإلتزام بالإستطراد والإعتراض: تفسير القمي ج٢ ص١٩٣ ـ ١٩٤ والكلمة الغراء (مطبوع مع الفصول المهمة) ص٢١٣ ـ ٢١٤ ونهج الحق (هامش) ص١٧٤.

موقع الإرادة التكوينية:

ولكن ذلك كله لا يعني أن الإرادة التكوينية في نطاق الألطاف والتأييد والتسديد، محظورة الحضور في دلالات الآية المباركة وإشاداتها. فإنها، وإن لم توفق للقاء بها نشاهد لها ظهوراً قوياً في نطاق الدلالة المباشرة إلا أننا نجدها حاضرة بوضوح في الإشارات غير المباشرة، فإن المقام مقام شريف والتعظيم والتكريم، والتأكيد التام على الطهارة الواقعية، وحصرها بأهل البيت بالإستفاد من كلمة «إنما»، وبالتصريح بالإرادة الإلهية، وبتأكيد ذلك بالمفعول المطلق، المنون بتنوين التعظيم، أو التنكير الهادف إلى تعميم الطهارة مورد مورد. وبالإستفادة أيضاً من اللام في كلمة «ليذهب» وبغير ذلك.

الإرادة التكوينية لا تنافي الإختيار:

وكل ما تقدم من إشارات إلى الإرادة التكوينية يحتم علينا المزيد من التوضيح لها، لكي لا يتوهم أحد أنها تؤدي إلى الإعتقاد بالجبر الإلهي الذي لا مجال للقبول به.

ونستطيع أن نزيد في توضيح المراد من الإرادة التكوينية هنا، فنقول:

إن الله تعالى حين أفاض الوجود على المخلوقات، كانت هذه الصفوة تسعى إلى الحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من ملكات، وميزات وأحوال، تمكنها من الوصول إلى أعلى مقامات القرب والزلفى من الله سبحانه وتعالى. ولم ترد شيئاً غير ذلك، فأفاض سبحانه عليها، ما استحقت الحصول عليه بسعيها، وبتحقيق عبوديتها التامة لله تبارك وتعالى..

ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد، بل وظفوا هذه العطايا والألطاف، والنعم، والملكات والسجايا، والتوفيقات، والإمدادات الغيبية في الحصول على المزيد، شكراً وعرفاناً منهم لله، واعتداداً بفواضله.. فكان لهم المزيد على قاعدة: .. ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[١]، و﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[٢]، و﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣].

ومن الواضح: أن هذه الإرادة التكوينية لإعطاء النعم، والمزايا والملكات والسجايا والألطاف تابعة لما اختاروه هم، وهم لا يختارون إلا ما هو خير وصلاح وفلاح ونجاح..

وهذا هو مراد من قال: إن الإرادة في آية التطهير تكوينية لا تشريعية.. ولا يريد به: أن العصمة مخلوقة فيهم، ومفروضة عليهم بصورة جبرية، يفقدون معها الاختيار والقدرة على المخالفة والموافقة..

بل المراد فيما يبدو: أن فطرتهم السليمة وإدراكهم العميق لمساوئ المخالفة، وحسن الطاعة يجعل المخالفة بالنسبة إليهم بمثابة إقدام العاقل المتوازن على شرب السم، من العارف به وبآثاره.

ويجعل الطاعة بمثابة التخلي عن أعظم النعم والملذات من دون مبرر،

(١) الآية ١٧ من سورة محمد.

(٢) الآية ٧ من سورة إبراهيم.

(٣) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

وهذا لا يصدر عن عاقل، فكيف بأعقل البشر وأعدلهم مزاجاً، وأصفاهم نفساً، وأطهرهم روحاً؟!

خلاصة وبيان:

إن هناك إرادة تشريعية في الآية، وقد تعلقت بالأوامر والزواجر الموجهة إلى زوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو ما تعلقت به كلمة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**﴾.

وهي منبثقة عن إرادة تكوينية تعلقت بإبعاد الرجس عنهم، والتطهير لهم. ونستفيد هذه الثانية بالدلالة عليها بمفهوم الموافقة، المستند إلى الإشعار بها من خلال نسبة إذهاب الرجس والتطهير في قوله تعالى: ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**﴾ و ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ**﴾ إلى الله سبحانه. لأن الفاعل لكلا الفعلين المذكورين إنما هو ضمير عائد للفظ الجلالة المتقدم في: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**﴾.. بالإضافة إلى إشارات أخرى دلتنا عليها.

ولكن هذه الإرادة التكوينية له تعالى، إنما تعلقت بإبعاد الرجس وبالتطهير. ولم تتعلق بنفس الفعل الصادر عن «أهل البيت»؛ حيث إنه تعالى لم يقل: يريد الله أن يجعلكم تفعلون هذا وتجتنبون ذاك مثلاً؛ لتكون إرادتهم مقهورة لإرادته سبحانه تعالى التكوينية.

بل تعلقت بإبعاد الرجس عنهم، بتوجيه الأوامر والنواهي لغيرهم إكراماً لهم، مع إبقاء إرادتهم حرة طليقة، من دون أدنى تعرض لها. بل قد صرف النظر عنها بالكلية.

الفصل السابع:

الاسم الأكبر.. وأدعية علي عليه السلام..

أعرابي يدعو بالإسم الأكبر:

عن خالد بن ربعي قال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» **دخل مكة في** بعض حوائجه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا صاحب البيت، البيت بيتك، والضيف ضيفك. ولكل ضيف من ضيفه قرى، فاجعل قراي منك الليلة المغفرة.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: «أما تسمعون كلام الأعرابي»؟!

قالوا: نعم.

فقال: الله أكرم من أن يرد ضيفه.

فلما كانت الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول: يا عزيزاً في عزك، فلا أعز منك في عزك، أعزني بعز عزك في عز لا يعلم أحد كيف هو، أتوجه وأتوسل إليك، بحق محمد وآل محمد عليك، أعطني ما لا يعطيني أحد غيرك، واصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك.

قال: فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية، أخبرني به حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، سأله الجنة فأعطاه، وسأله صرف النار وقد صرفها عنه.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة وجده وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول: يا من لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، بلا كيفية كان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أعرابي سألت ربك القرى فقراك، وسألته الجنة فأعطاك، وسألته أن يصرف عنك النار وقد صرفها عنك، وفي هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم؟!

قال الأعرابي: من أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال الأعرابي: أنت والله بغيتي، وبك أنزلت حاجتي.

قال: سل يا أعرابي.

قال: أريد ألف درهم للصداق، وألف درهم أقضي به ديني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيش منه.

قال: أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكة فاسأل عن داري بمدينة الرسول.

فأقام الأعرابي بمكة أسبوعاً، وخرج في طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مدينة الرسول، ونادى: من يدلني على دار أمير المؤمنين علي؟!

فقال الحسين بن علي من بين الصبيان: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن علي.

فقال الأعرابي: من أبوك؟!

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: من أمك؟!

قال: فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

قال: من جدك؟!

قال: رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

قال: من جدتك؟!

قال: خديجة بنت خويلد.

قال: من أخوك.

قال: أبو محمد الحسن بن علي.

قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين وقل له: إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب.

قال: فدخل الحسين بن علي «عليه السلام»، فقال: يا أبة، أعرابي بالباب، يزعم أنه صاحب الضمان بمكة.

قال: فقال: يا فاطمة، عندك شيء يأكله الأعرابي؟!

قالت: اللهم لا.

قال: فتلبس أمير المؤمنين «عليه السلام» وخرج، وقال: ادعوا لي أبا عبد الله سلمان الفارسي.

قال: فدخل إليه سلمان الفارسي، فقال: يا با عبد الله، أعرض الحديقة التي غرسها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي على التجار.

قال: فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم. وأحضر المال، وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقه.

ووقع الخبر إلى سؤَّال المدينة فاجتمعوا، ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة «عليها السلام» فأخبرها بذلك، فقالت: آجرك الله في ممشاك.

فجلس علي «عليه السلام» والدراهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه، فقبض قبضة قبضة، وجعل يعطي رجلاً رجلاً، حتى لم يبق معه درهم واحد.

فلما أتى المنزل قالت له فاطمة «عليه السلام»: يا ابن عم، بعت الحائط الذي غرسه لك والدي؟!

قال: نعم، بخير منه عاجلاً وآجلاً.

قالت: فأين الثمن؟!

قال: دفعته إلى أعين استحييت أن أذلها بذل المسألة قبل أن تسألني.

قالت فاطمة: أنا جائعة، وابناي جائعان، ولا أشك إلا وأنك مثلنا في الجوع، لم يكن لنا منه درهم؟!

وأخذت بطرف ثوب علي «عليه السلام»، فقال علي «عليه السلام»: يا فاطمة، خليني.

فقالت: لا والله، أو يحكم بيني وبينك أبي.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

فقال: يا محمد، السلام يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ علياً مني السلام، وقل لفاطمة: ليس لك أن تضربي على يديه.

فلما أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزل علي وجد فاطمة ملازمة لعلي «عليه السلام»، فقال لها: يا بنية ما لك ملازمة لعلي؟!

قالت: يا أبة، باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم، لم يحبس لنا منه درهماً نشتري به طعاماً.

فقال: يا بنية، إن جبرئيل يقرؤني من ربي السلام، ويقول: اقرأ علياً من ربه السلام، وأمرني أن أقول لك: ليس لك أن تضربي على يديه.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فخرج أبي «صلى الله عليه وآله» في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي ومعه سبعة دراهم سود هجرية، فقال: يا فاطمة، أين ابن عمي؟!

فقلت له: خرج.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً.

فما لبثت إلا يسيراً حتى جاء علي «عليه السلام»، فقال: رجع ابن عمي، فإني أجد رائحة طيبة؟!

قالت: نعم، وقد دفع إلي شيئاً تبتاع به لنا طعاماً.

قال علي «عليه السلام»: هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سوداً هجرية،

فقال: بسم الله، والحمد لله كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله عز وجل، ثم قال: يا حسن قم معي، فأتيا السوق فإذا هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليِّ الوفي؟!

قال: يا بني نعطيه؟!

قال: إي والله يا أبة.

فأعطاه علي «عليه السلام» الدراهم.

فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيته الدراهم كلها؟!

قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.

قال: فمضى علي بباب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال: يا علي اشتر مني هذه الناقة.

قال: ليس معي ثمنها.

قال: فإني أنظرك به إلى القبض.

قال: بكم يا أعرابي؟!

قال: بمائة درهم.

قال علي: خذها يا حسن.

فأخذها، فمضى علي «عليه السلام»، فلقيه أعرابي آخر، المثال واحد، والثياب مختلفة، فقال: يا علي تبيع الناقة؟!

قال علي: وما تصنع بها؟!

قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك.

قال: إن قبلتها فهي لك بلا ثمن.

قال: معي ثمنها، وبالثمن أشتريها، فبكم اشتريتها؟!

قال: بمائة درهم.

قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم.

قال علي «عليه السلام»: خذ السبعين والمائة، وسلم الناقة.

والمائة للأعرابي، الذي باعنا الناقة، والسبعين(!!) لنا نبتاع بها شيئاً.

فأخذ الحسن «عليه السلام» الدراهم وسلم الناقة.

قال علي «عليه السلام»: فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها.

فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق، فلما نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليَّ تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجذه.

قال علي «عليه السلام»: أضحك الله سنك، وبشرك بيومك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أبا الحسن، إنك تطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن؟!

فقلت: إي والله فداك أبي وأمي.

فقال: يا أبا الحسن، الذي باعك الناقة جبرئيل، والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين عز وجل،

فأنفقها في خير، ولا تخف إقتاراً[١].

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً عديدة تحتاج إلى بيان، نذكر بعضها فيما يلي من عناوين:

هذا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله:

تضمنت الرواية المتقدمة تصريحات ودلالات عديدة، على أن هذا قد جرى في أواخر عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وفي حياة فاطمة الزهراء «عليها السلام». وحيث كان الإمام الحسن «عليه السلام» قادراً على التصرف. وكذلك الحسين «عليه السلام» الذي ولد في السنة الرابعة للهجرة، فإنه هو الذي أوصل الأعرابي إلى أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام».

الاسم الأكبر:

ذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» قال: إن ما دعا به الأعرابي هو الاسم الأكبر.. وقد أبهم علينا مراده «عليه السلام» بهذا من جهات:

إحداها: هل المراد بالاسم الأكبر هو الاسم الأعظم؟! أم هو تعبير عن

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٤٤ ـ ٤٧ والأمالي للصدوق المجلس ٧٧ و (ط مؤسسة البعثة) ص٥٥٣ ـ ٥٥٧ وروضة الواعظين ص١٢٤ ـ ١٢٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٧ ومدينة المعاجز ج١ ص١١٣ ـ ١١٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٦٧ ـ ٢٧٠.

معنى آخر غيره؟!

الثانية: هل أراد بالاسم الأكبر خصوص ما دعا به في الليلة الثانية؟! أم هو بالإضافة إلى ما دعا به في الليلة الأولى؟!

كلاهما محتمل. وإن كنا نستظهر أن المقصود هو ما دعا به في الليلة الثانية.

الثالثة: هل الاسم الأكبر بالسريانية يختلف عن الذي بالعربية، أو بغيرها من اللغات أم هو نفسه؟! وإذا كان يختلف عنه، فلماذا اختلف؟! وبماذا؟!

الرابعة: هل المراد بالاسم الأكبر أو الأعظم اسماً خاصاً تضمنه بعض العبارات بعينه، وشخص؟!

أو المراد أنها تحكي عن بعض وجوه معناه، ولو بعبارات تختلف وتتفاوت في الوضوح والخفاء في التعبير والحكاية عن المراد من لغة لأخرى ومن مورد لأخر؟! والشاهد على هذا المعنى الأخير أن الدعاء قد تضمن الاسم الأكبر هنا، وتضمن توسلاً إلى الله سبحانه بحق محمد وآل محمد..

الخامسة: لا ندري من أين عرف ذلك الأعرابي الاسم الأكبر؟! فهل هو قد جرى على لسانه بصورة عفوية، ومن دون معرفة تفصيلية له به؟!

أم أن الأعرابي لم يكن رجلاً عادياً، بل هو رجل من أهل الله تبارك وتعالى. أرسله الله تعالى إلى علي «عليه السلام» ليكون السبب تعريف الناس بالاسم الأكبر، وبأهمية الدعاء في تحقيق أعظم النتائج. وفي حصول ما حصل؟!

بحق محمد وآل محمد عليك:

وقد قال الأعرابي وهو يدعو بالاسم الأكبر: «أتوجه إليك، وأتوسل إليك، بحق محمد وآل محمد عليك، أعطني إلخ..».

فقد يثير البعض إشكالاً هنا، فيقول: ليس لأحد حق على الله تعالى، لا محمد ولا غيره، بل الله تعالى له حق على جميع البشر بما فيهم الأنبياء والأوصياء، ومنهم محمد «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته الطاهرون «عليهم السلام»..

ونقول:

يبدو أن ثمة اشتباهاً في المراد من الحق، فتخيل هذا المعترض: أن المراد به ما يشبه حق الوالد على الولد، والخالق على المخلوق، وليس للنبي وأهل بيته صفة الخالقية ولا الوالدية..

مع أن هذا ليس هو المراد. بل المراد الحق الذي يكون للمخلوق على خالقه، وللولد على والده.. فإن من حق الولد على والده مثلاً: أن يعلمه القرآن، وأن يسميه بالاسم الحسن، وأن يكنيه. وأن يربيه تربية صالحة، وأن يعوله.. وأن.. وأن..

وحق المخلوق على خالقه هو ما قرره الله سبحانه له من حقوق عليه، كل بحسبه فلا يظلمه، ولا يحمله وما لا يطيق، وأن يهيئ له أسباب الهداية والرشاد، وأن يقبل توبته، وأن يستجيب دعاءه الجامع لشرائط الإستجابة، وغير ذلك.

أما إذا كان هذا العبد نبياً، أو وصياً، باذلاً نفسه في ذات الله، فإن ما

وعده الله به، وما تكفل تعالى به له، وما أخذ على نفسه أن يستجيب له فيه لا بد أن يتناسب مع واقع ذلك النبي، ومنزلته عنده تعالى، وقربه منه، ولذلك يكرمه الله تعالى بأن يشفعه في الخلائق، ويقضي حاجاتهم إكراماً له، ويشفي مرضاهم من أجله.. و.. و.. إلخ..

وفي دعاء أبي حمزة: «إلهي إن أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك، وإن أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك. وأنا والله أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك».

وكمثال على ذلك نذكر: أنه لو كان لأحدهم عدة بنين، وكان فيهم الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، فإنه يرى أن عليه أن يستجيب للصالح المطيع المرضي عنده بأضعاف ما يرى أن عليه أن يستجيب فيه للولد العاق والعاصي.

ويتفاوت أولاده عنده في هذا بتفاوت مراتب طاعتهم وصلاحهم.

ولذلك جاء في الدعاء أيضاً قوله: «بحقهم عليك، وبحقك العظيم عليهم».

وفي دعاء أبي حمزة: «لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك».

علي عليه السلام يقول: استجاب الله للأعرابي:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» أخبر الأعرابي: أن الله تعالى غفر ذنوبه، وأعطاه الجنة، وصرف عنه النار..

مع أنه «عليه السلام» كان في تلك الأيام في ظل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدل ذلك على أنه «عليه السلام» قد اطلع إما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إن كان «صلى الله عليه وآله» في مكة آنئذٍ، أو إن كان «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بهذه الواقعة قبل حدوثها. أو أن له طرقاً أخرى للمعرفة بهذه الأمور، وليس في الرواية ما يمكن أن نستدل به على أي من هذين الأمرين..

موعدنا المدينة:

وقد وعد علي «عليه السلام» ذلك الأعرابي: بأن يلبي مطالبه في المدينة، لأنه لم يكن لديه في مكة ما يمكنه أن يتصرف فيه ببيع ولا بغيره، ليقضي حاجة ذلك الأعرابي..

أما في المدينة فكانت له حديقة يمكنه أن يبيعها ليستفيد من ثمنها في هذا السبيل، وهكذا كان..

الحسين بن علي عليه السلام بين الصبيان:

تقول الرواية: إن الحسين «عليه السلام» أجاب الأعرابي من بين الصبيان بقوله: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين «عليه السلام»..

فقد يوهم هذا التعبير: أن الحسين «عليه السلام» كان يلعب مع الصبيان.. وهذا لا يتلاءم مع مقام الإمامة الذي يدعيه له الشيعة.

ونجيب:

إن حضوره بين الصبيان، لا يعني أنه يجاريهم في لعبهم، ويفعل

كفعلهم. فقد تحضر الأم أو المعلمة أو المعلم، أو حتى طفل آخر بين الصبيان ليراقب عملهم، أو ليوجه حركتهم في الإتجاه التربوي أو التعليمي الصحيح، وإن كانوا هم يمارسون حركاتهم تلك، من دون هدف لهم فيها سوى اللعب.

فهي لعب بنظرهم، ومن حيث هدفهم منها، وهي توجيه، وصلاح وتعليم بنظر معلمهم، وما يتوخاه من توجيههم إليها.. وهي منشأ للفكرة والعبرة.. للناظر المراقب لها.

من أبوك؟! من أمك؟!:

ورغم أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أخبر الأعرابي بأنه ابن أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن الأعرابي عاد ليسأله مرة أخرى: من أبوك؟! ثم سأله: من أمك؟!

ولعل سبب ذلك: أن قول الإمام الحسين «عليه السلام»: أنا ابنه، ليس صريحاً فيما يريد الأعرابي أن يتوصل إليه، فإنه قد يكون على سبيل التوسع في الإطلاق. حيث يراد منه الابن المباشر تارة، والابن الذي هو من جملة الذرية أخرى. وربما يطلق على الابن بالتربية والرعاية، وما إلى ذلك.

فأراد الأعرابي أن يتوثق من المراد، وأنه ابنه المباشر. فكرر السؤال عليه، وشفعه بأسئلة أخرى تزيد من تأكيده، وتضيف إليه خصوصيات أخرى له غرض بالتعرف عليها، والتأكد منها، كما أوضحته كلمة الأعرابي أخيراً: «لقد أخذت الدنيا بطرفيها».

أما سؤال الأعرابي للإمام الحسين «عليه السلام» عن أمه، فربما كان

الهدف منه هو التأكد من اتصاله بالرسول عن طريق الأم، وليزيل ـ من ثم ـ احتمال أن يكون قد ولد لعلي «عليه السلام» من أم أخرى غير فاطمة «عليها السلام».

هل تعدت الزهراء عليها السلام الحدود؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن الزهراء «عليها السلام» قد أخذت بطرف ثوب أمير المؤمنين، لكي ترفع الأمر إلى أبيها «صلى الله عليه وآله» ليحكم بينهما..

ونقول:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «لعل منازعتها صلوات الله عليها إنما كانت ظاهراً لظهور فضله «صلوات الله عليه» على الناس، أو لظهور الحكمة فيما صدر عنه، أو لوجه من الوجوه لا نعرفه»[1].

أي أنها «عليها السلام» لم تنازعه على الحقيقة، بل هي منازعة ظاهرية أرادت بها إظهار فضل علي «عليه السلام»، أو أرادت تعريف الناس بالحكمة التي توخاها مما أقدم عليه..

ونضيف إلى ذلك: أننا نعلم أن من تتصدق على المسكين واليتيم، والأسير بطعام أبنائها الصائمين، وترضى بأن لا يذوقوا شيئاً طيلة ثلاثة أيام لا يمكن تلوم علياً «عليه السلام» حين يتصدق بالدراهم على الفقراء، فإن الدرهم الذي طالبته بالإحتفاظ به لإطعامها.. لا يزيد عن أقراص

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٤٧.

الشعير التي تصدقت بها في قصة نزول سورة هل أتى، ولا يزيد أيضاً في أهميته على الطعام الذي حرمت منه ولديها، وأطعمته للضيف، وباتت هي وعلي «عليه السلام» يمضغان بألسنتهما..

فلو أبقى لها علي «عليه السلام» دهماً، وجاءها يتيم أو مسكين أو أسير، هل تردهما خاليي الوفاض. وتحتفظ هي بدرهمها، لتأكل هي وتشبع؟!

إن تاريخ الزهراء «عليها السلام» في الفداء والتضحية والإيثار لا يسمح لنا بأن نتصور حصول شيء من ذلك على الإطلاق.

لذلك نقول:

لا بد لنا من تأييد كلام العلامة المجلسي «رحمه الله»، ورفع مقامه.

من يقرض المليَّ الوفي:

وقد لاحظنا: أن علياً «عليه السلام» حين أعطى الدراهم السبع لذلك الرجل. إنما أعطاها بموافقة ولده الإمام الحسن «عليه السلام»، ليظهر أن ولده على مثل نهجه، وأنه «عليه السلام» لا يفرض قرار الجوع على أبنائه من عند نفسه، بل تلك هي رغبتهم، وبها لذتهم وسعادتهم..

وقد أظهر الإمام الحسن وعلي «عليهما السلام» بذلك أنهما يؤثران صاحب الحاجة، ولو كان ملياً على أنفسهما، لمجرد قضاء حاجته والتوسعة عليه، حتى لو كانا هما في أشد الخصاصة..

المثال واحد والثياب مختلفة:

ولا مجال لقبول ادعاء: أن يكون علي «عليه السلام» لم يلاحظ التشابه

الظاهر فيما بين صاحب الناقة، الذي باعه إياها.. والرجل الآخر الذي اشتراها منه، حيث كان المثال واحداً، والثياب مختلفة..

والسؤال هو: كيف فسَّر «عليه السلام» هذا التوافق والإختلاف بين الرجلين؟!

أم أنه أجرى الأمور وفق سياقها الطبيعي على اعتبار أن الخلق قد يتشابهون إلى هذا الحد، كما هو الحال في التوأمين؟!

أو أنه عرف سرَّ القضية، ولكنه تغافل عنه، حتى يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي يفصح عنه، فإن المصلحة تكمن في هذا؟!

يسأل الأعرابي غرضه من الشراء:

وتقدم: أنه «عليه السلام» سأل الأعرابي عن غرضه من شراء الناقة، ولا يسأل البائع المشتري عادة عن سبب شرائه للسلعة منه، فهل أراد «عليه السلام» أن يطمئن إلى أن الناقة سوف لا تكون في خدمة أغراض غير مشروعة، بل سيستفاد منها في طاعة الله؟! أو أنه عرف أن المشتري من الملائكة، وليس من البشر. فسأله عن ذلك، لأنه رأى الملائكة غير معنيين بالإستفادة من الوسائل المادية في حياتهم.. وربما يكون السبب في هذا السؤال شيئاً آخر، والله هو العالم بحقيقة الحال.

أدعية علي عليه السلام:

عن عروة بن الزبير، قال:

كنا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقل القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟!

قالوا: من؟!

قال: علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال: فوالله، إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه.

ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

فقال أبو الدرداء: يا قوم، إني قائل ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب «عليه السلام»: بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول:

إلهي، كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك. (أو حلمت عني، فقابلتها بنعمتك)، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك.

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب «عليه السلام» بعينه، فاستترت له، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء، والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله أن قال:

إلهي، أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي.

ثم قال: آه، إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء.

ثم قال: آه، من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى.

قال: ثم أنعم (أمعن. ظ) في البكاء، فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر.

قال أبو الدرداء: فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب.

قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة «عليه السلام»: يا أبا الدرداء، ما كان من شأنه ومن قصته؟!

فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق. ونظر إليَّ وأنا أبكي، فقال: مم بكاؤك، يا أبا الدرداء؟!

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني (كذا) أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

هنا أمور نحب لفت النظر إليها:

الأول: أبو الدرداء من حزب معاوية:

صرحت الرواية: بأن أبا الدرداء هو الذي حدث بهذا الحديث. وهذا يؤكد لنا صحته، فإن أبا الدرداء لم يكن من محبي علي «عليه السلام»، بل كان ليس فقط متعاطفاً مع بني أمية، وإنما هو ـ كأبي هريرة ـ من المتحمسين لهم.

ويكفي أن نذكر: أن معاوية ولاه قضاء دمشق[2]. وكان يثني عليه،

---

(1) بحار الأنوار ج٤١ ص١١ و ١٢ وج٨٤ ص١٩٤ والأمالي للصدوق ص١٣٧ وروضة الواعظين ص١١٢ والدر النظيم ص٢٤٢ ص١١١ ومدينة المعاجز ج٢ ص٧٩ ومنازل الآخرة ص٢٥٨ وراجع: مناقب آل أبي طالب ٢ ص١٢٤ وغاية المرام ج٧ ص١٩.

(2) راجع: الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص٤٦٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ =

ويقول: «إلا أبا الدرداء أحد الحكماء»[١].

ويقول عنه مرة أخرى ـ حسب رواية ولده يزيد عنه ـ: «إن أبا الدرداء من الفقهاء، العلماء الذين يشفون من كل داء»[٢].

وقد اعتزل علياً «عليه السلام» في حرب صفين[٣].

= ص٦٢١ وأسد الغابة ج٤ ص١٦٠ وج٥ ص١٨٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص١٧ و ١٨ وج٤ ص٦٠ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٢٩ والثقات لابن حبان ج٣ ص٢٨٥ وتهذيب التهذيب ج٨ ص١٥٧ والأعلام للزركلي ج٥ ص٩٨ وفتوح البلدان للبلاذري ج١ ص١٦٧وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١١٥ والوافي بالوفيات ج٢٤ ص١٣.

(١) الإصابة ج٣ ص٣١٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٤٨٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ق٢ ص١١٥ و (ط دار صادر) ج٢ ص٣٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص١٦٩ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص١٩٢ وتهذيب التهذيب ج٨ ص٣٩٤.

(٢) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٤ ص٦٠ والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٧٧ وتاريخ بغداد ج٤ ص٣١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٧ ص١٢٠ و ١٣١.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص١٧٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٢٨٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٨ وصفين للمنقري ص١٩٠ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٦٨ والكنى والألقاب ج١ ص٦٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٨٢.

الثاني: إنكار فضائل علي عليه السلام:

وقد بينت الرواية المتقدمة مدى إصرار أولئك المجتمعين على إنكار فضائل علي «عليه السلام». فقد أعرض جميع من كان في ذلك المجلس بوجهه.. حتى انتدب رجل أنصاري لأبي الدرداء: ليعلن له موقف تلك الجماعة، وكأنه يطالبه بالشاهد على ما يدعيه..

فإذا كان هذا حال السلف الذين شاهدوا فضائل علي «عليه السلام» بأم أعينهم، وسمعوا أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، ومواقفه منه، ووعوها.. ورأوا آيات القرآن تنزل فيه، ثم هم يصرون على تجاهلها وإنكارها إلى هذا الحد، فما بالك بمن لم يسمع ولم ير، وكتمت عنه الحقائق، وربي على البغض والشنآن لعلي، وأهل بيته. هل تراه سيحبه، وسينقل شيئاً فضائله؟!

وألا يثير العجب الذي لا ينقضي من وصول هذا الكم الهائل من فضائله «عليه السلام» إلينا، بواسطة نفس هؤلاء الشانئين له، والمنحرفين عنه؟! أليس هذا من صنع الله تعالى له «عليه السلام»؟!

الثالث: ذنوب علي عليه السلام:

تضمنت هذه الرواية الإشارة إلى أدعية علي «عليه السلام» التي يذكر فيها الذنوب التي يصفها في دعاء كميل: بأنها تقطع الرجاء، وتنزل النقم، وتهتك العصم، وتحبس الدعاء.. ثم يطلب من الله تعالى أن يغفرها له.. مع أن المفروض هو طهارته وعصمته منها بنص آية التطهير، وبغيرها. فكيف

نفسر ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: إن الله سبحانه حين شرّع أحكامه، قد شرعها على البشر كلهم، على النبي والوصي المعصوم، وعلى الإنسان العادي غير المعصوم، وعلى العالم والجاهل، وعلى الكبير الطاعن في السن والشاب في مقتبل العمر، وعلى المرأة والرجل، وعلى العربي والأعجمي، وعلى العادل والفاسق.

فيجب على الجميع الصلاة والزكاة والحج، والصدق والأمانة، و.. الخ.. وقد رتبت على كثير من التشريعات مثوبات، وعلى مخالفتها عقوبات.. ينالها الجميع، وتنال الجميع بدون استثناء أيضاً. حتى لو لم يفهموا معاني ألفاظها، ولم يدركوا عمق مراميها، كما لو كانوا لا يعرفون لغة العرب، أو كانوا أميين لم يستضيئوا بنور العلم.

فالثواب المرسوم لمن سبّح تسبيحة الزهراء «عليها السلام» هو كذا حسنة.. لكل من قام بهذا العمل استحق هذه الحسنات.

كما أن لهذه العبادات آثاراً خاصة تترتب على مجرد قراءتها، حتى لو لم يفهم قارؤها معاني كلماتها، فمن قرأ آخر سورة الكهف مثلاً، وأضمر الإستيقاظ لصلاة الصبح في الساعة الفلانية، فإن الإستيقاظ سيتحقق، كما أن من كتب نصاً بعينه يشفي من الحالة الكذائية، فإن الشفاء يتحقق.

كما أن المعراجية للمؤمن المترتبة على الصلاة في قوله «عليه السلام»: الصلاة معراج المؤمن. أو القربانية في قوله «عليه السلام»: الصلاة قربان كل تقي. سوف تتحقق بالصلاة حتى لو لم يفهم المصلي معاني كلماتها

تفصيلاً، ومرامي حركاتها فإن نفس هذا الاتصال بالله سبحانه بطريقة معينة ومحدودة على شكل صلاة أو زيارة، أو تسبيح وغير ذلك مما شرعه الله سبحانه، مع توفر الإخلاص وقصد القربة والفهم الإجمالي يحقق هذه الآثار، ويقود إليها، إذا كان مع نية القربة وظهور الإنقياد والتعبد لله سبحانه وفق تلك الكيفيات المرسومة من قبله تعالى، وذلك يحقق غرضاً تربوياً، وإيحائياً تلقينياً يريد الله سبحانه له أن يتحقق.

ولأجل ذلك نجد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ويقول في الأذان والإقامة:

أشهد أن محمداً رسول الله.. ويقول ذلك غيره.. ولا يصح منه الأذان ولا الإقامة، ولا يحصل على ثوابهما، ولا على ثواب الصلاة، ولا على آثارها بدون الإتيان بكل ما هو مرسوم فيها.

والرجل والمرأة يقرآن في دعاء واحد: ومن الحور العين برحمتك فزوّجنا.. ولا يعني ذلك: أن تقصد المرأة مضمون هذه الفقرة بالذات وبصورة تفصيلية، بل هي تقصد الإتيان بالمرسوم والمقرر.

وإذا سألت: هل يعقل أن تكون صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» والولي «عليه السلام» كصلاة أي إنسان عادي آخر من حيث ثوابها، وتأثيراتها؟!

فإن الجواب هو: إن التفاوت إنما يكون فيما ينضم لذلك المرسوم من حالات الإخلاص والإقبال أو ما يصاحبه من تعب وجهد، فالثواب إنما هو بإزاء خصوصية إضافية «كالخشية» الخشوع والرهبة والخضوع التي أنتجتها عوامل أخرى كمعرفة الله سبحانه، وكمال العقل، والسيطرة على الشهوات

والميول وعلى الحواس الظاهرة والباطنة.. أو أي جهد آخر إضافي قد بذل ووعد الله عليه بالمثوبة المناسبة له على اعتبار: أن أفضل الأعمال أحمزها..

فاتضح مما تقدم: أن إتيان المعصوم بالعبادات المرسومة، ومنها الأدعية لا يستلزم أن يكون قد أصبح موضعاً لكل ما فيها من دلالات، فلا يكون استغفاره دليلاً على وقوع الذنب منه.

ثانياً: يقول بعض المهتمين بقضايا العلم: إن أجهزة جسم الإنسان تقوم بوظائف لو أردنا نحن أن نوجدها بوسائلنا البشرية لاحتجنا ربما إلى رصف الكرة الأرضية بأسرها بالأجهزة: هذا على الرغم من أنه إنما يتحدث عن وظائف الجسد وخلاياه التي اكتشفت، مع أنه لم يتم اكتشاف الكثير الكثير منها حتى الآن فضلاً عن سائر جهات وجود هذا الإنسان.

فالله سبحانه يفيض الوجود والطاقة والحيوية على كل أجهزة هذا الجسد وخلاياه لحظة فلحظة، وهذه الفيوضات وطبيعة المهام التي تنتج عنها، وكل هذا التنوع وهذه التفاصيل المحيرة تشير إلى عظمة مبدعها في علمه وفي إحاطته، وفي حكمته، وفي تدبيره، وفي غناه، وفي قدرته و.. و.. و..

فإذا كان النبي والولي المعصومان يدركان هذه النعم التي لولا الله سبحانه لاحتجنا لإنجازها إلى أجهزة تغلف الأرض بكثرتها.

ويعرف أيضاً: بعمق أنه المحل الأعظم لتلك النعم ويعرف عظمتها وتنوعها في مختلف جهات وجوده ويجد ويحس بآثارها في جسده، وفي روحه ونفسه، وكيف أن كل ذرّة في الكون مسخرة لأجله، ولأجل البشر كلهم حسبما صرّح به القرآن الكريم، ويعرف الكثير من أسرار ملكوت الله

سبحانه..

وخلاصته: أن النبي والولي يحس أكثر من كل أحد بقيمة وعظمة واتساع النعم التي يفيضها الله عليه.

فلا غرو إذن إذا كان يرى نفسه ـ مهما فعل ـ مذنباً، ومقصراً لعدم قيامه بواجب الشكر لذلك المنعم العظيم.. بل هو يبكي.. ويبكي من أجل ذلك، ولا يكف عن بذل الجهد.. وحين يقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟!

نجده يقول: أفلا أكون عبداً شكوراً.

ونوضح ذلك بالمثال، فنقول: إن من يريد تقديم هدية لسلطان أو ملك، فإنه قد لا يجد فيما يقدمه ما يناسب جلال السلطان وأبهة الملك، فيرى نفسه مقصراً فيما قدّمه إليه.. بل ومذنباً في حقه.. تماماً كما كان لسان القبّرة التي أهدت لسليمان جرادة كانت في فيها، وذلك لأن الهدايا على مقدار مهديها.

وواضح أن حال المعصوم مع الله تختلف عن حالنا، فهو يعرف الله حق معرفته، ولأجل ذلك فإن عبادته له ليست خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، بل لأنه يراه أهلاً للعبادة، فهو يعبده عبادة العارفين، والعالمين.. كما أنه يعرف أيضاً: أن موقعه يجب أن يكون موقع العبودية التامة، والخالصة، لأنه واقف على حقيقة ذاته في ضعفه، وفي واقع قدراته، وحقيقة قصوره وحاجته إليه في كل آن، كما هو واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.. ويرى نفسه مذنباً في هذا التقصير.. وقد يجر عليه ذلك فقدان لطف الله به، وهتك

العصم التي يكون بها قوته وثباته، ثم قطع الرجاء، وحبس الدعاء.. الخ..

ثالثاً: وبتقريب آخر نقول:

إن نسيج الأدعية والأذكار حين يراد له أن يكون دعاءً أو ذكراً مرسوماً للبشر كلهم بجميع فئاتهم، ومختلف طبقاتهم ويلائم جميع حالاتهم، وتوجهاتهم، فإنه يكون ـ بما له من المعنى ـ بحيث يتسع لتطبيقات عامة ومتنوعة، ويجمعها نظام المعنى العام.

ويساعد على اتساع نطاق تلك التطبيقات، ويزيد في تنوعها مدى المعرفة بمقام الألوهية، ومعرفة أياديه ونعمه وأسرار خلقه وخليقته تبارك وتعالى وما إلى ذلك.. من جهة.. ثم معرفة الإنسان بنفسه، وبموقعه، وحالاته.. و.. من جهة أخرى.

فبملاحظة هذا وذاك يجد المعصوم نفسه ـ نبياً كان أو إماماً ـ في موقع التقصير، ويستشعر من ثم المزيد من الذل والخشية، والخشوع له تعالى.

فالقاتل والسارق والكذاب حين يستغفر الله ويتوب إليه، فإنما يستغفر ويتوب من هذه الذنوب التي يشعر بلزوم التخلص من تبعاتها، ويرى أنها هي التي تحبس الدعاء وتنزل عليه البلاء، وتهتك العصم التي تعصمه، ويعتصم بها، وتوجب حلول النقم به.

أما من ارتكب بعض الذنوب الصغائر، كالنظر إلى الأجنبية، أو أنه سلب نملة جلب شعيرة، أو لم يهتم بمؤمن بحسب ما يليق بشأنه.. وما إلى ذلك..

فإنه يستغفر ويتوب من مثل هذه الذنوب أيضاً، ويرى أنها هي التي

تحبس دعاءه، وتهتك العصم التي تعصمه ويعتصم بها، وتحل النقم به من أجلها.

وهناك نوع آخر من الناس لم يقترف ذنباً صغيراً ولا كبيراً، فإنه حين يقصّر في الخشوع والتذلل أمام الله سبحانه، ولا يجد في نفسه التوجه الكافي إلى الله في دعائه وابتهاله، بل يذهب ذهنه يميناً وشمالاً.. فإنه يجد نفسه في موقع المذنب مع ربه، والعاقّ لسيده، والمستهتر بمولاه. وهذه ذنوب كبيرة بنظره، لا بد له من التوبة والإستغفار منها.. وهي قد توجب عنده هتك العصم التي اعتصم بها، وحلول النقم، وحبس الدعاء، وقطع الرجاء، وما إلى ذلك.

أما حين يبلغ في معرفته بالله سبحانه مقامات سامية، كما هو الحال بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، أو بالنسبة لرسول رب العالمين، فإنه لا يجد في شيء مما يقوم به من عبادة ودعاء وابتهال: أنه يليق بمقام العزة الإلهية.

بل هو يعد الإلتفات إلى أصل المأكل والمشرب والإقتصار على مثل هذه الطاعات تقصيراً خطيراً يحتاج إلى الخروج عنه إلى ما هو أسمى وأسنى، وأوفق بجلال وعظمة الله سبحانه، وبنعمه وبفضله وإحسانه وكرمه..

وهذا التقصير ـ بنظره ـ لا بد أن ينتهي إلى الحرمان من النعم الجلّى، التي يترصّدها، حينما لا يصل إلى درجات تؤهله لتقبلها، وكذلك الحال بالنسبة إلى نفوذ دعائه وحجبه عن أن يستنزل العطايا الإلهية الكبرى، أو

يرتفع به إلى مقامات سامية يطمع بها، ويطمح إليها.. كما أن النبي والوصي قد يجد نفسه غير متمكن من العصم التي يريد لها أن تكون منطلقاً قوياً يدفع به إلى ما هو أعلى وأسمى، وأجل.

وبعبارة أخرى: إنهم يرون: أن عملهم هو من القلّة والقصور بحيث يوجب حجب الدعاء، ووقوعهم بالبلاء، ومن حيث أنه غير قادر على النهوض بهم بصورة أسرع وأتم ليفتح لهم تلك الآفاق التي يطمحون لارتيادها، ما دام أن شوقهم إلى لقاء الله يدعوهم إلى الطموح إلى طي تلك المنازل بأسرع مما يمكن تصوره.

فما يستغفر منه الأنبياء والأوصياء، وما يعتبرونه ذنباً وجرماً.. إنما هو في دائرة مراتب القرب والرضا وتجليات الألطاف الإلهية.. وكل مرتبة تالية تكون كمالاً بالنسبة لما سبقها، وفي هذه الدائرة بالذات يكون تغيير النعم، ونزول النقم، وهتك العصم الخ.. بحسب ما يتناسب مع الغايات التي هي محطّ نظرهم «عليه السلام».

والخلاصة: إن كل فئة من هؤلاء إنما تقصد الإستغفار والتوبة تطبيقاً للمعنى الذي يناسب حالها، وموقعها وفهمها ووعيها، وطموحاتها وخصوصيات شخصيتها، وحياتها وفكرها وواقعها الذي تعيشه، أي أنهم يقرؤون الأدعية ويفهمونها، ويقصدون من تطبيقات معانيها ما يناسب حال كل منهم، وينسجم مع معارفهم، وطموحاتهم.. ولكنها على كل حال أدعية مرسومة على البشر كلهم، وللبشر كلهم.

لفت نظر:

وأخيراً.. فإننا نلفت القارئ الكريم إلى الأمور التالية:

أولاً: إن إنكار البعض أن يكون دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام» تعليمياً، ليس في محله، إذ لا ريب في أن ثمة أدعية قد جاءت على سبيل التعليم للناس، وبالأخص بعض الأدعية التي تعالج حالات معينة كالأدعية التي لبعض الأمراض أو لدفع الوسوسة أو لبعض الحاجات، وما إلى ذلك.. أو تريد بيان التشريع الإلهي للدعاء في مورد معين وقد لا يكون النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام» مورداً لذلك التشريع لسبب أو لآخر..

ثانياً: قوله: إن الإمام إنما يدعو الله من حيث هو إنسان، لا يحل المشكلة، فإنه إذا كان هذا الإنسان لم يرتكب ذنباً، ولا اقترف جريمة، فلماذا يطلب المغفرة الإلهية؟! ولماذا يبكي ويخشع؟! فإن الإنسانية من حيث هي لا تلازم كونه عاصياً.

وإن كان قد أذنب وأجرم بالفعل، فأين هي العصمة؟! وأين هو الجبر الإلهي ـ المزعوم من قبل هذا البعض ـ في عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟!.

ثالثاً: إن من الواضح: أن الذنوب المشار إليها في الأدعية لم يرتكبها الداعي جميعاً، فكيف إذا كان هذا الداعي هو المعصوم كما اعترف به هذا البعض.. وذلك يشير إلى صحة ما ذكرناه في الوجوه التي أشرنا إليها آنفاً وخصوصاً الأخيرة منها .

رابعاً: إن المراد بالمغفرة في بعض نصوص الأدعية خصوصاً بالنسبة الى المعصوم، هو مرحلة دفع المعصية عنه، لا رفع آثارها بعد وقوعها..

كما أن الطلب والدعاء في موارد كثيرة قد يكون وارداً على طريقة الفرض والتقدير، بمعنى أنه يعلن أن لطف الله سبحانه هو الحافظ، والعاصم.. ولكن المعصوم يفرض ذلك واقعاً منه لا محالة لو لم يكن الله يكفي بلطف منه، فهو على حد قول أمير المؤمنين «عليه السلام»..

«لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»[١].

وقد شرحنا هذه الكلمة في بحث مستقل (كُتَيِّب)، بعنوان: «لست بفوق أن أخطئ» فليراجعه من أراد..

---

(١) الكافي ج٨ ص٢٩٣ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٥٣ وج٤١ ص١٥٤ وج٧٤ ص٣٥٨ و ٣٥٩ ونهج البلاغة (ط دار التعارف بيروت) ص٢٤٥ وتفسير الآلوسي ج٢٢ ص١٨.

الفصل الثامن:

حديث الطير..

حديث الطير في النصوص:

نذكر هنا عدداً من نصوص حديث الطير، وهي التالية:

١ ـ عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه ، عن علي «عليهم السلام» قال: كنت أنا ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد بعد أن صلى الفجر. ثم نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك، فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتقار قلبي على فراقه ساعة، فقال لي: أنا متجه إلى بيت عائشة.

فمضى ومضيت إلى بيت فاطمة «عليها السلام»، فلم أزل مع الحسن والحسين، وهي وأنا مسروران بهما، ثم إني نهضت وصرت إلى باب عائشة، فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟!

فقلت لها: أنا علي.

فقالت: إن النبي «صلى الله عليه وآله» راقد.

فانصرفت ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار؟! فرجعت وطرقت الباب.

فقالت لي عائشة: من هذا؟!

فقلت: أنا علي.

فقالت: إن النبي على حاجة.

فانثنيت مستحيياً من دقي الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً.

فرجعت مسرعاً، فدققت الباب دقاً عنيفاً.

فقالت لي عائشة: من هذا؟

فقلت: أنا علي، فسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لها: يا عائشة، افتحي [له] الباب.

ففتحت، فدخلت.

فقال لي: اقعد يا أبا الحسن، أحدثك بما أنا فيه، أو تحدثني بإبطائك عني؟!

فقلت: يا رسول الله، [حدثني]، فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن، كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط علي حبيبي جبرئيل «عليه السلام» ومعه هذا الطير ـ ووضع أصبعه على طائر بين يديه ـ فقال: إن الله عز وجل أوحى إلي أن آخذ هذا الطير، وهو أطيب طعام في الجنة، فأتيتك به يا محمد.

فحمدت الله كثيراً، وعرج جبرئيل، فرفعت يدي إلى السماء، فقلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي هذا الطائر.

فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي ثم قلت: اللهم

يسر عبداً يحبك ويحبني، وتحبه وأحبه، يأكل معي هذا الطائر، فسمعت طرقك للباب وارتفاع صوتك، فقلت لعائشة: أدخلي علياً، فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنت تحب الله وتحبني، ويحبك الله وأحبك، فكل يا علي.

فلما أكلت أنا والنبي الطائر قال لي: يا علي حدثني.

فقلت: يا رسول الله، لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت أريدك، فجئت، فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟!

فقلت لها: أنا علي.

فقالت: إن النبي «صلى الله عليه وآله» راقد.

فانصرف، فلما صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت، فقلت: النبي راقد وعائشة في الدار لا يكون هذا.

فجئت، فطرقت الباب، فقالت لي: من هذا؟!

فقلت لها: أنا علي.

فقالت: إن النبي «صلى الله عليه وآله» على حاجة.

فانصرفت مستحيياً، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة، وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً، وقلت: النبي «صلى الله عليه وآله» على حاجة وعائشة في الدار.

فرجعت، فدققت الباب الدق الذي سمعته، فسمعتك يا رسول الله

وأنت تقول لها: ادخلي علياً.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميراء، ما حملك على هذا؟!

فقالت: يا رسول الله، اشتهيت أن يكون أبي يأكل من الطير!

فقال لها: ما هو بأول ضغن بينك وبين علي. وقد وقفت على ما في قلبك لعلي. إنك لتقاتلينه!

فقالت: يا رسول الله، وتكون النساء يقاتلن الرجال؟!

فقال لها: يا عائشة، إنك لتقاتلين علياً، ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أصحابي، فيحملونك عليه.

وليكونن في قتالك له أمر تتحدث به الأولون والآخرون.

وعلامة ذلك: أنك تركبين الشيطان، ثم تبتلين قبل أن تبلغي إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبح عليك كلاب الحوأب، فتسألين الرجوع، فيشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ما هي كلاب الحوأب، فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك، هو أبعد بلاد على الأرض إلى السماء، وأقربها إلى الماء.

ولترجعين وأنت صاغرة، غير بالغة [إلى] ما تريدين.

ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه، إنه لك خير منك له، ولينذرنك ما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة، وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز.

فقالت: يا رسول الله، ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني!

فقال لها: هيهات هيهات، والذي نفسي بيده، ليكونن ما قلت، حتى كأني أراه.

ثم قال لي: قم يا علي، فقد وجبت صلاة الظهر، حتى آمر بلالاً بالأذان، فأذن بلال، وأقام الصلاة، وصلى، وصليت معه، ولم نزل في المسجد(١).

٢ ـ عن أنس بن مالك قال: دخلت على محمد بن الحجاج، فقال: يا أبا حمزة، حدثنا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حديثاً ليس بينك وبينه فيه أحد.

فقلت: تحدثوا، فإن الحديث شجون يجر بعضه بعضاً.

فذكر أنس حديثاً عن علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال له محمد بن الحجاج: عن أبي تراب تحدثنا؟! دعنا من أبي تراب!

فغضب أنس، وقال: لعلي تقول هذا؟! أما والله، إذ قلت هذا، فلأحدثنك بحديث فيه سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

أهديت له «صلى الله عليه وآله» يعاقيب، فأكل منها، وفضلت فضلة، وشيء من خبز، فلما أصبح أتيته به، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطائر.

---

(١) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٤٨ ـ ٣٥٠ وج٣٢ ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ والإحتجاج ج١ ص٢٩٢ ـ ٢٩٤ ومدينة المعاجز ج١ ص٣٨٨ ـ ٣٩٢ .

فجاء رجل، فضرب الباب، فرجوت أن يكون من الأنصار، فإذا أنا بعلي «عليه السلام»، فقلت: أليس إنما جئت الساعة فرجعت؟!

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء رجل، فضرب الباب، فإذا به علي «عليه السلام»، فسمعه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: اللهم وإلي، اللهم وإلي(١).

٣ ـ عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أبي هدبة، قال: رأيت أنس بن مالك معصوباً بعصابة، فسألته عنها، فقال: هذه دعوة علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فقلت له: وكيف كان ذاك؟!

فقال: كنت خادماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأهدي إليه طائر مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء علي «عليه السلام»، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٦ ـ ٣٥٧ والعمدة لابن البطريق ص٢٤٤ ونهج الإيمان ص٣٣٢ وغاية المرام ج٥ ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٥٢ و ٣٥٧ وج١٦ ص١٩٧ عن مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي (ط طهران) ص١٥٧.

يديه الثانية، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء علي «عليه السلام»، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يديه الثالثة، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلي، يأكل معي من هذا الطائر.

فجاء علي «عليه السلام»، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فرفع علي «عليه السلام» صوته، فقال: وما يشغل رسول الله عني؟!

فسمعه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا أنس، من هذا؟!

فقلت: علي بن أبي طالب.

قال: ائذن له.

فلما دخل قال له: يا علي، إني قد دعوت الله عز وجل ثلاث مرات أن يأتيني بأحب خلقه إليه وإلي يأكل معي من هذا الطائر ، ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، إني قد جئت ثلاث مرات، كل ذلك يردني أنس ويقول: رسول الله عنك مشغول.

فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا أنس ما حملك على هذا؟!

فقلت: يا رسول الله، سمعت الدعوة، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فلما كان يوم الدار استشهدني علي «عليه السلام» فكتمته، فقلت: إني نسيته، فرفع علي «عليه السلام» يده إلى السماء، فقال: اللهم ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس، ثم كشف العصابة عن رأسه، فقال: هذه دعوة علي، هذه دعوة علي، هذه دعوة علي(١).

٤ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: صنعت امرأة من الأنصار لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة أرغفة، وذبحت له دجاجة، فطبختها، فقدمته بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بكر وعمر، فأتياه. ثم رفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم سق إلينا رجلاً رابعاً محباً لك ولرسولك، تحبه اللهم أنت ورسولك، فيشركنا في طعامنا، وبارك لنا فيه. ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم اجعله علي بن أبي طالب.

قال: فوالله، ما كان بأوشك أن طلع علي بن أبي طالب.

فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: الحمد لله الذي سرى بكم جميعاً، وجمعه وأياكم. ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: انظروا، هل ترون بالباب أحداً.

قال جابر: وكنت أنا وابن مسعود، فأمر بنا رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة سنة ١٤١٧هـ) ص٧٥٣ وراجع: روضة الواعظين ص١٣٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١١٥ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٢ وج٥٧ ص٣٠١ .

وآله»، فأدخلنا عليه، فجلسنا معه. ثم دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتلك الأرغفة، فكسرها بيده، ثم غرف عليها من تلك الدجاجة، ودعا بالبركة، فأكلنا جميعاً حتى تملأنا شبعاً وبقيت فضلة لأهل البيت(١).

٥ ـ وفي نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ما أبطأك؟!

قال: هذه ثالثة، ويردني أنس.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أنس، ما حملك على ما صنعت؟!

قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار!

فقال لي: يا أنس، أوفي الأنصار خير من علي؟! أوفي الأنصار أفضل من علي؟!(٢).

ونقول:

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٠٤ وج١٦ ص٢١٥ وج٣٠ ص٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص٧٧.

(٢) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٦ عن ابن المغازلي، والطرائف ص١٨ و (ط الخيام ـ قم) ص٧٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص٢٣٢ عن التبر الذاب، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٦٦ وحياة الحيوان ج٢ ص٢٩٧ ونزهة المجالس ج٢ ص٢١٢ والصراط المستقيم ج١ ص١٩٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٩.

في هذا الحديث وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

رواة حديث الطير:

إن رواة حديث الطير كثيرون ونحن نذكر أقوال بعض أهل العلم، الذين أشاروا إلى هذا الأمر، فنقول:

١ ـ قال ابن شهرآشوب: روى حديث الطير جماعة منهم: الترمذي في جامعه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبلاذري في تاريخه، والخركوشي في شرف المصطفى، والسمعاني في فضائل الصحابة، والطبري في الولاية، وابن البيع في الصحيح، وأبو يعلى في المسند، وأحمد في الفضائل، والنطنزي في الإختصاص.

وقد رواه محمد بن إسحاق، ومحمد بن يحيى الأزدي، وسعيد، والمازني، وابن شاهين، والسدي، وأبو بكر البيهقي، ومالك، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وعبد الملك بن عمير، ومسعر بن كدام، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو حاتم الرازي، بأسانيدهم عن: أنس، وابن عباس، وأم أيمن.

ورواه ابن بطة في الإبانة من طريقين، والخطيب وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق.

وقد صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير.

وقال القاضي أحمد: قد صح عندي حديث الطير.

وقال أبو عبد الله البصري: إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في تصحيح

الأخبار يقتضي القول بصحة هذا الخبر، لإيراده يوم الشورى، فلم ينكر.

قال الشيخ: قد استدل به أمير المؤمنين «عليه السلام» على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها، فما كان فيهم إلا من عرفه وأقر به، والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً.

وليس في الأمة على اختلافها من دفع هذا الخبر.

وحدثني أبو العزيز كادش العكبري، عن أبي طالب الحربي العشاري، عن ابن شاهين الواعظ في كتابه «ما قرب سنده» قال: حدثني نصر بن أبي القاسم الفرائضي، قال: محمد بن عيسى الجوهري، قال: قال نعيم بن سالم بن قنبر، قال: قال أنس بن مالك، الخبر.

وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتاب قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد صح: أن الله تعالى والنبي يحبانه، وما صح ذلك لغيره، فيجب الإقتداء به، ومن عزى خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه[١].

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده عن سفينة مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١١٤ و ١١٥ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥١ و ٣٥٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٥ والطرائف ص١٨ و (ط الخيام ـ قم) ص٧٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٨.

واحتج به علي «عليه السلام» يوم الشورى، وأقروا له به، وإقرارهم به بمثابة رواية له..

وقال المجلسي «رضوان الله تعالى عليه»: «ورواه الشافعي ابن المغازلي في كتابه من نحو أكثر من ثلاثين طريقاً، فمنها ما يدل على أن ذلك قد وقع من النبي «صلى الله عليه وآله» في طائر آخر»(١).

قال أسلم: روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يوسف بن إبراهيم الواسطي، وإسماعيل بن سليمان الأزرق، وإسماعيل السدي، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، ويمامة بن عبد الله بن أنس، وسعيد بن زربى.

قال ابن سمعان: سعيد بن زربى. إنما حدث به عن أنس، وقد روى جماعة عن أنس، منهم: سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن عمير، ومسلم الملائي، وسليمان بن الحجاج الطائفي، وابن أبي الرجاء الكوفي، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، ونعيم بن سالم، وغيرهم .

أقول: روى ابن بطريق هذا الخبر بعبارات قريبة المضامين من مسند أحمد بسند، ومن مناقب ابن المغازلي بأربعة وعشرين سنداً، ومن سنن أبي داود بسندين.

وقال الشيخ المفيد «قدس الله روحه» في كتاب الفصول، عند اعتراض السائل: بأن هذا الخبر من أخبار الآحاد، لأنه إنما رواه أنس بن مالك وحده، فأجاب: بأن الأمة بأجمعها قد تلقته بالقبول، ولم يروا أن أحداً رده

---

(١) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٥.

على أنس، ولا أنكر صحته عند روايته، فصار الإجماع عليه هو الحجة في صوابه.

مع أن التواتر قد ورد بأن أمير المؤمنين «عليه السلام» احتج به في مناقبه يوم الدار، فقال: أنشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء أحد غيري؟!

قالوا: اللهم لا.

قال: اللهم اشهد.

فاعترف الجميع بصحته، ولم يكن أمير المؤمنين «عليه السلام» ليحتج بباطل، لا سيما وهو في مقام المنازعة، والتوصل بفضائله إلى أعلى الرتب التي هي الإمامة والخلافة للرسول «صلى الله عليه وآله»، وإحاطة علمه بأن الحاضرين معه في الشورى يريدون الأمر دونه، مع قول النبي «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار[١].

ما ذكره صاحب العبقات:

وذكر العلامة المتبحر السيد حامد حسين الموسوي الهندي في كتابه عقبات الأنوار، الجزء الرابع: طائفة من أسماء رواة حديث الطير، بلغوا

---

(١) الفصول المختارة ص٩٧ وبحار الأنوار ج١٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ وج٣٨ ص٣٥٧ و ٣٥٨.

(٩١) شخصاً منهم: أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، وعباد بن يعقوب الرواجبي، وغيرهم. وعد (٢٥٠) كتاباً من مؤلفات أهل السنة نقلت هذا الحديث.

وقال الخوارزمي: «أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمئة وعشرين إسناداً»[1].

وقال الذهبي في ترجمة الحاكم النيسابوري: وأما حديث الطير فله طرق كثيرة جداً، قد أفردتها بمصنف، ومجموعها يوجب أن يكون الحديث له أصل[2].

المؤلفات في طرق حديث الطير:

وذكر صاحب عقبات الأنوار ثمانية كتب ألفت في طرق حديث الطير، وهي:

١ ـ طرق حديث الطير وألفاظه، لمحمد بن جرير الطبري المفسر، وصاحب التاريخ، والمتوفي سنة ٣١٠هـ.

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٢٩.

(٢) تذكرة الحفاظ ج٣ ص١٠٤٢ والطبقات الشافعية ج٤ ص١٦٥ الطبقة الثانية. وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٧٩ والغدير ج١ ص١٥٦ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٥٤ وفتح الملك العلى للمغربي ص١٣.

٢ ـ كتاب حديث الطير، لأحمد بن محمد بن سعيد، المعروف بإبن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣هـ.

٣ ـ كتاب طرق حديث الطائر، لأبي عبيد الله بن أحمد الأنباري المتوفى سنة ٣٥٦هـ.

٤ ـ كتاب جمع طرق حديث الطير، لأبي عبد الله الحاكم النيشابوري، المعروف بـ «ابن البيع» صاحب المستدرك على الصحيحين، المتوفى سنة ٤٠٧هـ.

٥ ـ كتاب طرق حديث الطير، لأحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.

٦ ـ كتاب الطير لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

٧ ـ كتاب طرق حديث الطير، لأبي طاهر محمد بن أحمد بن علي، المعروف بابن حمدان، المتوفى سنة ٤٤١هـ.

٨ ـ كتاب طرق حديث الطير لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.[١].

بين الحاكم والذهبي:

تقدم: أن الحاكم النيشابوري روى حديث الطير في مستدركه، وصححه

---

(١) عبقات الأنوار ج٤ (المقدمة).

على شرط الشيخين. وقال: رواه عن أنس جماعة من أصحابه، زيادة علي ثلاثين نفساً. ثم صحت الرواية عن علي، وأبي سعيد الخدري وسفينة.

وبعدما تقدم نقول:

ذكر العلامة الحجة الشيخ محمد حسن المظفر ما مؤداه: أن الحاكم رواه من طريقين: عن إبراهيم بن ثابت البصري القصار، عن ثابت البناني، عن أنس. فتعقبه الذهبي: بأن إبراهيم بن ثابت ساقط.

ويرد عليه: أنه ذكر في ميزان الإعتدال: أنه لا يعرف حاله جيداً. فعدم معرفة الذهبي بحال الراوي جيداً لا يعني سقوط ذلك الراوي عند من عرفه جيداً. كما أن عدم معرفة الذهبي، لا يعني أن لا يعرفه غيره، وقد عرفه الحاكم وصحح حديثه على شرط الشيخين..

كما أن الذهبي تعقب الحديث الأول: بأن في سنده محمد بن أحمد بن عياض، عن أبيه.

فقال: ابن عياض لا أعرفه.

ولكنه قال في ميزان الإعتدال، في ترجمة محمد بن أحمد بن عياض، بعد ما ذكر روايته لحديث الطير بالسند الذي ذكره الحاكم:

«**قال الحاكم:** هذا على شرط البخاري ومسلم، ثم قال الذهبي: الكل ثقات إلا هذا. يعني محمداً، فأنا أتهمه به. ثم ظهر لي أنه صدوق»..

إلى أن قال: «فأما أبوه فلا أعرفه».

ونعود فنكرر: إن عدم معرفة الذهبي له لا تضر بعد ما عرفه الحاكم،

وصحح حديثه على شرط الشيخين[١].

وكيفما كان، فإن الذهبي نفسه قد ألف في حديث الطير كتاباً، وقال عن طرق الحديث الكثيرة: إنها توجب أن له أصلاً.. فما معنى أن يتهم به هذا وذاك؟!

كما أنه هو نفسه قد روى حديث الطير في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي بسند صحيح، لأنه روا، عن قطن بن نسير، عن جعفر بن سليمان الضبعي، (وهما من رجال مسلم) عن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس (وهو من رجال البخاري) عن أنس..

وعلى كل حال، فإن طرق حديث الطير كثيرة وغزيرة.. والمصادر التي أوردته أكثر وأغزر[٢].

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨١.

(٢) إننا نحيل هنا على بعض المصادر التي ذكرت حديث الطير، ونترك سائرها لمن أراد التتبع والإستقصاء، فنقول:

سنحاول أن نذكر شطراً مما ذكره في إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٥ ص٣١٨ ـ ٣٦٨ وج١٦ ص١٦٩ ـ ٢١٩ وج٢١ ص٢٢٢ ـ ٢٤٢ وغير ذلك. فلاحظ:

صحيح الترمذي (ط الصاوي بمصر) ج٥ ص٣٠٠ والخصائص للنسائي ص٢٩ ح١٠ والمناقب لابن المغازلي من ص١٥٦ إلى ص١٧٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٥ ـ ١٣٤. والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٩٥ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٥٦٠ وعن =

= طبقات المحدثين بأصبهان، وعن الرسالة القوامية، ومناقب الصحابة للسمعاني، والجمع بين الصحاح للعبدري الأندلسي، وشرح الأرجوزة للآبي، ومفتاح النجا، وتجهيز الجيش والأربعون حديثاً لعطاء الله الشيرازي، ومناقب العشرة.

وراجع: مصابيح السنة ص٢٠٢ والمناقب للخوارزمي (ط مركز النشر الإسلامي) ص١٠٨ و ١١٥ وفرائد السمطين ج١ ص٢٠٩ ـ ٢١٤. وجامع الأصول (ط السنة المحمدية بمصر) ج٩ ص٤٧١ وأسد الغابة ج٤ ص٣٠ وتذكرة الخواص ص٤٤ وعن شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط القاهرة) ج٤ ص٢٢١ وكفاية الطالب ص١٤٤ ـ ١٥٦ وذخائر العقبى ص٦١ و ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ص٦٣٣ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٠٥ و ٣٥١ و ٣٥٠ و ٣٥٣ ومشكاة المصابيح (ط دلهي ـ الهند) ص٥٦٤ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبدي (مخطوط) ص١٩٠ وكنوز الحقائق ص٢٤ وذخائر المواريث ج١ ص١٨ وينابيع المودة ص٥٦ و ٢٠٣ عن الترمذي، وأبي داود، والجزلي والبغوي. وسعد الشموس والأقمار (ط التقدم العلمية بالقاهرة سنة ١٣٣٠) ص٢٠٩ وتاريخ آل محمد ص٥٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٥ و ١٢٦) ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٤٦ والمواقف للأيجي (ط الأستانة مع شرح الجرجاني) ج٢ ص٦١٥ وتاريخ بغداد ج١١ ص٣٧٦ وج٣ ص١٧١ وج٨ ص٣٨٢ وج٩ ص٣٦٩ والإتحاف ص٨ وتاريخ =

= جرجان ص١٣٤ وميزان الإعتدال ج١ ص٣٢٩ و ٣٢١ وج٣ ص٣٨٠ والعثمانية للجاحظ ص١٣٤ و ١٣٩ وحياة الحيوان (ط القاهرة) ج٢ ص٣٤٠ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٢٣٢ ـ ٢٠٥ وحلية الأولياء ج٦ ص٣٣٩ ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج٥ ص٥٣ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج٢ ص٣٩٨ و ٣٠٤ ونزهة المجالس ج٢ ص٢١٢ وشرح المقاصد ج٢ ص٢١٩ ولسان الميزان ج٥ ص١٩٩ وج١ ص٣٧ ونظم درر السمطين ص١٠٠ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص٥٠٢ و ٥٠١ ومناقب سيدنا علي، للحيدرآبادي ص١٧ وأشعة اللمعات (ط نول كشور) ج٤ ص٦٧٧ وشرح وصايا أبي حنيفة (ط إسلامبول) ص١٧٦ والنكت الظراف على الأطراف (مطبوع مع تحفة الأشراف) ص٩٤ وجمع الفوائد (ط بلدة ميرية في الهند) ج٢ ص٢١١ والرصف ص٣٦٩ وكنز العمال (ط حيدر آباد ـ الدكن) ج١٥ ص١٤٧ ووسيلة النجاة (ط كلشن فيض ـ لكنهو) ص١١٤ وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (ط بمبئ) ص٩٤ وقرة العينين (ط بشاور) ص١١٩ و ١٦٦ وتقريب المرام للسنندجي (ط بولاق) ص٣٣٢ وإتحاف السادة المتقين (ط الميمنية بمصر) ج٧ ص١٢٠ ومرقاة المفاتيح (ط ملتان) ج١١ ص٣٤٣ ومودة القربى (ط لاهور) ص٨٧ وتفريح الآل والأحباب في مناقب الآل والأصحاب (ط الهند) ص٣٠٨ والإدراك للواسطي (ط كانبور) ص٤٦ والبريقة المحمودية (ط مصطفى الحلبي بالقاهرة) ج١ ص٢١١ ومرآة المؤمنين ص٣٤ والمعيار والموازنة ص٢٢٤ والكامل لابن عدي (ط بيروت) ج٦ =

لا قيمة لهملجات ابن تيمية:

وذلك كله يدلنا: على أنه لا قيمة لقول ابن تيمية: إنه لم يرو حديث الطير أحد من أصحاب الصحاح، ولا صححه أئمة الحديث.

والحال: أنه رواه الترمذي، والنسائي، وصححه الحاكم، ورواه الذهبي بسند لا شبهة في صحته عندهم.

كما لا قيمة لقول ابن تيمية: إن الحديث عند أهل المعرفة والعلم من المكذوبات والموضوعات..

فإن كثرة طرق الحديث تمنع من تكذيبه، والحكم عليه بالوضع، كما أن الحاكم قد صححه على شرط الشيخين، والذهبي حكم بأن له أصلاً..

وليس في أهل العلم والمعرفة من حكم بكذب ووضع هذا الحديث،

= ص٢٣٠٩ و ٢٤٤٩ وج٢ ص٧٩٣ و ٧٧٣ وج٧ ص٢٧٣٨ والجوهرة (ط دمشق) ص٦٣ وعن مختصر تاريخ دمشق (مخطوط) ج١٧ ص١٤٤ و ١٤٥.

وراجع: بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٤٨ ـ ٣٥٨ والأمالي للصدوق المجلس٩٤ حديث٣ ص٣٨٩ والفصول المختارة ص٦٠ فما بعدها، والطرائف ص١٨ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٠٤٢ وعبقات الأنوار ج٤ ودلائل الصدق ج٢ ص٢٨٠ فما بعدها، والعلل المتناهية ج١ ص٢٢٧ و ٢٢٨ وتاريخ دمشق الكبير (ط دار إحياء التراث العربي سنة١٤٢١هـ) ج٤٥ ص١٨٥ ـ ١٩٦ والأمالي للطوسي ص١٥٩ وعن الإحتجاج ج١ ص١٠٤ ـ ١٠٥ واليقين ص١١٣ وبشارة المصطفى ص٢٠٢ ـ ٢٠٤.

إلا إن كان ابن تيمية نفسه، ومن هم على شاكلته ممن يتعصب على علي «عليه السلام»، ويجهد لإبطال فضائله، وردها[١].

حدث واحد أم أحداث؟!:

هناك اختلافات بين عدد من نصوص حديث الطير.. وربما يجعل البعض هذا الإختلاف منشأ للقول بتعدد الوقائع التي تشابهت في بعض عناصرها. ولا مانع من ذلك، إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه أراد أن يكرر تأكيده على مضمون بعينه، فيعيد نفس الموقف كلما حضرت المناسبة التي تصلح له.

فتعدد الوقائع، واختلافها في بعض الخصوصيات الجانبية، أو اختلاف بعض الأشخاص فيها، لا يضر فيما يرمي النبي «صلى الله عليه وآله» إلى التأكيد عليه، ونشره في الناس.

ولذلك نلاحظ:

١ ـ أن هناك رواية تقول: إن عائشة هي التي منعت علياً «عليه السلام» من الدخول.

وأخرى تقول: إن أنساً هو الذي منعه من ذلك.

وثمة رواية يظهر منها: أنه لم يمنع أصلاً[٢].

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨٣.

(٢)ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٥ وتاريخ =

أما الروايات الساكتة عن ذكر رده، فلعلها أرادت اختصار ما جرى، أو أنها سعت لحفظ ماء وجه أنس.

٢ ـ رواية الإحتجاج، التي تنص على منع عائشة لعلي «عليه السلام» تقول: إن جبرئيل هو الذي جاء بالطير من الجنة[1].

وأخرى تقول: إن امرأة من الأنصار جاءت بها[2].

وثالثة تقول: جاءت بها أم سليم[3].

= مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٠٤ وج١٦ ص٢١٥ وج٣٠ ص٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص٧٧.

(١) راجع: الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٩٢ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٤٨ ومدينة المعاجز ج١ ص٣٨٨.

(٢) فرائد السمطين ج١ ص٢١٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٨ والمطالب العالية ج٤ ص٦٢ وتذكرة الخواص ص٤٤ وعن مسند أحمد، وعن مناقب العشرة للنقشبندي ص١٠ والعمدة لابن البطريق ص٢٤٢ والطرائف لابن طاووس ص٧١ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٨ ونهج الإيمان ص٣٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٦٠ وج٢١ ص٢٣٩ و ٢٤٢.

(٣) حلية الأولياء ج٦ ص٣٣٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص١٦٦ =

ولعل هذه الرواية لا تنافي سابقتها.

ورابعة تقول: جاءت بها أم أيمن[1].

٣ ـ هل الهدية كانت دجاجة طبختها امرأة من الأنصار؟![2].

أم كانت من الحبارى؟![3].

= وتاريخ مدينة دمشق ج٣٧ ص٤٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٢ ص١٨١ و ١٨٣.

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٣١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١١٤ و ١٣١ وموضح أوهام الجمع والتفريق (ط حيدرآباد) ج٢ ص٣٠٤ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥١ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٧٠ وأمالي المحاملي ص٤٤٣ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٣٤ و ٣٦١ وج١٦ ص١٧١.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٠٤ وج١٦ ص٢١٥ وج٣٠ ص٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص٧٧.

(٣) تاريخ بغداد ج١ ص٣٧٦ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٩٠ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٤٤ وج٥ ص٣٥٩ وج١٦ ص١٧٣ وج٣٠ ص٢٤٢ =

أم كانت نحامة مشوية، أم نحامات؟![1].

أم حجل مشوي، أم حجلات؟![2].

أم قطاتان؟![3].

= عن كفاية الطالب (ط الغري) ص٦٢ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٦٢.

(١) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٥٦ وكفاية الطالب ص١٥٥ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٠ و ٢٥١ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣١٠ وغاية المرام ج٥ ص٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٦ ص٢٠٤ و٣٠ ص٢٤٤.

(٢) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١١٢ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥٠ وشرح الأخبار ج١ ص١٣٧ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣١٠ ونظم درر السمطين ص١٠٠ وحلية الأولياء ج٦ ص٣٣٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص١٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٧ ص٤٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٢ ص١٨١ و ١٨٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٠٧.

(٣) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٦١ ونهج الإيمان ص٣٣٣ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٣٧ وج١٦ ص٢٠١ وغاية المرام ج٥ ص٧١.

أم يعاقب؟!(١).

٤ ـ هل كانت طيراً كما في أكثر الروايات؟!.

أو كانت طيرين؟!(٢).

وقد يقال: لا منافاة بينهما، إذ لعل المراد بالطير اسم الجنس، الصادق على القليل والكثير..

أم كانت طوائر (أو أطيار(٣))؟!

---

(١) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٥٨ والعمدة لابن البطريق ص٢٤٤ وغاية المرام ج٥ ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٥٦ وج١٦ ص١٩٧.

(٢) فرائد السمطين ج١ ص٢١٤ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٣٣ والمطالب العالية ج٤ ص٦٢ وتذكرة الخواص ص٤٤ وعن مسند أحمد، وعن مناقب العشرة للنقشبندي ص١٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٦٠ وج١٦ ص١٧١ وج٢١ ص٢٣٩ و ٢٤٢ والعمدة لابن البطريق ص٢٤٢ والطرائف لابن طاووس ص٧١ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٨ ونهج الإيمان ص٣٣١ .

(٣) كفاية الطالب ص١٥١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٨ ومناقب الإمام علي لابن المغـازلي ص١٦٨ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣١٧ وعوالي اللآلي ج١ ص١٠٨ =

٥ ـ وهل ردوا علياً «عليه السلام» مرتين، ثم دخل في الثالثة؟! كما ورد في العديد من الروايات.

أم ردوه ثلاث مرات، ودخل في الرابعة؟![1].

هذا بالإضافة إلى اختلافات أخرى لا حاجة إلى التعرض لها، وقد ظهر، وسيظهر شطر منها في سياق حديثنا هذا..

ولا بأس بملاحظة النص التالي:

حديث الطير عن جابر:

وروي هذا الحديث عن جابر بطريقة مختلفة تماماً عما هو مروي عن

= ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٦ وسير أعلام النبلاء ج٩ ص٥١ وعن حلية الأولياء ج١٠ ص٢٤٣ وأمالي المحاملي ص٤٤٥ والعهود المحمدية ص١٥٩ والكامل لابن عدي ج٧ ص١٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٢٢ و ٣٣٧ و ٣٦١ وج١٦ ص١٧١ و ١٨١ و ٢٠١ وج٣٠ ص٢٤٥ و ٢٥٢ والعمدة لابن البطريق ص٢٤٥ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٣ وغاية المرام ج٥ ص٧١.

(١) فرائد السمطين ج١ ص٢٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٠ ص٢٤٣ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٦٢.

غيره، حيث ذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث إلى أبي بكر وعمر، فجاءا، ثم دعا الله أن يسوق إليهم رابعاً، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. ثم دعا أن يجعله علياً.

فجاء علي «عليه السلام». وليس في الرواية أنهم ردوه مرة بعد أخرى.

ثم ذكرت الرواية إشراك ابن مسعود وجابر أيضاً[١].

فإذا صحت هذه الرواية، فهل لنا أن نحتمل أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسمع أبا بكر وعمر مقالته في علي «عليه السلام»، لأنه كان يعلم بما يطمحان إليه، ويدبران له، كما كانت تصرفاتهما تشي به، فأراد أن يبين لهما: أن الإمامة والخلافة حق لعلي «عليه السلام»، لأنه أحب الخلق إلى الله تعالى. فلا يحق لهما منازعته في هذا الحق..

علي أفضل الخلق عليه السلام:

وقد دل الحديث: على أن علياً «عليه السلام» أفضل الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه يقول: إنه «عليه السلام» أحب الخلق إلى الله تعالى.. وقد استثنيا الرسول، لأنه هو القائل لذلك.. ولقيام الإجماع على أنه

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٠٤ وج١٦ ص٢١٥ وج٣٠ ص٢٥٤ وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج١٧ ص٣٦١ والمناقب للخوارزمي ص٧٧.

ليس أحب إلى الله منه.

المراد بحب الله لعلي عليه السلام:

والمراد بحب الله له ليس هو هذا الإنفعال النفساني الذي يسميه البشر حباً، لأنه تعالى منزه عن الإنفعالات والتغيرات.

بل المراد به: هو كثرة الثواب، والتوفيقات، والهدايات المترتبة على كثرة طاعات علي «عليه السلام»، وعلى اتصافه بالصفات الحسنة..

فلا بد من وجود فضيلة، أو خصلة كريمة، أو عمل حسن لدى علي «عليه السلام» يوجب ثواب الله تعالى، وإكرامه له..

ولأجل ذلك قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾**(١)، فإن اتباع الرسول طاعة، وعمل حسن، يوجب المزيد من ثواب الله تعالى. ولذلك ترتب حب الله لهم على متابعتهم للرسول.

ومن الواضح: أنه لا يمكن أن يثيب الله العاصي، والمقصر، أكثر من المطيع المكثر من الأعمال الصالحة، لحكم العقل بقبح تفضيل الناقص على الكامل، والعاصي على المطيع، والجاهل على العالم. والمتقدم في الكمالات المتفوق فيها على فاقدها أو القاصر فيها.

ولعلك تقول:

لعله «عليه السلام» كان في ذلك الوقت أحب الخلق إلى الله، ثم صار

---

(١) الآية ٣١ من سورة آل عمران.

غيره أحب إلى الله منه.

ونجيب:

بأن جعل الإمامة والخلافة يدل على أنه «عليه السلام» كان هو الأفضل في جميع الأحوال وسائر الأزمنة.. إذ لا يجوز جعل الخلافة لغير الأفضل كما سنوضحه في الفقرة التالية:

الخلافة للأفضل:

وإذا كان «عليه السلام» هو الأفضل كان هو الأحق بالخلافة، ولذلك نصبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله تعالى خليفة، ووصياً وإماماً للناس من بعده، وأخذ له البيعة من الناس يوم الغدير، ونص عليه في مقامات كثيرة قبل ذلك وبعده، وإلى حين وفاته «صلى الله عليه وآله».

ويقبح من الحكيم، ولا يجوز عند العقل القويم تقديم غير الأفضل على الأفضل.. فكيف يجوز تقديم من لم تثبت له فضيلة إلا من طريق محبيه ومؤيديه المستفيدين من سلطانه؟! بل قد ثبتت له هفوات عديدة على لسان نفس هؤلاء الناس، فضلاً عما رواه غيرهم.

تقديم المفضول على الفاضل:

ولعلك تقول:

إن المعتزلة البغداديين لا يرون بأساً بتقديم المفضول على الفاضل لحكمة يراها. وقال المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة: «الحمد لله الذي قدم

المفضول على الفاضل لحكمة اقتضاها التكليف»[١].

ونجيب:

بأن التقديم لم يكن من الله تعالى، ليقال: إن ذلك ينقض ما قلناه، بل الناس هم الذين قدموا من يصفونه بالمفضول. وإنما فعلوا ذلك بأهوائهم، وما ظنوه منافع شخصية لهم. وقد خالفوا بهذا الذي فعلوه أمر الله تعالى، الذي جعل الفاضل خليفة عليهم دون سواه..

فلا معنى لقول المعتزلي: إن الله هو الذي قدم أبا بكر، ولا سبيل لادعاء وجود حكمة اقتضاها التكليف دعت إلى ذلك.. فإن الملتزمين بخلافة أبي بكر لا يدعون الخلافة له بالنص، بل يدعونها له بالإنتخاب في السقيفة.

مع العلم بأنه حتى الإنتخاب في السقيفة لم يحصل. بل الذي حصل هو التغلب بواسطة التهديد، وإثارة الإنقسامات والخلافات، وبالضرب على الوتر العشائري، والعصبيات والمنافسات القبلية كما أوضحناه في هذا الكتاب حين الكلام حول أحداث السقيفة..

شك علي عليه السلام في كلام عائشة:

لقد كان علي «عليه السلام» يتعامل مع موضوع الأمن الشخصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بكل دقة وحكمة، فلا مجال للتعامل بمنطق غض النظر والتغاضي، لإمكان أن تتسلل بعض السلبيات من خلال هذا التغاضي بالذات، ولذلك نلاحظ: أنه يبادر إلى التدقيق في معاني

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي، الجزء الأول، خطبة الكتاب..

كلام عائشة وفي مراميه، ويسعى لاتخاذ جانب الحيطة والحذر، ويتساءل «عليه السلام» عن مغزى كلام عائشة، ويزنه بميزان الحكمة، فلم يره مقبولاً ولا معقولاً وفق ما يعرفه من النبي «صلى الله عليه وآله». إذ لا يستقيم أن تكون عائشة في الدار والنبي «صلى الله عليه وآله» راقد..

ثم أشار «عليه السلام» إلى تناقض كلام عائشة في المرة الثانية، حيث قالت له: إن النبي «صلى الله عليه وآله» على حاجة. وهذا لا يستقيم، إذ كيف يكون راقداً، ويكون على حاجة خلال لحظات، وتكون عائشة في الدار.

والمفروض: أن تكفي هي النبي حاجته، ولذلك عاد مسرعاً في المرة الثالثة، ودق الباب دقاً عنيفاً، ثم ظهر صدق ما فكر به، إذ لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» راقداً، ولا كان على حاجة..

وظهر أن عائشة أرادت إبعاد علي «عليه السلام» عن نيل الوسام الذي رصده «صلى الله عليه وآله» لمن يحب الله ورسوله، ويرسله الله ليأكل معه من ذلك الطير.. وأنها تريد أن يكون أبوها هو الذي يأكل من الطير، ويفوز بذلك الوسام..

عائشة تحقد على علي عليه السلام:

وقد صرح «صلى الله عليه وآله»: بأن عائشة، قد ردت علياً «عليه السلام»، انطلاقاً من ضغن في قلبها على علي «عليه السلام». وليس الأمر مجرد حب الخير لأبيها.

واللافت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخبر عائشة بأن الضغن هو الذي دعاها لرد علي «عليه السلام» في المرتين، وبأنه «صلى الله عليه وآله» يعرف بما في قلبها على علي «عليه السلام» لم تنكر هي ذلك..

ثم أخبرها النبي «صلى الله عليه وآله» بتفاصيل ما يجري بدقة، لا مجال معها لاحتمال حصول بداء في شيء من ذلك، فقد أخبرها بحربها لعلي، وبأنها تركب الشيطان، وتنبحها كلاب الجوأب.. وبغير ذلك مما يجري لها، وبأنها سترجع صاغرة، لا تبلغ ما تريد. وبغير ذلك

التنسيق الأمني:

وتضمنت رواية الإحتجاج: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلم علياً بذلك. فإذا أبطأ أسرع علي «عليه السلام» إليه، ليعرف خبره.

ويبدو: أن هذا من الإحتياطات الأمنية التي كان علي «عليه السلام» متكفلاً بها، فقد كان «عليه السلام» يتولى حراسة النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد اختار أسطوانة في المسجد يصلى عندها، وهو يؤدي مهمته هذه.. وها هو هنا يريد أن يبقى «عليه السلام» على علم مسبق بالمواضع التي يكون فيها، ثم هو يريد أن يبقى على علم بما يجري له.

وفي بدر كان يتفقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» باستمرار، ليطمئن على سلامته.

وفي بعض النصوص أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» إذا أراد أن يدخل إلى الحجرة، كان شخص يدخل إليها قبله. حيث إن التعليل الأقرب لذلك

هو إرادة الإطمئنان إلى خلو المكان من كل ما يخشى منه.

وهذا احتياط محمود، فإن المتربصين شراً برسول الله «صلى الله عليه وآله» كثيرون، وهو يتعرض لمؤامرات مختلفة من المشركين واليهود، والمنافقين، وحتى من بعض أصحابه المتظاهرين بمحبته، والحريصين على ملازمته.. وقد نفروا به ناقته ليلة العقبة، لكي تلقيه إلى الوادي.. وذلك بعد عودته من غدير خم، أو من تبوك..

فلا عجب إذا كان قلب علي «عليه السلام»: لا يسكن ولا يثبت، ولا يستقر على فراقه «صلى الله عليه وآله» ساعة واحدة، وذلك خوفاً وقلقاً عليه، ومحبته له..

غير أن الأكثر إثارة هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» حتى حين يريد أن يدخل إلى بيت إحدى نسائه كان يخبر علياً «عليه السلام» بذلك.. فهل كان أيضاً «صلى الله عليه وآله» لا يشعر بالأمن، أو كان علي «عليه السلام» يقلق عليه حتى في هذه المواضع؟!

النبي صلى الله عليه وآله يردُّ أبا بكر وعمر:

وورد في بعض نصوص حديث الطير: أنه أتى النبي «صلى الله عليه وآله» وعنده طائر، فقال:

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير.

فجاء أبو بكر، فرده.

ثم جاء عمر، فرده.

(وفي نص آخر: ثم جاء عثمان فرده). ثم جاء علي، فأذن له[١].

ونقول:

إن ظاهر هذه الرواية: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي ردهم، وأذن لعلي «عليه السلام»، ومعنى ذلك: أن المردودين لم يكونوا أحب خلق الله إلى الله تعالى..

بل تدل الرواية: على أنهم يستحقون الفضيحة بين الناس، وإسقاط محلهم، وإثارة الشبهة حولهم والريب فيهم، والتساؤل عما أوجب لهم هذه العقوبة المسقطة للمقام.

وهل جاء أبو بكر بدعوة عائشة، ثم جاء عمر بدعوة حفصة، ثم جاء عثمان بإشارة أحد محبيه عليه؟! أم أن مجيئهم جميعاً كان بمحض الصدفة، أو بتدبير إلهي؟!

---

(١) خصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص٥١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٧ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٨٨ وعن أبي يعلى، ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠٧ وعن مختصر تاريخ دمشق (مخطوط) ج١٧ ص١٤٤ و ١٤٥ ومسند أبي يعلى ج٧ ص١٠٥ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٥٤ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٢٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣١٩ و ٣٢٤ وج٢١ ص٢٣٠ و ٢٣٥ وج٣٠ ص٢٥٣.

قد يقال: إن النص التالي يقرب احتمال أن تكون عائشة وحفصة أشارتا على أبيهما بالمجيء، لنيل وسام عظيم تهفو له النفوس، وتطمح إليه الأنظار، والنص هو التالي:

اللهم اجعله أبي:

قال أبو يعلى: حدثنا قطن بن بشير، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا عبد الله بن مثنى، حدثنا عبد الله بن أنس، عن أنس بن مالك، قال:

أهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حجل مشوي بخبزه وضيافة (كذا)، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطعام.

فقالت عائشة: اللهم اجعله أبي.

وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي.

وقال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عبادة.

قال أنس: فسمعت حركة بالباب[1].. ثم ذكر مجيء علي «عليه

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص١١٢ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٥٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٨٧ وشرح الأخبار ج١ ص٤٢٨ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٣٣ وج٢١ ص٢٢٨ وج٣٠ ص٢٤٢.

السلام»، ورده إياه.. إلخ..

أمنيات عائشة وحفصة:

وعن تمنيات عائشة المشار إليها نقول:

هل أرادت عائشة البر بأبيها، فتمنت له أن يكون أحب الخلق إلى الله؟! وكذلك أرادت حفصة ؟!

أم أن المطلوب هو الحصول على ما ينفع أباها في أن يرضى به الناس خليفة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وبغض النظر عن هذا وذاك، نلاحظ ما يلي:

إن هذا الحديث يدل على عدم صحة ما يزعم: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» سئل عن أحب الناس إليه، فقال: عائشة.

فقالوا له: من الرجال؟!

فقال: أبوها[1].

(١) مسند أحمد ج٤ ص٢٠٣ وج٦ ص٢٤١ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص١٩٢ وج٥ ص١١٣ وصحيح مسلم (ط ار الفكر) ج٧ ص١٠٩ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٨ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ وفضائل الصحابة للنسائي ص٨ والمستدرك للحاكم ج٤ ص١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٧٠ وج٧ ص٢٩٩ وج١٠ ص٢٣٣ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٥٣ وعمدة القاري ج١٦ ص١٨١ وج١٨ ص١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ =

= ص٤٧٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص١٢١ وبغية الباحث ص٢٨٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٦٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٣٩ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٠٩ و ٣٢٦ وج١٦ ص٤٠ والمعجم الكبير ج٢٣ ص٤٣ و ٤٤ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٦٧ وج٤ ص١٨٨٣ والجامع الصغير للسيوطي ج١ ص٣٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٣٣ و ٥٠٠ و ٥١٠ و ٥٢٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٥٣ و ٤٦٦ وفيض القدير ج١ ص٢١٨ وتفسير البغوي ج٤ ص٢٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٧٦ وج٨ ص٦٧ وتاريخ بغداد ج١١ ص٤٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٩٩ وج٣٠ ص١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ وج٤٤ ص٢٢١ وأسد الغابة ج٥ ص٥٠٣ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٣٥ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٤٢ و ١٤٧ و ١٤٨ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣٤٩ والإصابة ج٤ ص١٤٩ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٨٦ ولسان الميزان ج٣ ص٢١٦ و تاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٤٦ والوافي بالوفيات ج١٦ ص٣٤٢ و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٣ ص٢٨٣ وج٥ ص٢٣٨ وج٨ ص١٠٠ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٤٠٥ وعيون الأثر ج٢ ص٣٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٣٣٣ وج٣ ص٥٢٠ و ٥٢١ وج٤ ص٤٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٧٠ و ٢٥٥ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٠٢ والإيضاح لابن شاذان ص٢٥٤ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٥ وذخائر العقبى ص٣٥ والصوارم المهرقة ص٣٢٢ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٢٤ وج٤٩ ص١٩٢.

فإن ذلك لوصح لم يكن مجـال للتمني، بل سوف تتيقن عائشة بأن أباها هو المطلوب، وهو الفائز بهذا الوسام. كما أنه لم يكن لتمني حفصة معنى..

أبو بكر لم يكن معروفاً بالفضل:

ثم إن هذا يدل على أن عائشة وحفصة وأنساً لم يكونوا يعرفون فضلاً لأبي بكر يميزه عن عمر، أو عن سعد بن عبادة. ولذلك قالت عائشة وحفصة: اللهم اجعله أبي..

وقال أنس: اللهم اجعله سعد بن عبادة.

مع أن المفروض هو: أن هؤلاء قريبون من الرسول، ويمكنهم سؤاله عن أي شيء!! فكيف انقلبت الأمور بين ليلة وضحاها، وصار أبو بكر أفضل الناس وأحب الناس إلى الله ورسوله. كما يقول محبوه، ومن هم من حزبه؟!

فشل السياق على الإمتيازات!!:

وكشاهد على ما سبق، ولكن في سياق آخر، نقول:

لقد وجدنا من عائشة وحفصة تصرفاً مشابهاً في أكثر من موقف ومقام، فقد تسابقتا إلى تقديم أبويهما في قضية الصلاة بالناس في مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث أمرت عائشة أباها، وأمرت حفصة أباها بالصلاة بالناس.

فصلى أبو بكر، فبادر بالنبي «صلى الله عليه وآله» رغم مرضه إلى

عزله.. كما ذكرناه في كتابنا هذا.. وفي كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

ومرة أخرى يتسابقان أيضاً في هذا المجال.

فعن ابن عباس: لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه قال: ادعوا لي علياً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟!

قالت حفصة: ندعو لك عمر؟!

قالت أم الفضل: ندعو لك العباس؟!

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً «عليه السلام» فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: ادعو إليَّ حبيبي، فدعوا أبا بكر، ثم عمر، فأعرض عنهما، فدعوا له علياً، فلما رآه أفرج له الثوب

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦ ومناقب آل أبي طالب (ط الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و (ط أخرى) ج١ ص٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ عنه، وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٣٣ و ٣٥ والجمل للمفيد ص٢٢٧ وسفينة النجاة للتنكابني ص١٤٩ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٩٧ والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٨٩.

الذي كان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه(١).

ومن طريق أهل البيت **«عليهم السلام»**: أن عائشة دعت أباها، فأعرض عنه، ودعت حفصة أباها فأعرض عنه، ودعت أم سلمة علياً «عليه السلام»، فناجاه طويلاً ثم أغمي عليه(٢).

وقد ذكرنا هذه الروايات مع مصادرها في آخر الجزء السابع من هذا الكتاب في فصل: أحداث جرت في مرض النبي «صلى الله عليه وآله» تحت

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٩٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٧٠ والمناقب للخوارزمي ص٦٨ وشرح الأخبار ج١ ص١٤٧ والأمالي للطوسي ص٣٣٢ والطرائف لابن طاووس ص١٥٤ والعقد النضيد والدر الفريد ص٩٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص١٧٥ وكشف الغمة ج١ ص١٠٠ والدر النظيم ص١٩٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٢٨ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٥٥ و ٤٧٣ وج٣٨ ص٣٠٨ و ٣١٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٣٣٥ وج١٥ ص٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ وج٢١ ص٦٧٠ و ٦٧١ وج٢٢ ص٢١٢ و ٢١٣ وج٣٠ ص٦٥٢ وج٣١ ص٥٢ وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٧١ وبشارة المصطفى ص٣٧٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ والدر النظيم ص١٩٤.

عنوان: علي «عليه السلام» يروي ويستدل. وقد ذكرنا هناك بعض ما له ارتباط بهذه الروايات.

حب الرجل لقومه:

ويبقى أن نشير إلى أن الروايات تذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال حين سمع جواب أنس: «الرجل يحب قومه». كما ذكرته بعض النصوص.

ونقول:

ألف: إن مراجعة النصوص والمقارنة بينها تظهر: أن ثمة محاولة للتصرف فيما خاطب به النبي «صلى الله عليه وآله» أنساً بعد سماع جوابه، وذلك بهدف تلطيف الجواب مهما أمكن.

بل قد يظهر من بعضها: أنه «صلى الله عليه وآله» كان بصدد التعبير عن الرضا، أو الإستحسان لتصرف أنس. والتصرف بكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الحد غير مقبول، لأنه يصل إلى حد الخيانة، والإفتراء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ب: لا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» يدين تصرف أنس، لأكثر من سبب، أهونها: أنه قد انساق وراء العصبية الجاهلية التي ذمها الله ورسوله والأئمة الطاهرون، وحذروا منها أشد تحذير.

فعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كان في قلبه حبة خردل من

عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية(١).

وعنه «**صلى الله عليه وآله**»: من تعصب أو تُعُصِّبَ له، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

وفي نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «الإيمان» بدل «الإسلام»(٢).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: من تعصب عصبه الله بعصابة

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٠٨ وبحار الأنوار ج٧٠ ص٢٨٤ و ٢٨٩ عن الكافي، والأمالي للصدوق ص٣٦١ و (ط مؤسسة البعثة) ص٧٠٤ وثواب الأعمال ص٢٤١ و (ط منشورات الشريف الرضي) ص٢٧١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٧١ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٩٦ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٥٠ ونور الثقلين ج٥ ص٧١.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٧ وبحار الأنوار ج٧٠ ص٢٩١ و ٢٨٣ وثواب الأعمال ص٢٤١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٧٠ و ٣٧٣ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٩٦ و ٢٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٥٠ ومعارج اليقين للسبزواري ص٤٦١ وأعلام الدين للديلمي ص٤٠١ والإثنا عشرية للحر العاملي ص١٩٦ و ١٩٧ ونور الثقلين ج٥ ص٧٢.

من نار[1].

ولا شك في أن تعصب أنس لم يكن للحق وأهله، بل كان تعصباً جاهلياً.

فأولاً: إنه أنكر الخير على أهل الخير، وغمطهم حقهم.

ثانياً: إنه أساء إليهم، واستخف بهم، وبمقامهم، بإرجاعهم ثلاث أو أربع مرات.

ثالثاً: إنه لم ينفذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». بل خانه، كما ذكره ابن أبي داود.

رابعاً: صرحت رواية عن أنس بأنه يقول: إن الذي حمله على رد علي «عليه السلام» ثلاث مرات هو الحسد له «صلوات الله عليه»[2].

خامساً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أنكر على أنس أن يرى أن أحداً من الأنصار أفضل من علي «عليه السلام»، وبين له: أن هذا الظلم الشنيع

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٠٨ وبحار الأنوار ج٧٠ ص٢٨٤ و ٢٩١ وثواب الأعمال ص٢٤١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٧١ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٤٠ ونور الثقلين ج٥ ص٧٢ ومعارج اليقين للسبزواري ص٤٦١ والإثنا عشرية للحر العاملي ص١٩٦.

(٢) مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٧٤ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص١٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٠ ص٢٤٩.

لعلي «عليه السلام»، ولأجل ذلك ينكر عليه، ويقول:

«يا أنس، أوفي الأنصار خير من علي؟! أوفي الأنصار أفضل من علي «عليه السلام»؟!»[1].

وهذا يجعل أنساً مصداقاً للتفسير الوارد للعصبية المذمومة، فقد سئل الإمام علي بن الحسين «عليه السلام» عن العصبية، فقال:

العصبية التي يأثم عليها صاحبها: أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.

وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه. ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٦ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٦٦ وحياة الحيوان ج٢ ص٢٩٧ ونزهة المجالس ج٢ ص٢١٢ والطرائف ص١٨ و (ط الخيام ـ قم) ص٧٣ وعن التبر المذاب، والعمدة لابن البطريق ص٢٤٨ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٥٦ والصراط المستقيم ج١ ص١٩٣ وغاية المرام ج٥ ص٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٦ ص١٩٦.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٨ وبحار الأنوار ج٧٠ ص٢٨٨ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٣٧٣ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٥١ ونور الثقلين ج٥ ص٧٣ والإثنا عشرية للحر العاملي ص١٩٧ وراجع: طبقات خليفة ص٢٠٧ وأسد الغابة ج٥ ص٣٣٢.

أما العصبية المحمودة، فقد بينها أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبته المفصلة، بقوله: «فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور»(١).

سادساً: إن ملاحظة نصوص الحديث تشير: إلى أن أنس بن مالك قد موَّه على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

بل في بعضها: أنه كذب عليه ثلاث مرات.. وهذا يضع علامة استفهام كبيرة حول مدى استقامة أنس، وحول ما يدعى عدالة كل من رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يستدلون على ذلك بآيات القرآن، وقد ذكرنا أن الآيات لا تدل على ذلك(٢).

والحديث الذي يكذب فيه أنس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويعترف هو بذلك هو التالي:

عن أنس: بعثتني أم سليم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بطير مشوى، ومعه أرغفة من شعير، فأتيته به، فوضعته بين يديه، فقال: يا أنس، ادع لنا من يأكل معنا من هذا الطير، اللهم آتنا بخير خلقك.

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٥٠ وبحار الأنوار ج١٤ ص٤٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٥١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٦٦ ونور الثقلين ج٤ ص٣٣٨ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٤١٦.

(٢) راجع: صراع الحرية في عصر المفيد.

فخرجت فلم تكن لي همة إلا رجل من أهلي آتيه فأدعوه، فإذا أنا بعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، فدخلت فقال: أما وجدت أحداً؟!

قلت: لا.

قال: انظر فنظرت، فلم أجد أحداً إلا علياً.

ففعلت ذلك ثلاث مرات، ثم خرجت، فرجعت، فقلت: هذا علي بن أبي طالب يا رسول الله.

فقال: ائذن له. اللهم وإلي، اللهم وإلي، وجعل يقول ذلك بيده، وأشار بيده اليمنى يحركها(١).

بل هو قد صرح في رواية أخرى عنه: بأنه إنما رد علياً «عليه السلام» في المرات كلها حسداً منه، فراجع(٢). فإن هذا أشنع وأبشع أن تجد صحابياً يحسد أحب الخلق إلى الله ورسوله، ويجعل نفسه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾(٣)، ولقوله تعالى: ﴿**حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾(٤).

سابعاً: في حديث آخر يعترف أنس: أنه يرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه كذب على علي أيضاً.

---

(١) حلية الأولياء ج٦ ص٣٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٤٦.

(٢) تقدمت مصادر ذلك.

(٣) الآية ٥٤ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

فهو يقول: لما وضع بين يديه قال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير.

قال أنس: أريد أن يأكله رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحده. فجاء علي: فقلت رسول الله نائم.

قال: فرفع يده ثانية، وقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء علي فقلت: رسول الله نائم.

قال: فرفع يده الثالثة: فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير.

قال أنس: كم أرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله». أدخل.

فلما رآه قال: اللهم وإلي، فأكلا جميعاً[١].

ملاحظة: قوله: اللهم وإلي، يريد أن يعطف كلمة إلي على كلمة إليك، ليصير الكلام هكذا: بأحب خلقك إليك وإليّ..

دلالات أخرى في حديث الطير:

وفي نص آخر يقول أنس: فلما دخل مسح رسول الله وجهه، ثم مسح رسول الله بوجه علي، ثم مسح وجه علي فمسحه بوجهه. فعل ذلك ثلاث مرات.

فبكى علي، ثم قال: ما هذا يا رسول الله؟!

---

(١) كفاية الطالب ص١٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٤٤.

فقال: ولم لا أفعل بك هذا؟! وأنت تسمع صوتي، وتؤدي عني، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم إني سألتك أن تأتيني بأحب خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطير، فجئت به. اللهم وإنه أحب خلقك إلي(١).

ونقول:

دل هذا الحديث على أمور عديدة، نذكر منها:

١ ـ أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد مسح وجهه أولاً، ثم مسح وحه علي «عليه السلام». أي أنه أراد أن يبارك على علي «عليه السلام» بآثار وجهه هو «صلى الله عليه وآله». ثم مسح وجه علي «عليه السلام»، وأخذ من آثاره ومسح بها «صلى الله عليه وآله» وجهه الشريف، لينال هو «صلى الله عليه وآله» من بركات وجه علي «عليه السلام».

وقد كرر ذلك ثلاث مرات، طلباً للمزيد من الثواب، ولتأكيد المعنى في الأذهان بصورة نهائية..

وهذا يبطل ما يزعمه بعض الناس من حرمة التبرك، واعتباره من الشرك.

٢ ـ إن علياً «عليه السلام» قد بكى فرحاً برضوان الله تبارك وتعالى،

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٤٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص١٤١ و ١٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٢٨.

ولم يبك حزناً على شيء فاته، كما لم يأخذه الزهو والغرور، بل اعترف لله بالعبودية، وأن ما به من نعمة وفضل فمن الله سبحانه..

ولأجل ذلك سأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن السبب الذي أوجب أن يفعل به ما فعله، فإنه لم ير نفسه مستحقاً لشيء من ذلك.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» علل تبركه بعلي «عليه السلام» بثلاثة أمور:

الأول: أنه يسمع صوته. أي بنحو لا يتيسر لغيره. أي أنه يسمعه في كل زمان ومكان.. وحيثما كان. فدل ذلك على أن الله تعالى قد حباه بهذه المنحة التي لا ينالها إلا من اختاره الله لأمر عظيم.. ولأنه يستحق هذا الأمر لأهلية واستعداد كان فيه.

كما أنه يشير بذلك إلى أنس ليعرفه أن علياً كان مطلعاً على الأمر، غير أنه كان يعامله بالعفو والصفح. كما أن ذلك يتضمن دلالة وإشارة إلى صفة من صفات إمامته «عليه السلام».

الثاني: إنه يؤدي عنه. فدل ذلك على خلافته له، وعلى أنه حامل الأمانة بعده، ولا يكلف بهذه المهمة إلا من كان من الأولياء والأصفياء، الذين تلتمس البركة والزيادة والسمو الروحي والمادي منه.

الثالث: إنه يملك من المعارف والعلوم ما ليس لدى أحد سواه، فهو القادرعلى حل المشكلات، وإزالة الخلافات بعلمه الصائب، وحرصه على شرع الله، وعلى كل حقائق الدين، ومن كان كذلك، فإن التماس البركة منه يكون أولى وآكد، لأنه عالم عامل بعلمه.

لا أهمية لأكل الطير:

وقال ابن تيمية: إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم هنا يناسب أن يجيء أحب الخلق إلى الله ليأكل معه. فإن إطعام الطعام مشروع للبر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل، ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا[١].

وأجاب العلامة الحجة الشيخ محمد حسن المظفر بما يلي:

بل هنا أمر عظيم، وهو تعريف الأحب إلى الله للناس، بدليل وجداني، فإنه آكد من اللفظ، وأقوى في الحجة. كما عرفهم نبي الهدى «صلى الله عليه وآله»: أن علياً حبيب الله في قصة خيبر، بإخبارهم: بأنه يعطي الراية من يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، وأن الفتح على يده.

على أنه يكفي في المناسبة رغبة النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يأكل مع أحب الخلق إلى الله، وإليه[٢].

ألا يعرف النبي صلى الله عليه وآله أحب الخلق إلى الله؟!:

وقال ابن تيمية أيضاً: هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة، لأنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف أحب الخلق إلى الله. وإنه جعله خليفة من بعده. وهذا الحديث يدل على أنه ما كان يعرف أحب

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨٣.

(٢) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨٣.

الخلق إلى الله..

وأجاب العلامة الحجة المظفر أيضاً: بإنَّا لا نعرف وجه الدلالة على أنه لا يعرف.

أتراه لو قال: ائتني بعلي، يدل على عدم معرفته له؟!

وكيف لا يعرفه، وقد قال كما في بعض الأخبار: اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي؟!

وقال لعلي في نصٍ آخر: ما حبسك عليَّ؟!

وقال له في بعضها: ما الذي أبطأ بك؟!

فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً، لكنه أبهم في الكلام ليحصل التعيين من الله سبحانه، فيعرف الناس: أن علياً «عليه السلام» هو الأحب إلى الله تعالى بنحو الإستدلال(١).

حديث الطير لا ينافي النبوة:

قال علي بن عبد الله الداهري: سألت ابن أبي داود بالري عن حديث الطير، فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي«صلى الله عليه وآله» باطلة، لأنه يحكي عن حاجب النبي «صلى الله عليه وآله» خيانة، وحاجب النبي لا يكون خائناً(٢).

---

(١) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص١٧٩ و (ط دار الفكر) ج٢٩ ص١٧٩ ترجمة =

ونقول:

أولاً: لا ملازمة بين خيانة حاجب النبي، وبين بطلان نبوة ذلك النبي.. فقد يكون الحاجب مؤمناً، وقد يكون منافقاً وفاسقاً، وقد يكون عالماً وقد يكون جاهلاً.. وقد.. وقد..

ثانياً: قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[1]. فهل كفر زوجة نبي، أو كفر ابن نوح يبطل نبوة ذلك النبي؟!

حديث الطير وعموم الأفضلية:

وأشكل في المواقف وشرحها على الحديث: بأنه لا يفيد أنه أحب إليه في كل شيء، لصحة تقسيم وإدخال لفظ الكل والبعض، ألا ترى أنه يصح أن يستفسر ويقال: أحب إليه في كل الأشياء، أو في بعض الأشياء، فلا يدل على الأفضلية مطلقاً.

والجواب: أن الإطلاق مع عدم القرينة على الخصوص يفيد العموم في مثل المقام، ألا ترى أن كلمة الشهادة تدل على التوحيد، وبمقتضى ما ذكرناه

= عبد الله بن سليمان بن الأشعث، المعروف بأبي بكر بن أبي داود الأزدي السجستاني، والكامل لابن عدي ج٤ ص٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج١٣ ص٢٣١ و ٥١٧.

(١) الآية ١٠ من سورة التحريم.

ينبغي أن لا تدل عليه، لإمكان الإستفسار بأنه لا إله إلا هو في كل شيء، أو في السماء، أو في الأرض، إلى غير ذلك، فلا تفيد نفي التشريك مطلقاً، وهذا لا يقوله عارف، والعجب منهما أن يقولا ذلك، وهما يستدلان على فضل أبي بكر بقوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**﴾[١]. زاعمين: أن المراد بالأتقى أبو بكر، فيكون أفضل. والحال أنه يمكن الإستفسار بأنه الأتقى في كل شيء، أو في بعض الأشياء، مضافاً إلى أنه لا يصح حمل الحديث على إرادة الأحب في بعض الأمور، وإلا لجاء مع علي «عليه السلام» كل من هو أحب منه بزعمهم في بعض الأمور كالشيخين، لاستجابة دعاء النبي «صلى الله عليه وآله»، والحال أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ردهما كما في حديث النسائي، ونحن نمنع أن يكون أحد أحب إلى الله سبحانه بعد النبي «صلى الله عليه وآله» من علي «عليه السلام» في شيء من الأشياء، لما سبق في المبحث الثاني من مباحث الإمامة: أن الإمام أفضل الناس في كل شيء، فيكون أحب إلى الله تعالى في كل شيء[٢].

---

(١) الآية ١٧ من سورة الليل.

(٢) دلائل الصدق ج٢ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

الفصل التاسع:

من أحاديث الإمامة..

النداء بالولاية بعد الغدير:

وقبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بتسعة عشر يوماً كان النداء بالولاية، الذي رواه الإمام الكاظم، عن أبيه عن جده «عليهم السلام»، عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال:

أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أخرج فأنادي في الناس: ألا من ظلم أجيراً أجره فعليه لعنة الله. ألا من توالى غير مواليه فعليه لعنة الله. ألا ومن سب أبويه فعليه لعنة الله.

قال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: فخرجت فناديت في الناس كما أمرني النبي «صلى الله عليه وآله».

فقال لي عمر بن الخطاب: هل لما ناديت به من تفسير؟!

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فقام عمر وجماعة من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فدخلوا عليه، فقال عمر: يا رسول الله، هل لما نادى علي من تفسير؟!

قال: نعم، أمرته أن ينادي: ألا من ظلم أجيراً أجره فعليه لعنة الله، والله يقول:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[(١)]، فمن ظلمنا فعليه لعنة الله.

وأمرته أن ينادي: من توالى غير مواليه فعليه لعنة الله، والله يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[(٢)]، ومن كنت مولاه فعلي مولاه، فمن توالى غير علي فعليه لعنة الله.

وأمرته أن ينادي: من سب أبويه فعليه لعنة الله، وأنا أشهد الله وأشهدكم أني وعلياً أبوا المؤمنين، فمن سب أحدنا فعليه لعنة الله.

فلما خرجوا قال عمر: يا أصحاب محمد، ما أكد النبي لعلي في الولاية في غدير خم، ولا في غيره، أشد من تأكيده في يومنا هذا.

قال خباب بن الأرت: كان هذا الحديث قبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بتسعة عشر يوماً[(٣)].

ونقول:

١ ـ إن هذا النداء بمضمونه، لا بد أن يثير لدى الناس أكثر من سؤال، فإن الأمور التي نادى بها لا يجهل الناس حرمتها، وليس في النداء بها إبهام في معناها القريب والظاهر. ولكن نفس هذا الوضوح هو منشأ الغموض،

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٣) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٨٩ عن ابن طاووس، وغاية المرام ج٣ ص٢٣٢ والصراط المستقيم ج٢ ص٩٣.

فإنهم يعلمون: أن وضوحه يجعل النداء به على هذا النحو غير مفهوم.

ولو كان ثمة من يحتاج إلى تذكير وتأكيد على الحرمة، فيمكن القيام بذلك في الجلسات، وفي خطب الجمعة، وعند حضورهم لصلاة الجماعة وما إلى ذلك.

فإذا وجد الناس للوهلة الأولى أنه ضرورة للنداء، فلا بد أن تثور الأسئلة لديهم عن سبب ذلك ومغزاه..

٢ ـ ثم إنهم لا بد أن يتساءلوا عن الجامع الذي برر جمع هذه الثلاثة، في نداء واحد، إذ لماذا ربط «صلى الله عليه وآله» بين ظلم الأجير أجره، وبين تولي الإنسان غير مواليه؟! ثم ما الذي برر ضم هذين إلى موضوع سب الأبوين؟!

٣ ـ كما أن تولي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وانتدابه للقيام بهذا النداء، يثير هو الآخر التعجب والتساؤل..

٤ ـ ولأجل ذلك بادر عمر بن الخطاب إلى سؤال علي «عليه السلام» عن تفسير ذلك، ولكنه لم يجد الجواب عند علي «عليه السلام»، بل أحال علم ذلك على الله ورسوله.. فزاد بذلك الحماس لمعرفة الدوافع والأسباب، واتسعت دائرة الإتهامات، وكثر المهتمون باستجلاء الحقيقة..

٥ ـ ولم يعد الأمر مقصوراً على عمر، بل تعداه إلى غيره، فقام معه جماعة من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فدخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسألوه عن الأمر.. ولم نجدهم يفعلون مثل ذلك في الحالات المشابهة، فدل ذلك على أنهم رأوا أن النداء يتضمن أمراً خفياً، وأنه

يعنيهم الإطلاع عليه.

٦ ـ وكانت المفاجأة الكبرى لعمر في تفسير رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمضمون النداء، حيث ظهر له أنه يضارع في خطورته وأهميته ما جرى في يوم عرفة، وفي يوم الغدير. وأنه مكمل لهما..

فالمراد بالأجير: أهل البيت «عليهم السلام»، وعلى الأمة أن تؤدي لهم «عليهم السلام» أجر إبلاغ الرسالة بنص القرآن الكريم: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(١).

والمراد بالمولى الذي يجب توليه، ويلعن الله من تولى غيره هو علي «عليه السلام»، الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وهو ـ كرسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ مولى كل مؤمن ومؤمنة..

والمراد بالأب الذي لا يجوز سبه، ويلعن الله تعالى من يسبه هو علي أيضاً..

٧ ـ يبدو لنا: أن قوله في الفقرة الثالثة: من سب أبويه فعليه لعنة الله، كان هو المفتاح الذي أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفتح به أبواب الحيرة أمام عمر وغيره من الصحابة، حيث لا بد أن يستوقفهم الحديث عن سب الأبوين ، في حين أن المتعارف هو الحديث عن عقوقهما في مقابل برهما..

واللافت هنا: أن علياً «عليه السلام» قد سب على منبر أهل الإسلام

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

حوالي ألف شهر.

٨ ـ وقد اعترف عمر بن الخطاب نفسه مباشرة هنا بأن التأكيد على الولاية في هذا النداء أشد مما جرى في غدير خم وغيره من شأن هذا أن يضاعف من مسؤوليته عما جرى حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسوف يصعب عليه التماس العذر لنفسه. وكذلك التماس الناس له العذر في ذلك..

٩ ـ ولا ينبغي أن نهمل الإشارة هنا إلى أنه قد ظهر أن الذي تعارف عليه الناس هو إرادة الأب والأم معاً من كلمة «الأبوين»، ولكن قد ظهر في هذه الرواية: أن المراد بهما: النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام».. وذلك على القاعدة التي أطلقها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة».

١٠ ـ وقد أظهر ما جرى: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يمارس أرقى الأساليب المؤثرة في تركز المفهوم في اذهان الناس.. وبصورة تفرض على الآخرين الحرص بأقوى صوره على اقتناص الفكرة التي يريد إبلاغهم إياها قبل أن يتفوه بها.. رغم أن تلك الفكرة قد تكون مُرَّةً بالنسبة لأولئك الناس.. وربما يكونون في الحالات العادية من أشد الناس اهتماماً بخنقها، وبالتعتيم عليها، ومصادرتها، أو اغتيالها من عقول الناس، فإن لم يمكنهم ذلك عملوا على مسخها، وتشويهها بكل الوسائل..

إخراج الإمامة عن دائرة الإختيار:

١ ـ عن ثابت، عن أنس، قال: انقضَّ كوكب على عهد رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: انظروا إلى هذا الكوكب، فمن انقضَّ في داره، فهو الخليفة من بعدي.

فنظروا، فإذا هو قد انقضَّ في منزل علي «عليه السلام»، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾(١)»(٢).

٢ ـ وفيه أيضاً: بسنده إلى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي «صلى الله عليه وآله»، إذ انقضَّ كوكب، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من انقضَّ هذا النجم في منزله، فهو الوصي من بعدي.

فقام فتية من بني هاشم، فنظروا، فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب «عليه السلام». قالوا: يا رسول الله، قد غويت في حب علي «عليه السلام»، فأنزل الله تعالى : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا**

---

(١) الآيات ١ ـ ٤ من سورة النجم.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص٢٦٦ رقم الحديث ٣١٣، والعمدة لابن البطريق ص٩٠ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٠ وراجع: مدينة المعاجز ج٢ ص٤٣٥ وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٧٥ و ٢٧٦ وميزان الإعتدال ج٢ ص٤٥ ولسان الميزان ج٢ ص٤٤٩ وكشف اليقين ص٤٠٨ والشهب الثواقب للشيخ محمد آل عبد الجبار ص٦١ وغاية المرام ج١ ص٢٢٨ و ج٤ ص٢٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٨٦ و ٣٥٣ وج١٤ ص٢٩٧ و١٥ ص٢١٠ .

غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[1])[2].

٣ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: اجتمع أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة في العام الذي فتح فيه مكة، وقالوا: يا رسول الله، من شأن الأنبياء، أنهم إذا استقام أمرهم أن يوصوا إلى وصي، أو من يقوم مقامه بعده، ويأمر بأمره، ويسير في الأمة بسيرته.

فقال «صلى الله عليه وآله»: قد وعدني ربي بذلك، أن يبين لي ربي عز وجل من يختاره للأمة خليفة بعدي. ومن هو الخليفة على الأمة: بأنه ينزل

---

(١) الآيات ١ ـ ٧ من سورة النجم.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص٣١٠ رقم الحديث ٣٥٣، والعمدة لابن البطريق ص٧٨ وشواهد التنزيل ج٢ ص٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٩٢ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٥٥٦ والصراط المستقيم ج١ ص٢٣٢ والطرائف لابن طاووس ص٢٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٢ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٤٤ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٣٦ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٢٨٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١١٩ وتفسير فرات ص٤٥١ وخصائص الوحي المبين ص٩٥ ونهج الإيمان ص١٩٨ وتأويل الآيات ج٢ ص٦٢٠ والشهب الثواقب للشيخ محمد آل عبد الجبار ص٥٧ وغاية المرام ج٢ ص١٤٥ وج٤ ص٢٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص٣٣٦ وج٤ ص٨٥ وج١٤ ص٢٩٤ وج١٥ ص١٣٦ وج٣٠ ص٧٨.

من السماء نجم، ليعلموا من الوصي بعدي.

قال: فلما فرغوا من صلاتهم، صلاة العشاء الآخرة، في تلك الساعة. والناس ينظرون ما يكون، وهي ليلة مظلمة، لا قمر فيها، وإذا بضوء قد أضاء منه المشرق والمغرب.

وقد نزل نجم من السماء إلى الأرض، وجعل يدور على الدور، حتى وقف على حجرة علي بن أبي طالب «عليه السلام» وله شعاع عظيم هائل.

وقد أضاءت بشعاعه الدور، وقد فزع الناس، وصار على الحجرة.

قال: فجعل الناس يكبرون ويهللون، وقالوا: يا رسول الله، نجم من السماء، قد نزل على ذروة حجرة دار علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال: فقام، وقال: هو ـ والله ـ الوصي من بعدي، والقائم بأمري، فأطيعوه ولا تخالفوه، وقدموه ولا تتقدموا عليه، فهو والله خليفة الله في أرضه بعدي.

قال: فخرج الناس من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال واحد من المنافقين: ما يقول محمد في ابن عمه إلا بالهوى، وقد ركبته الغواية حتى لو أمكن أن يجعله نبياً، لجعله نبياً.

قال: فنزل جبرئيل «عليه السلام» وقال: يا محمد، ربك يقرؤك السلام، ويقول لك إقرأ:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[(١)]»[(٢)].

ونقول:

١ ـ إن انقضاض كوكب من السماء، وسقوطه في موضع بعينه ليس من الأمور التي تخضع لإرادات الناس العاديين، بل هو حدث كوني لا يرى الناس أن لهم فيه حيلة، ولا إلى بلوغه وسيلة..

كما لا سبيل لهم إلى تحديد موقع سقوط الكوكب، إذا لم يقع على مرأى مباشر منهم. فقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم: من انقضَّ في داره فهو الخليفة من بعدي، لا يمكن إلا أن يكون بوحي من الله تبارك وتعالى.. إذ لا يعقل أن تجعل الإمامة والخلافة، وقيادة الأمة وهدايتها معلقة على الصدفة المحضة، فلعل الكوكب قد وقع في الصحراء، أو في إحدى ساحات أو طرقات وأزقة المدينة، ولم يقع في دار أحد. أو وقع في داركافر، أو منافق أو جاحد، أو امرأة أو مجنون. أو جاهل أو ما إلى ذلك.. فهل يمكن أن تسلم الأمة لأمثال هؤلاء؟!

٢ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قد بين لبني هاشم،

---

(١) الآيات ١ ـ ٤ من سورة النجم.

(٢) در بحر المناقب (مخطوط) لابن حسنويه الموصلي الحنفي ص١٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٨٦ وغاية المرام ج٤ ص٢٣٥ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٧٢ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٢٤٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص١٦١.

ولغيرهم في مناسبات كثيرة من هو الإمام والخليفة من بعده، ومن ذلك حديث إنذار العشيرة الأقربين.

ولكن النفوس تأبى، والأهواء تمنع من الإستسلام والرضا.. فكانوا ينسبون النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الهوى والعصبية في ذلك.

فكأن الله تعالى أراد أن يخرج هذا الأمر عن دائرة اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليفهمهم أن الأمر قرار إلهي، لا حيلة للنبي، ولا لغيره فيه. فما عليهم إلا الرضا به، والبخوع له. والكف عن إثارة الهواجس الباطلة بالطريقة التي لا يرضاها الله تبارك وتعالى..

٣ ـ ما ذكرته الرواية الأخيرة، من أن أحد المنافقين خرج، وهو يتهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالعمل بالهوى، وبأنه قد ركبته الغواية في علي «عليه السلام»، ربما كان قبل انقضاض الكوكب، وبعد إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» بانقضاضه.. ثم لما حصل ما حصل نزلت الآيات المباركة.

فإن هذا هو المسار الطبيعي للحدث، إذ لا معنى لأن يتهم ذلك المنافق النبي «صلى الله عليه وآله» بالعمل بالهوى والغواية، بعد ظهور هذه المعجزة العظيمة، التي كان قد أخبرهم بها قبل وقوعها.

أولئك هم خير البرية:

وروي عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فأقبل علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: قد أتاكم أخي.

ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.

ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية.

قال: فنزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[1].

قال: وكان أصحاب محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا أقبل علي «عليه السلام» قالوا: قد جاء خير البرية[2].

ونقول:

نلاحظ هنا ما يلي:

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٢) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (تحقيق المحمودي) ج٢ ص٤٤٢ وتاريخ مدينة دمشق (تحقيق الشيري) ج٤٢ ص٣٧١ وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة الكوفي ص٢١٩ وبشارة المصطفى ص١٩٦ و ٢٩٦ والمناقب للخوارزمي ص١١١ وكشف الغمة ج١ ص١٥١ وج٢ ص٢٣ وينابيع المودة ج١ ص١٩٦ والأمالي للطوسي ص٢٥١ والمحتضر للحلي ص١٦٨ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٠٧ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٥ وغاية المرام ج٣ ص٢٩٩ و ٣٠٢ وج٥ ص٥ و ١٨٦ وج٦ ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢١٧ وج١٤ ص٢٥٨.

١ ـ صرحت الرواية: بأن هذا الذي جرى كان بجوار الكعبة، فدل ذلك على أن هذه القضية قد حصلت إما في عمرة القضاء، أو في فتح مكة، أو في حجة الوداع.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يقول لأصحابه حين أقبل علي «عليه السلام»: «قد أتاكم أخي..» مع أن الحاضرين قد رأوا علياً «عليه السلام» مقبلاً، كما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله». مما يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ من إقبال علي «عليه السلام» ذريعة للحديث عن علي «عليه السلام»، وإبلاغهم أمراً يرى «صلى الله عليه وآله» أن إبلاغهم له لازم وضروري..

وهذا الأمر إما للتأكيد على أمر سبق بيانه، أو هو تأسيس لأمر جديد، أو هما معاً، وهذا هو الظاهر كما بينته المضامين التي صدرت عنه «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر في هذه الرواية ما يلي:

ألف: ما هو بمثابة التذكير بأمر سابق، يريد للناس أن لا ينظروا إليه على أنه حدث عابر، بل هو أمر له أهميته البالغة، ويراد التأسيس والبناء عليه، ألا وهو موضوع أخوة علي «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي تجلت في عملية المؤاخاة في مطلع الهجرة وقبلها.

ب: تقرير أمور هامة وأساسية لصيانتها عن التلاعب، وإفشال محاولات إنكارها، ألا وهي كونه «عليه السلام» أولهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله.

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» بين أمرين:

أولهما: أفضلية علي «عليه السلام» على جميع الصحابة في ذاته، وشخصيته الإسلامية، فهو أولهم في الإيمان، وأولهم في العمل والممارسة، فإنه أوفاهم بعهد الله.

ثانيهما: إنه «صلى الله عليه وآله» فضل علياً «عليه السلام» عليهم بأمور ترتبط بالحكومة والسلطة، وهي: كونه أقومهم بأمر الله، وأعدلهم في الرعية، وأقسمهم بالسوية، والأقوم بأمر الله، فقد أخرجهم «صلى الله عليه وآله» عن عمومه بذكر الرعية والقسمة.. ليدل بصورة واضحة على أنه يريد أن يسد أمامهم باب منافسته «عليه السلام» في أمر الحكومة والولاية.

٥ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد وجه خطابه إلى الصحابة بصورة مباشرة، فقال: أولكم، أوفاكم، أقومكم، أعدلكم، أقسمكم، أعظمكم. وإنما لم يقل: أول الناس مثلاً، لكي يمنع من ظهور أي تأويل، أو توهُّم يريد أن يدعي: أنه يتحدث عن سائر الناس، ولم يقصد الحاضرين عنده، أو الصحابة.. أو كبارهم.. أو نحو ذلك..

٦ ـ وقوله «صلى الله عليه وآله»: أعظمكم عند الله مزية يشير إلى أن هذا الأمر قد ترك آثاره في مجال أسمى وأعظم من أن يمكنهم التصرف أو الإخلال فيه، لأنه أصبح قراراً إلهياً ماضياً..

وقد نزلت فيه آية مباركة تحسم كل جدل، ولا ينالها خطأ ولا خطل، ألا وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ**

الْبَرِيَّةِ﴾(١).

٧ ـ إن الطريقة التي اتبعها الرسول «صلى الله عليه وآله» في بيان ما يريد، جاءت فريدة ورائعة، حيث أرفق الحدث بحركة غير متوقعة، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» التفت إلى الكعبة وضربها بيده، ليدلهم على أن ثمة أمراً اقتضى هذا التصرف الخارج عن المألوف.. لا بد أن يتلمسه المتأمل حين ينتهي الحدث، ليكتشف مبرارته، ثم يبقى يعيش في ذهنه، ويتمكن من استحضاره من خلال تذكره لهذه الحركة التي تشده، فتستخرجه من أعماق الذاكرة، وتحضره أمامه، ليتبصَّره وهو على درجة عالية من التألق والوضوح.

أما لو أورد «صلى الله عليه وآله» كلامه بعفوية وترسُّل، لكان على الذاكرة أن تبذل جهداً كبيراً للعثور عليه بين ذلك الركام الهائل من الصور المتناثرة.. وربما لا توفق للعثور عليه أصلاً..

٨ ـ وقد ترك هذا الحدث أثره الظاهر في نفوس الناس، إلى حد أنهم كانوا إذا أقبل علي «عليه السلام» قالوا: «قد جاء خير البرية».

٩ ـ وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد أقام الحجة عليهم، وأكد حضورها في عقولهم وقلوبهم، حين ربطها بهذا الحدث، الذي أصبح يتبادر إلى أذهانهم بصورة عفوية، فتجذره في عمق الوجدان، وتمازج مع المشاعر، التي تنطلق لتعبر عن نفسها بعفوية ظاهرة.

١٠ ـ إن ضرب الكعبة بيده، ربما أريد به لفت النظر إلى أن ما يريد أن

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

يقرره له مساس بالكعبة وحفظها.. وتأكيد موقعها ومكانتها في النفوس..

كما أنه مرتبط بالتوحيد الذي تمثله الكعبة، وهي الرمز الأعظم والثابت له على مدى العصور والدهور.

فلا بد من الإنقياد والطاعة لله الواحد تبارك وتعالى، والقبول بأن الأمر له.. وأن على الناس أن لا ينقادوا لأهوائهم، وأن لا يستجيبوا لطموحاتهم في أقدس الأمور، وأشدها حساسية.

١١ ـ وبعد.. فإن هذه الروايات قد وردت في مصادر لا تمت إلى الشيعة بصلة.. وقد دونها أناس لا يقولون بالإمامة، أو فقل: لا ينسجمون في مذاهبهم الإعتقادية مع نظام الإمامة، وما يترتب على الإعتقاد به من واجبات ومسؤوليات.

وربما يمكن استفادة أمور أخرى من النص المتقدم، وقد يكون بعضها أدق وأعمق، وأوضح وأصرح مما ذكرناه، غير أننا نكل أمر البحث عنها وبلورتها إلى القارئ إن شاء.

ألف حديث في جلسة واحدة:

عن أم سلمة زوجة النبي «صلى الله عليه وآله» قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لي خليلي.

فأرسلت عائشة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجهه، وقال: ادعوا لي خليلي.

فرجع أبو بكر، وبعثت حفصة إلى أبيها، فلما جاء غطى رسول الله

«صلى الله عليه وآله» وجهه، وقال: ادعوا لي خليلي.

فرجع عمر، وأرسلت فاطمة «عليها السلام» إلى علي، فلما جاء قام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدخل، ثم جلل علياً «عليه السلام» بثوبه.

قال علي «عليه السلام»: فحدثني بألف حديث، يفتح كل حديث ألف حديث، حتى عرقت وعرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسال عليَّ عرقه، وسال عليه عرقي(١).

وهذا الحديث بهذا المضمون عن بشير الدهقان، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، وعن غيره كثير(٢).

ونقول:

أوردنا هذا الحديث، لنشير: إلى أنه لا مجال للإشكال عليه بأنه كيف يحدث النبي «صلى الله عليه وآله» بألف حديث في مثل هذه العجالة؟! فإن هذا مما لا يمكن حدوثه في العادة.

---

(١) الخصال للصدوق ج٢ ص٦٤٢ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٦١ وبصائر الدرجات ص٣٣٣ والإختصاص للمفيد ص٢٨٥ وينابيع المعاجز ص١٤٨ وغاية المرام ج٥ ص٢٢٣.

(٢) بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٦٣ و ٤٦١ وج٢٦ ص٢٩ وج٤٠ ص١٣٠ والخصال للصدوق ج٢ ص٦٤٣ و ٦٤٥ والإختصاص للمفيد ص٢٨٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٥٦٢ وينابيع المعاجز ص١٤٧ ونهج السعادة ج٧ ص٤٦٥ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٤٤ وغاية المرام ج٥ ص٢٢٢.

ونجيب:

أولاً: من الذي قال: إن هذا التعليم كان بالوسائل العادية.. وباللغة والألفاظ المتعارفة والمألوفة. فلعل ثمة طريقة أو لغة أخرى يمكن اختزال الألفاظ فيها إلى أقل القليل، وبنحو لا يخدش في دلالاتها؟!

ومن الذي قال: إن هذه المناجات لم تستمر ساعة أو ساعتين أو أكثر، ولا سيما مع تصريح الرواية بعرق النبي والوصي «صلى الله عليهما وآلهما» حتى سال عرق كل منهما على الآخر.

ثانياً: إن العلم نور يقذفه الله في القلب[1]، فلعل الله تعالى قد تصرف في النبي وفي علي «صلى الله عليهما وآلهما» حتى أمكن نقل هذا النور منه إليه، فحمل عنه ألف حديث يفتح له من كل حديث ألف حديث.

وفي الروايات ما يشير إلى انتقال علم الإمامة أو أسرارها بطرق غير عادية، لحظة اجتماع الإمام السابق باللاحق، قبيل وفاة السابق[2].

---

(١) فيض القدير ج٤ ص٥١٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣١٨٠ والدر المنثور ج٥ ص٢٥٠.

(٢) راجع على سبيل المثال: الأمالي للصدوق ص٧٥٩ ـ ٧٦٢ وبحار الأنوار ج٤٩ ص٣٠٠ ـ ٣٠٣ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٤٢ و ٢٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٢٧١ ـ ٢٧٤ وروضة الواعظين ص٢٢٩ ـ ٢٣٢ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٨٢ و ٤٨٣ ومدينة المعاجز ج٧ ص١٥٨ ـ ١٦٤ و ٣٢٩ ـ ٣٣٢ ومسند الإمام الرضا ج١ ص١٩٣ـ ١٩٦ وموسوعة الإمام الجواد =

أم سلمة تشهد لعلي عليه السلام:

عن علي بن محمد بن المنكدر، عن أم سلمة زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»، وكانت من ألطف نسائه، وأشدهن له حباً بعد زوجته خديجه «عليها السلام»، قال: وكان لها مولى يحضنها ورباها، وكان لا يصلي صلاة إلا سب علياً وشتمه.

فقالت: يا أبة، ما حملك على سب علي؟!

قال: لأنه قتل عثمان وشرك في دمه.

قالت له: لولا أنك مولاي وربيتني، وأنك عندي بمنزلة والدي ما حدثتك بسر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن اجلس حتى أحدثك عن علي وما رأيته في حقه.

قالت: أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان يومي، وإنما كان يصيبني في تسعة أيام يوم واحد، فدخل النبي وهو يخلل أصابعه في أصابع علي «عليه السلام» واضعاً يده عليه، فقال: يا أم سلمة، أخرجي من البيت، وأخليه لنا.

فخرجت وأقبلا يتناجيان، وأسمع الكلام، ولا أدري ما يقولان، حتى إذا قلت: قد انتصف النهار، وأقبلت فقلت: السلام عليك يا رسول الله، ألج؟!

= للقزويني ج١ ص٢١٩ ـ ٢٢٤ وإعلام الورى ج٢ ص٨١ ـ ٨٥ وكشف الغمة ج٣ ص١٢٠ ـ ١٢٣.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا تلجي، وارجعي مكانك.

ثم تناجيا طويلاً حتى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي، وشغله علي، فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، ألج؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا تلجي.

فرجعت، فجلست مكاني، حتى إذا قلت: قد زالت الشمس، الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، ولم أر قط يوماً أطول منه، فأقبلت أمشي حتى وقفت فقلت: السلام عليك يا رسول الله، ألج؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: نعم تلجي.

فدخلت وعلي واضع يده على ركبتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد أدنى فاه من أذن النبي «صلى الله عليه وآله»، وفم النبي «صلى الله عليه وآله» على أذن علي يتساران، وعلي يقول: أفأمضي وأفعل؟!

والنبي يقول: نعم.

فدخلت، وعلي معرض وجهه حتى دخلت، وخرج.

فأخذني النبي «صلى الله عليه وآله» وأقعدني في حجره، فأصاب مني ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والإعتذار، ثم قال: يا أم سلمة، لا تلوميني، فإن جبرئيل أتاني من الله بما هو كائن بعدي، وأمرني أن أوصي به علياً من بعدي، وكنت جالساً بين جبرئيل وعلي، وجبرئيل عن يميني وعلي عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة، فاعذريني ولا تلوميني، إن الله عز وجل اختار من كل أمة نبياً، واختار لكل

نبي وصياً، فأنا نبي هذه الأمة، وعلي وصيي في عترتي، وأهل بيتي، وأمتي من بعدي[1].

ونقول:

نحتاج إلى التذكير هنا بالعديد من الأمور، نذكر منها:

١ ـ إن مكانة علي «عليه السلام» لدى أم سلمة لا تعدلها مكانة أحد بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإذا كانت «رضوان الله تعالى عليها» أشد نساء النبي حباً له «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن تكون أشدهن حباً لمن يحبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»..ولا سيما بملاحظة أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، وعظيم ثناء الله تعالى عليه..

وبذلك يتأكد: أن قداسة ومكانة علي عندها، وموقعه في منظومتها الإعتقادية يجعلها في غاية التوتر، والنفور ممن ينحرف عنه ويميل إلى غيره،

---

(١) الطرائف لابن طاووس ص٨ و(ط مطبعة الخيام) ص٢٤ والمناقب للخوارزمي ص٨٨ وفرائد السمطين باب ٥٢ حديث ٢٢٢ وبشارة المصطفى ص٧٠ بسند آخر (نقلاً عن هامش تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ج٣ ص٩)، والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص١٨٢ والصراط المستقيم ج٢ ص٢٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٨ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٠٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١١٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه الأصفهاني ص١٠٥ وكشف الغمة ج١ ص٣٠١ ونهج الإيمان لابن جبر ص٢٠٠ وغاية المرام ج٦ ص٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٧٦ وج١٥ ص١٧١.

فكيف بمن يناوئه ويعاديه، أو يسبه ويشتمه؟!

فإذا كان الذي رباها يسب علياً «عليه السلام»، ويشتمه عند كل صلاة، فالمتوقع أن ترفضه، وتنفر منه، وتقف منه موقفاً في غاية السلبية، لأنه يمس أقدس شخصية عندها بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولكن الملاحظ هنا: أنها ليس فقط لم تفعل شيئاً من ذلك، وإنما عاملته معاملة هي غاية، في الرفق، واللطف به، والأدب معه، وضبط النفس.

وقد تصرفت معه بطريقة فتحت بها باب فهمه، وأيقظت وجدانه، وأطلقت بصيرته من عقال التعصب الأعمى على آفاق مفعمة بالصفاء والنقاء، والتأمل الواعي والهادي.. وأخذت بيده إلى سبيل الرشاد والسداد، فتاب وأناب، وشملته ألطاف الرب الرحيم التواب، الغفور، والوهاب..

وقدمت أم سلمة النموذج الأمثل للمرأة العاقلة، التي تعي مسؤولياتها، فتبادر إلى القيام بها على أكمل وجه، وأتمه.

٢ ـ إنها «رحمها الله» قد مهدت لما تريد بإفهامها إياه أنها لا تتعامل معه بانفعالاتها وتعصبها الذي يريد أن يفرض خياره وقراره على الآخرين، بل تتعامل معه من موقع الحرص عليه، وابتغاء الخير له، والعرفان بالجميل والوفاء لحقه، من حيث أنه هو البادئ بالتفضل عليها بالتربية والرعاية لها. ثم من موقع الإحترام والإكبار، لا من الإستهانة به والإستهتار بمقامه، فأخبرته بأنها تنظر إليه على أنه بمنزلة والدها..

٣ ـ ثم إنها «رضوان الله تعالى عليها» اعتبرته موضعاً لثقتها، وأهلاً لإيثارها إياه بسر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وميزته بذلك عن غيره،

وهذا يزيده رضاً بنصحها، واطمئناناً إلى صدق نيتها ولهجتها تجاهه، وابتغائها المصلحة له..

٤ ـ إن هذه الرواية بينت: أن علياً «عليه السلام» قد علم بما هو كائن بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من الرسول نفسه، الذي كان يتلقى ذلك من جبرئيل «عليه السلام» في نفس اللحظة.. وجبرئيل إنما يخبر عن الله سبحانه..

ثم تلقى من النبي «صلى الله عليه وآله» الأوامر والتوجيهات الإلهية بطريقة تعامله مع تلك الحوادث. وكان جبرئيل هو الذي يأمره بإبلاغ علي «عليه السلام» بتلك التوجيهات..

فدل ذلك على أن علياً «عليه السلام» لا يتعامل مع الأمور بانفعالاته، واجتهاداته الشخصية، وإنما وفق خطة إلهية مرسومة ومبينة. فلا مجال للطعن في أي موقف يتخذه «عليه السلام»، ولا يمكن نسبة التقصير أو الخطأ فيه إليه بأي حال من الأحوال.

٥ ـ يلاحظ: أن الأمر لم يقتصر على إخبار علي «عليه السلام» بما يكون بعد الرسول «صلى الله عليه وآله» في خصوص حياة علي «عليه السلام»، بل أخبره «صلى الله عليه وآله» بما هو كائن بعده إلى يوم القيامة، وأعطاه توجيهاته وأمره فيه.. فدل ذلك: على أن لعلي «عليه السلام» نوعاً من الحضور والتعاطي بنحو من الأنحاء مع تلك الأحداث المستمرة إلى يوم القيامة، وإن لم ندرك نحن بصورة تفصيلية كيفية، وآفاق ومدى هذا الحضور، وذلك التعامل وحدود ذلك التأثير.

الفصل العاشر:

أحقاد.. وآثار..

الحديقة.. تذكّر بالضغائن:

١ ـ عن أنس وأبي برزة وأبي رافع، وعن ابن بطة من ثلاثة طرق: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج يمشي إلى قبا، فمر بحديقة، فقال علي: ما أحسن هذه الحديقة!!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: حديقتك يا علي في الجنة أحسن منها. حتى مر بسبع حدائق على ذلك.

ثم أهوى إليه فاعتنقه، فبكى «صلى الله عليه وآله»، وبكى علي «عليه السلام».

ثم قال علي «عليه السلام»: ما الذي أبكاك يا رسول الله؟!

قال: أبكي لضغائن في صدور قوم لن تبدو لك إلا من بعدي.

قال: يا رسول الله، كيف أصنع؟!

قال «صلى الله عليه وآله»: تصبر، فإن لم تصبر تلق جهداً وشدة.

قال: يا رسول الله، أتخاف فيها هلاك ديني؟!

قال: بل فيها حياة دينك[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) =

٢ ـ وقال «صلى الله عليه وآله» في خبر: يا علي، اتق الضغائن التي لك في صدر من لا يظهرها إلا بعد موتي، ﴿**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾(١). ثم بكى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقيل: مم بكاؤك، يا رسول الله؟!

قال: أخبرني جبرئيل «عليه السلام»: أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه، ويقاتلونه ويقتلون ولده، ويظلمونهم بعده(٢).

٣ ـ قال الحميري:

وقد كان في يوم الحدايق عبرة وقول رسول الله والعين تدمع

= ج١ ص٣٨٦ عن مسند أبي يعلى، واعتقاد الأشنهي، ومجموع أبي العلاء الهمداني، وعن الإبانة لابن بطة، وبحار الأنوار ج٤١ ص٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣١ ص١١.

(١) الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

(٢) المناقب للخوارزمي ص٦٢ والأمالي للطوسي ص٣٥١ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٤٥ وج٣٧ ص١٩٢ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥ وكشف اليقين ص٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٨ والعقد النضيد والدر الفريد ص٧٧ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٦٦ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٧٠٥ وينابيع المودة ج٣ ص٢٧٩ وغاية المرام ج١ ص١٢٣ وج٢ ص٨٥ وج٣ ص١٩١ و ٢٠٢ وج٤ ص٧٧ وج٦ ص٣١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٥٤.

فقال علي مم تبكي؟ فقال: من ضغاين قوم شرهم أتوقع
عليك، وقد يبدونها بعد ميتتي فماذا هديت الله في ذاك يصنع[١]

ونقول:

ما أحسن هذه الحديقة!!:

ذكرت الرواية: أن حسن الحديقة لفت نظر علي «عليه السلام»، فعبر عن إعجابه بحسنها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. ثم أعجبته الثانية، والثالثة إلى السابعة، فكان في كل ذلك يظهر «عليه السلام» إعجابه بما يراه من حسن تلك الحدائق..

وهذه الشهادة من علي «عليه السلام» وموافقة النبي «صلى الله عليه وآله» له تدلنا على أن إنشاء الحدائق في المدينة، قد قطع أشواطاً واسعة في الرقي والإزدهار، ولعلنا لا نجد له مثيلاً في أيامنا هذه..

وذلك، لأن الحسن إنما هو نتيجة تناسق دقيق لأمور يراد لها أن تتخذ أوضاعاً مختلفة لتكوِّن صورة مختارة للتعبير عن معنى يختزنه ذلك التناسق، ويراد الإيحاء به في المرئيات، أو المسموعات، أو في أي شيء آخر.

ومن غير علي «عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرهف حساً، وأصفى قريحة، وأعلى ذوقاً، وأدق نظراً، وأوفى شعوراً بالحسن

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢١ و(ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٨٧ وأعيان الشيعة ج٣ ص٤٢٥.

وبالجمال، وبقيمته وبمزاياه؟!

فإذا شهد «عليه السلام» بالحسن في مورد، فإن أحداً لن يساوره شك في واقعية هذه الشهادة، لأن علياً «عليه السلام» يمثل القمة في كل شيء، ومنه تبدأ الدقائق والحقائق وإليه تنتهي..

الحسن من نعيم الجنة:

وبديهي: أن الحسن إذا كان من مفردات نعيم الجنة، سواء في ذلك حسن حدائقها، أو حسن حورها، أو حسن ولدانها المخلدين. فلا بد من أن يكون المؤمنون قادرين على إدراك هذا الحسن، والتمتع به.

وسيكون إدراكهم قوياً وراقياً ودقيقاً، وإحساسهم مرهفاً بمقدار ما أهلتهم له أعمالهم، واكتسبوه بجهدهم وجهادهم، وتضحياتهم في الحياة الدنيا.

ومن يمكن أن يدعي أنه يملك من ذلك ما يضارع أو يداني ما لدى خير الأنبياء، وسيد الأوصياء «عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام»؟!

ما الذي أبكاك يا رسول الله؟!:

وحين يحزن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأمر، إلى حد أنه يبكي له، فإن علياً «عليه السلام»، لا بد أن يحزن لحزنه «صلى الله عليه وآله»، لأنه نفسه، وحبيبه، وأخوه.

وإذا كان الإمام الصادق «عليه السلام» يقول عن الشيعة «رضوان الله تعالى عليهم»: رحم الله شيعتنا، خلقوا من فاضل طينتنا، يفرحون لفرحنا،

ويحزنون لحزننا[(١)]. فهل يمكن أن نتصور علياً «عليه السلام» لا يفرح لفرح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهما قد خلقا من نور واحد، ومن شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى؟![(٢)].

---

(١) شجرة طوبى ج١ ص٣ و ٦ وراجع: الخصال ص٦٣٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص١١٤ وج٤٤ ص٢٨٧ والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص٥٢٥ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص١٥٢ ولواعج الأشجان ص٥ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١١٧ وتأويل الآيات ج٢ ص٦٦٧ وغاية المرام ج٤ ص٢٦٦ ومكيال المكارم ج٢ ص١٥٦ والمجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة ص٧٣ و ١٦٢.

(٢) المستدرك للحاكم ج٢ ص٢٤١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٠ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٦٣ ونظم درر السمطين ص٧٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٦٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٦٤ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٩٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢٦٥ وشواهد التنزيل ج١ ص٣٧٥ و ٥٥٤ والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٨٣ والدر المنثور ج٤ ص٤٤ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٧٠ ومجمع البيان ج٢ ص٣١١ وج٦ ص١١ وخصائص الوحي المبين ص٢٤٢ و ٢٤٦ والخصال للصدوق ص٢١ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٧٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٤٧٦ و ٤٨٠ وشرح الأخبار ج٢ ص٥٧٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج١ ص٥٠٦ والصراط المستقيم ج١ ص٢٢٨ وبحار =

ضغائن تبدو بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله:

وعن الضغائن التي أشار إليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» يخبر عن أمر غيبي، تلقاه من جبرئيل، وحدد له من تفاصيله، ما تقشعر له الأبدان، وتنبو عنه وتأباه النفوس.

ولا شيء يوجب نشوء هذه الضغائن إلا أنه «عليه السلام» قد وترهم، وأبار كيدهم، وأسقط عنفوان الباطل فيهم..

أو أنهم حسدوه لفضائله وميزاته، وما حباه الله به.

أو أنهم وجدوا فيه ما يمنعهم من بلوغ أهدافهم، وتحقيق مآربهم، وطموحاتهم الباطلة..

أو أنهم أبغضوا فيه التزامه بالحق، وحمايته له، وسحقه مناوئيه..

ما يهمُّ علياً عليه السلام:

وقد بين علي «عليه السلام»: أن ما يهمه ليس هو ما يتعرض له من ظلم، ومنع حق، وقتال، وقتل للأولاد والذرية، وسائر أنواع الأذى، بل ما

= الأنوار ج٢١ ص٢٧٩ وج٢٢ ص٢٧٨ وج٣٥ ص٢٥ و ٣٠١ وج٣٦ ص١٨٠ وج٣٧ ص٣٨ وج٤٠ ص٧٨ وج٩٩ ص١٠٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٣٥ وكشف الغمة ج١ ص٣٢٣ وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٢٥٥ ـ ٢٦٦ وج٧ ص١٨٠ ـ ١٨٤ وج٩ ص١٥٠ ـ ١٥٩ وكتاب فضائل الخمسة ج١ ص١٧١.

يهمه هو: حفظ الدين والحق، ولذلك قال: «أتخاف فيها هلاك ديني»؟![١].

آية اللعن:

والذي يدعو للتأمل قول النبي«صلى الله عليه وآله»: ﴿**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[٢]، مع أن هؤلاء الملعونين يعدون أنفسهم، ويعدهم كثير من جملة المسلمين، والآية ترشد إلى مطلوبية لعن الناس لهم، ومحبوبيته. فدعوى مرجوحية اللعن بصورة مطلقة تصبح في غير محلها. ولهذا البحث مجال آخر..

مبغض علي عليه السلام رديء الولادة:

عن زيد بن يثيع قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال ـ وقد خيَّم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ـ: أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء الولادة .

فقال رجل: يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟!

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٥ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٨٦.

(٢) الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

قال: إي ورب الكعبة[١].

ونقول:

١ ـ إن الروايات المصرحة بأن مبغض علي«عليه السلام» رديء الولادة أو ابن زنا كثيرة، رواها أهل السنة والشيعة على حد سواء.. وهذا الخبر واحد منها. وكذلك الخبر الآتي.

٢ ـ إن زيد بن يثيع يقسم على أنه قد سمع ذلك من أبي بكر بعد أن سأله سائل: إن كان قد سمع ذلك منه حقيقة.. حيث يبدو أن السائل لم يتعقل صدور هذا الأمر من أبي بكر، الذي نازع علياً «عليه السلام» في الخلافة، وجرت الأمور على النحو المعروف. وحصل ما حصل..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل رداءة الولادة وطيبها مرتبطة بحب ثلاثة آخرين غير علي «عليه السلام»، وهم فاطمة والحسنان «عليهم السلام».. وهذا لا ينافي إقتصار سائر الروايات على ذكر علي «عليه

(١) الفصول المئة ج٣ ص٢٨٨ عن فرائد السمطين ج٢ ص٣٧٣ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص١٩ والمناقب للخوارزمي ص٢٩٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص١٧٤ وشرح إحقاق الحق ج٩ ص١٦٥ وج١٨ ص٤١٥ وج٢٥ ص٢٣٨ وج٢٦ ص٢٥٩ وج٢٧ ص٩٥ وج٣٣ ص٨٩ وشرح الأخبار ج٣ ص٥١٥ والغدير ج١ ص٣٣٦ وج٤ ص٣٢٣ والنص والإجتهاد ص٩٠ عن سمط النجوم ج٢ ص٤٨٨ والرياض النضرة (ط مكتبة الخانجي بمصر) ج٢ ص١٨٩.

السلام»، فإن إثبات شيء لشيء لا يعني الإنحصار به، بل قد يشاركه غيره فيه..

النبي صلى الله عليه وآله يشهر علياً عليه السلام:

عن أنس بن مالك قال: كان النبي «صلى الله عليه وآله» إذا أراد أن يشهر علياً في موطن أو مشهد علا على راحلته، وأمر الناس أن ينخفضوا دونه.

وإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شهر علياً يوم خيبر، فقال:

يا أيها الناس، من أحب أن ينظر إلى آدم في خلقه ـ وأنا في خلقي ـ وإلى إبراهيم في خلته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في سنه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب، إذا خطر بين الصفين كأنما يتقلع من صخر، أو يتحدر من دهر.

يا أيها الناس، امتحنوا أولادكم بحبه، فإن علياً لا يدعو إلى ضلالة، ولا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم.

قال أنس بن مالك: وكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي، وإذا نظر إليه يوجِّهه بوجهه تلقاءه، وأومأ بإصبعه: أي بني تحب هذا الرجل المقبل؟!

فإن قال الغلام: نعم، قبله.

وإن قال: لا، حرف (لعل الصحيح: ضرب) به الأرض، وقال له: الحق بأمك، ولا تلحق أبيك بأهلها [كذا]، فلا حاجة لي فيمن لا يحب علي

بن أبي طالب «عليه السلام»[١].

ونقول:

نستفيد من هذا النص أموراً، نذكر منها:

١ ـ إنه قد تكرر إشهار النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» في المواطن والمشاهد. حتى أصبح مألوفاً للناس..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان يتخذ وضعاً خاصاً للقيام بعمله هذا، صار الناس يعرفون طريقته، وحالاته، فإذا رأوا تلك الحالات عرفوا أن ثمة أمراً يرتبط بعلي، وأنه يريد إشهاره وإعلانه، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» يعلو على راحلته، ويأمر الناس بالإنخفاض دونه، وهذا الذي جرى في خيبر كان أحد تلك المشاهد.

٣ ـ ودلت الصفات التي أطلقها «صلى الله عليه وآله» على أمير المؤمنين «عليه السلام» على أنه قد حوى من صفات الكمال والجمال أتمها وأفضلها، فقد حوى من صفات آدم «عليه السلام» صفات كماله في خلقته، ومن صفات النبي «صلى الله عليه وآله» أخلاقه الفاضلة، وأخذ أيضاً خلة إبراهيم، ومناجاة موسى، وزهد يحيى، وسن (أو سنة) عيسى.

أي أنه «عليه السلام» قد حاز الصفات التي امتاز بها الأنبياء، وجاراهم

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ط بيروت) ج٢ ص٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج٤٢ ص٢٨٨ و (ط مكتبة المرعشي) ج١٥ ص٦١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٥ ص٦١١ وج٢١ ص٣٦٤.

بها، حتى إن النظر إليه يكفي عن النظر إلى جميع الأنبياء، لأن الناظر إلى كل شخص لا بد أن ينجذب إلى الصفة التي كملت فيه حتى امتاز بها. ولكنه حين ينظر إلى علي «عليه السلام»، فإنه ينجذب إلى جميع الصفات، لأنها امتازت كلها فيه..

٤ ـ ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وقف هذا الموقف في خيبر بالذات، ليدل على أن ما جرى على يد علي «عليه السلام» لا ينبغي أن يتعامل معه بنظرة ضيقة ومحدودة، تجعل من علي «عليه السلام» مجرد رجل شجاع وقوي. بل لا بد أن ينظر إلى علي «عليه السلام» كله في صفاته الخلقية، والخلقية، والنفسية، والإيمانية، ومقاماته الروحية، وفضائله، وفي نهجه، وفي هداه وكمالاته كلها.

٥ ـ وأقوى تحذير يمكن أن نتصوره لمن يختار مناوأة أمير المؤمنين «عليه السلام» ومعاداته هو هذا البيان الصريح والقاطع الذي يضع من يعاديه من أهل الهوى والعصبية الجاهلية أمام أصعب الخيارات، حيث يطعن في شرفه، ويضع علامة استفهام على طهارة مولده.

٦ ـ وقد أصبح هذا البيان النبوي معياراً، يكشف الناس به الخفايا، ويظهرون به الخبايا، لأنهم على يقين من صدق نبيهم، ومن أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ..

وقد كان جابر «رحمه الله» **يقول:** كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي

طالب[1]، وعن عبادة بن الصامت مثله. والروايات حول ذلك كثيرة.

وقد اضطر كثير من الناس من أعداء علي «عليه السلام» إلى التظاهر بحب علي «عليه السلام» لإثبات براءتهم مما يرميهم به الناس، مع أن قرائن الأحوال لا تؤيد هذه البراءة..

إمتحان الأولاد بحب علي عليه السلام:

روى الصفوري الشافعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر أصحابه يوم خيبر بأن يمتحنوا أولادهم بحب علي بن أبي طالب، فإنه لا يدعو إلى ضلالة ولا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم.

قال أنس: فكان الرجل بعد ذلك يقف بولده على طريق علي، فيقول: يا بني أتحب هذا؟!

فإن قال: نعم، قبله.

---

(١) شرح الأخبار ج١ ص٤٤٦ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٥ وشواهد التنزيل ج١ ص٤٤٩ وراجع: الرواشح السماوية للأستراآبادي ص١٣٧ والغدير ج٣ ص٢٦ وج٤ ص٣٢٢ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٧٧ وراجع: الإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص١٥٨ و ١٦٠ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٣٧٢ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٠ وج٦ ص٤٨٢ ونهج الإيمان ص٤٥٦ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص١٦١ وشرح إحقاق الحق ج٧ ص٢٦٦ وج١٤ ص٦٥٦ وج١٧ ص٢٥٠ وج٢١ ص٣٦٥ ـ ٣٦٧.

وإن قال: لا، طلق أمه وتركه معها[١].

عن عبادة الصامت قال: كنا نبور أولادنا بحب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإذا رأينا أحدهم لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشدة.

ثم قال الجزري: لغير رشدة: ولد زنا. وهذا مشهور من قديم وإلى اليوم، أنه ما يبغض علياً إلا ولد زنا[٢].

عن أبي سعيد الخدري: كنا معشر الأنصار نبور أولادنا بحبهم علياً «عليه السلام»، فإذا ولد فينا مولود فلم يحبه، عرفنا أنه ليس منا.

قوله: نبور: نختبر ونمتحن[٣].

ونقول:

إن هذه الأحاديث قد تضمنت أموراً تحتاج إلى بسط في البيان، ربما لا نستطيع أن نوفره في الوقت الحاضر، غير أننا نشير إلى ما يلي:

---

(١) نزهة المجالس ج٢ ص٢٠٨ والمحاسن المجتمعة (مخطوط) ص١٦١ عن الزهر الفاتح، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٧ ص٢٤٩ وج٣٠ ص٣٠١.

(٢) أسنى المطالب ص٥٧ والغدير ج٣ ص٢٦ وج٤ ص٣٢٢.

(٣) أسنى المطالب ص٥٨ والغدير ج٤ ص٣٢٢ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص٣٦٧ و ٣٦٨.

اختبار المولود:

إن موضوع الحب والبغض أمر قلبي جوانحي، لا بد من الإحساس به وإدراكه قبل التعبير عنه بالكلمة، أو بالإشارة ونحوها. والمولود لا يكون مؤهلاً عادة لمثل هذا الإمتحان..

وإذا كان الحب والبغض يحتاج إلى محفزات، ولنفترض أن ذلك الطفل قد كبر حتى صار عمره عدة سنوات، فإن أجواءه قد لا تسمح له بالتعرف على محاسن علي «عليه السلام»، حيث يكون له عالمه الخاص به، واهتماماته المناسبة لسنه، فما معنى أن يمتحن المولود بحب علي «عليه السلام»..

وهل يمكن الإعتماد على ما يظهره المولود إذا كان لا يتعقل ما يقول، ويتابع غيره فيما يقول وفيما يفعل؟! فلعله ابتلي بمن كان يعلمه بغض علي «عليه السلام»، ويوحي إليه بما ينفره منه.. فكيف تؤاخذ أمه على أمر من هذا القبيل، ثم تتهم به، وتطلق، وتمزق العائلة؟!

ويمكن أن يجاب: بأن الله تعالى يقول: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾[1]. فلو لم يؤته الله سبحانه حب علي «عليه السلام» وإمكان التعبير عنه، وإلهامه الصواب والصدق فيه، لم يعرِّض الله كرامة أمه للخطر، وحياتها للإنتكاس.

ومن الذي قال: إنه تعالى لم يوجد بين القلوب والأرواح علاقات وروابط لا تنالها إدراكاتنا، تجعلها تتواصل، وتتحابب وتتنافر بصورة

---

(١) الآية ٧ من سورة الطلاق.

طبيعية، وحتى من دون أن يتم لقاء وتعارف مباشر بين الأشخاص. فقد روي: أن الأرواح جند مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف[١].

وقيل: من القلب إلى القلب سبيل[٢].

هذا المعيار حساس:

وقد لوحظ: أن هذا المعيار الذي جعله الله، قد جاء في غاية الحساسية والأهمية، بالنسبة للناس الغيورين على نسائهم، والمهتمين بسلامة شرفهم، وطهارة ذيلهم.

---

(١) راجع: روضة الواعظين ص٤٩٢ والأمالي للصدوق ص٢٠٩ وعلل الشرائع ج١ ص٨٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٨٠ ومختصر بصائر الدرجات ص٢١٤ وراجع: المسائل السروية ص٣٧ والتحفة السنية (مخطوط) ص٨٤ ونهج السعادة ج٨ ص٢٥٤ وعون المعبود ج١٣ ص١٢٤ وراجع: بصائر الدرجات ص١٠٩ و ٤١١ وكتاب المؤمن للحسين بن سعيد ص٣٩ والإعتقادات في دين الإمامية للصدوق ص٤٨ والإختصاص للمفيد ص٣١١ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٨٨ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٩٧ وبحار الأنوار ج٢ ص٢٦٥ وج٥ ص٢٤١ و ٢٦١ وج٦ ص٢٩٤ وج٢٥ ص١٤ وج٤٥ ص٤٠٤ وج٥٨ ص٣١ و ٦٣ و ٦٤ و ٧٩ و ٨٠ و ١٠٦ و ١٣٤ و ١٣٩ و ١٤٤ وج٦٥ ص٢٠٥ و ٢٠٦.

(٢) راجع: تفسير الآلوسي ج٢٣ ص٢١٤.

وهو بنفسه يثير الحماس لممارسة هذا الإختبار، ويثير الخوف والرهبة منه أيضاً.. ويدعو للحذر من مخالفته مقتضياته. والتحفظ من تبعات الفشل في الإمتحان فيه.

كما أنه معيار لمدى ثقة الإنسان المؤمن، بربه ونبيه.

الحادثة في خيبر:

وبما أن العنايات الإلهية، والألطاف الربانية، والكرامة الظاهرة لكل ذي عينين قد تجلت في معركة خيبر، بنحو يوجب اليقين، وزوال أدنى شك أو ريب بها، فمن الطبيعي أن يطلق النبي «صلى الله عليه وآله» هذا المعيار البالغ في دقته وحساسيته، وآثاره على المشاعر، وخطورته على البنية العائلية ـ من الطبيعي أن يطلقه «صلى الله عليه وآله» ـ في خصوص هذه المناسبة، ليمكن للناس أن يفهموه وأن يستوعبوه، وأن يتقبلوه بنفوس أبية، وبأريحية وحمية، وهكذا كان..

الباب الثالث عشر:

المرض.. والوفاة..

الفصل الأول:

وصايا النبي صلى الله عليه وآله في مرض الوفاة..

إبعثي بها إلى علي عليه السلام:

عن سهل بن سعد قال: كان عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان في مرضه قال: يا عائشة، ابعثي الذهب إلى علي، ثم أغمي عليه، وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مراراً، كل ذلك يغمى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويشغل عائشة ما به، فبعث به إلى علي فتصدق به(١).

ونقول:

١ ـ لا نرى مبرراً لتواني عائشة عن امتثال أمر النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا سيما بعد أن كرره عليها مراراً، إلا أنها لم تشأ أن ترسلها إلى علي «عليه السلام»، الذي كانت لا تطيق ذكره بخير أبداً..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥٠ عن ابن سعد والطبراني برجال الصحيح، وراجع: مجمع الزوائد ج٣ ص١٢٤ والعهود المحمدية للشعراني ص١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٢٧ والمعجم الكبير ج٦ ص١٩٨ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٧٢.

٢ ـ ألا يعتبر ما فعلته عائشة من موجبات الأذى لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ لا نستطيع أن نصدق أن الناس قد تركوا النبي «صلى الله عليه وآله» وحده في مرض موته، بحيث تنشغل به زوجته بمفردها، وهل يمكن أن تتركه فاطمة، وسائر زوجاته، والحسنان، وزينب، وغيرهن؟!..

بل إن نفس الرواية قد صرحت بوجود أشخاص آخرين كان يمكنها أن تبعث الدنانير مع واحد منهم.. وهو نفس الشخص الذي بعث النبي «صلى الله عليه وآله» الدنانير معه، بعد أن استنقذها من عائشة..

بل إن نفس قوله «صلى الله عليه وآله»: ابعثي الذهب إلى علي، يدل على تمكنها من فعل ذلك، وأن الأشخاص الذين يمكن أن يطلب منهم ذلك كانوا في متناول يدها.

وصية رسول الله صلى الله عليه وآله:

عن إبراهيم بن شيبة الأنصاري، قال: جلست إلى الأصبغ بن نباته، قال: ألا أقرئك ما أملاه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فأخرج إلي صحيفة، فإذا مكتوب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أوصى به محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهل بيته وأمته. وأوصى أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته.

وأوصى أمته بلزوم أهل بيته.

وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم «صلى الله عليه وآله»، وإن شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة.

وإنهم لن يدخلوكم باب ضلالة، ولن يخرجوكم من باب هدى»[١].

ونقول:

١ ـ إن هذه الرواية ذكرت: أن علياً «عليه السلام» أملى وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الأصبغ، ولم تذكر: أن هذه الوصية كانت مكتوبة عند علي «عليه السلام»، فيحتمل أن يكون «عليه السلام» قد أملاها على الأصبغ من حفظه.

٢ ـ لا يشترط في الوصية أن تكون مكتوبة، بل تكفي الوصية بالقول.

٣ ـ ويؤكد هذه الوصية شهرة علي «عليه السلام» باسم الوصي.. وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب طائفة من الأشعار المتضمنة لإطلاق لفظ «الوصي» عليه.. وهذه النصوص بالقياس إلى سائر ما تضمن هذا الوصف له، نقطة من بحر، لا مجال للإحاطة به..

٤ ـ إن علياً «عليه السلام» لا يكتفي بمجرد نقل الوصية إلى الأصبغ بالقول. بل هو يمليها عليه ليكتبها، لتكون وثيقة يمكن أن تتداولها

---

(١) راجع: نظم درر السمطين ص٢٤٠ وينابيع المودة ص٢٧٣ و(ط دار الأسوة) ج٢ ص٣٦٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص١٦٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٧٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٤٧٧ وج١٨ ص٥٠٤.

الأيدي، وليثبت مضمونها، كنص ثابت المضمون، في منأى عن النسيان، وعن النقيصة والزيادة، أو النقل بالمعنى.

٥ ـ والوصية صرحت بأنها معنية بفريقين من الناس هما: أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً. والأمة ثانياً.

وقد أوصى أهل بيته «عليهم السلام» بأمرين:

أولهما: تقوى الله سبحانه..

والثاني: لزوم الطاعة له تبارك وتعالى..

ولو اقتصر على الأمر بتقوى الله، فقد يفسَّر ذلك بمجرد الخوف، الذي لا يستتبع عملاً. ولكنه حين ذكر لزوم الطاعة والإستقامة عليها، فإنه يكون قد قرن الشعور القلبي بالحركة العملية، التي أرادها حائزة لوصف الدوام والمثابرة الدؤوب، لأنه يريدهم أسوة، وقدوة للأمة، أي أن المطلوب هو الكون معهم، وعدم الإستقلال، أو الإستبداد بشيء دونهم.

وهذه هي حقيقة اتخاذهم أئمة وقادة في كل الأمور. إذ لا يكفي مجرد الخضوع لسلطتهم، إن تسلموا زمام السلطة.

٦ ـ قد أكد ذلك «صلى الله عليه وآله» حين بين أن المطلوب هو أن يكون التعامل معهم على حدّ تعاملهم هم مع نبيهم، حيث قال عن أهل البيت «عليهم السلام»: «وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم».

٧ ـ إن المراد بأهل بيته، أهل بيت النبوة، وليس المراد الساكنين معه في البيت، ولا مطلق الذرية.

وهم ـ أعني أهل بيت النبوة ـ أناس مخصوصون، بينهم «صلى الله عليه

وآله» حين نزلت آية التطهير، وهم الذين كانوا معه تحت الكساء: علي وفاطمة، والحسنان «عليهم السلام».

وأضافت نصوص أخرى: بقية الأئمة الاثني عشر «صلوات الله وسلامه عليهم».

٨ ـ ثم انتقل «صلى الله عليه وآله» لبيان: أن من كان من شيعتهم في الدنيا سوف ينتفع بهذا التشيع في الآخرة، حيث سيأخذ بحجزته، ليدخل الجنة معهم.

٩ ـ قد ذكر «صلى الله عليه وآله» ما دل على أن التشيع لهم، معناه الإلتزام بخطهم واتباعهم، والكون معهم، لأنهم لا يدخلون من يكون معهم في باب ضلالة، ولا يخرجونه من باب هدى.

١٠ ـ قلنا فيما سبق: إن هذه الروايات قد رواها غير الشيعة، ودونوها في كتبهم، فإن أراد بعض الناس أن يرفضها، فعليه أن يقدم مبرراً معقولاً، يوضح سبب رواية علمائهم ورواتهم لها، وعلل إيرادهم لها في مصادرهم..

درع وسيف وبغلة الرسول صلى الله عليه وآله:

عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي ، عن أبيه قال: أتيت الأعمش سليمان بن مهران أسأله عن وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: ائت محمد بن عبد الله فاسأله.

قال: فأتيته، فحدثني عن زيد بن علي «عليه السلام».

قال: لما حضرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الوفاة، ورأسه في

حجر علي «عليه السلام»، والبيت غاص بمن فيه من المهاجرين والأنصار، والعباس قاعد قدامه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا عباس، أتقبل وصيتي، وتقضي ديني، وتنجز موعدي؟!

فقال: إني امرؤ كبير السن، كثير العيال، لا مال لي.

فأعادها عليه ثلاثاً كل ذلك يردها عليه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سأعطيها رجلاً يأخذها بحقها، لا يقول مثل ما تقول ثم قال: يا علي أتقبل وصيتي، وتقضي ديني، وتنجز موعدي؟!

قال: فخنقته العبرة، ولم يستطع أن يجيبه، ولقد رأى رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» يذهب ويجيء في حجره.

ثم أعاد عليه.

فقال له علي «عليه السلام»: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فقال: يا بلال، ائت بدرع رسول الله.

فأتى بها.

ثم قال: يا بلال، ائت براية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأتى بها.

ثم قال: يا بلال، ائت ببغلة رسول الله بسرجها ولجامها.

فأتى بها.

ثم قال: يا علي، قم فاقبض هذا بشهادة من في البيت من المهاجرين

والأنصار، كي لا ينازعك فيه أحد من بعدي.

قال: فقام علي «عليه السلام» حتى استودع جميع ذلك في منزله، ثم رجع(١).

ونقول:

١ ـ لعل إسحاق الأزدي قد لاحظ: أن الشريعة السمحاء تحث على الوصية، وأن الله تعالى ورسوله قد أمرا بالوصية قبل حلول المنية، فلا يعقل أن يكون «صلى الله عليه وآله» أول من خالفه، فسأل عنها ليعرف مضمونها، وما آل حالها في مجال الإلتزام والتطبيق..

كما أنه كان يرى أن الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يقرون لعلي «عليه السلام» بالوصاية .. وإن كان بعضهم يحاول التكتم على مضمونها بإظهار عدم العلم بها وبه، أو يضطرب ويتناقض في بيان ذلك المضمون، فأحب أن يسمع ما يقوله الأعمش في ذلك..

٢ ـ لقد رأينا الأعمش قد أحال السائل على غيره .. فلماذا أحاله؟! ولماذا اختار محمد بن عبد الله بالذات، ليكون هو المجيب؟!

ونجيب بما يلي:

ألف: بالنسبة لسبب الإحالة فالذي يبدو لنا هو أن الأعمش كان يحاذر من الجهر بالحقيقة، لأنها سوف تكلفه غالياً عند السلطان، وعند الأخطبوط الأموي، ومن يدور في فلكه وسائر المناوئين لعلي أميرالمؤمنين

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٥٩.

«عليه السلام» من الخوارج وغيرهم.

ب: إنه آثر أن يعطي إحالته على الغير قدراً من الصدق والواقعية، حين اختار من يعرف أنه سيجهر بالحقيقة ولو بدرجة محدودة، ويكون قد دلنا بذلك على أنه هو أيضاً ـ أعني الأعمش ـ يقول بنفس ما يقول محمد بن عبد الله..

٣ ـ صرحت الرواية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حين مات كان رأسه في حجر علي «عليه السلام» وهذا يكذب ما ينقل عن عائشة من أنه «صلى الله عليه وآله» مات ورأسه بين حاقنتها وذاقنتها.

٤ ـ تقول الرواية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى والبيت غاص بمن فيه من المهاجرين والأنصار.. فدل على أن المنع من كتابة الكتاب لم يفدهم في صد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الوصية لعلي، وإتمام الحجة على الناس في هذا الشأن.. وإن كانت وصيته غير مكتوبة. فإن ذلك لا يقلل من قيمته، إذ لا يشترط في الوصية أن تكون مكتوبة.

٥ ـ إن المطلوب هو: الوصية بأمور محدودة جداً مثل قضاء الدين، وإنجاز العدات.. وليس المطلوب الوصية بالخلافة والإمامة، لأن الأمر لله تعالى في يضعه حيث يشاء، كما صرح به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكثر من مرة وقد عينه الله ورسوله لهم، وصدر منه النص عليه في مناسبات عديدة، ثم نصبه لهم يوم غدير خم وبايعوه.

٦ ـ وقد عرض النبي «صلى الله عليه وآله» في وصيته هذه أموراً يسيرة، وهي قبول وصيته، وقضاء دينه، وإنجاز عداته.. وبدأ بعرض هذه الأمور

على عمه العباس.

ولكن العباس رفض قبول ذلك، متذرعاً بكبر السن، وكثرة العيال، وبأنه لا مال له .. ويلاحظ على ذلك الأمور التالية:

ألف: إن العباس هو أقرب الناس نسباً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويفترض أن يعتبره مصدر كرامته وعزته حتى بمنطق العصبية، فضلاً عن كرامة الله تعالى له بمقام النبوة، فيندفع إلى تلبية أي طلب له، وتوفير كل الحاجات، والمساعدة في أي شأن يحتاج فيه إلى المساعدة.

ب: إن العباس كان مبجلاً عند أقرانه لأسباب عديدة، وسيزيده اعتماد النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، وإيكال تنفيذ الأمور إليه رفعة شأن، وعلو مقام..

ج: إن العباس ـ فيما نعلم ـ كان من أصحاب الأموال، الذين نحروا الإبل ليطعموا المشركين في مسيرهم إلى بدر لحرب النبي «صلى الله عليه وآله»، وكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً من الإبل، فأين ذهبت أمواله، وعلى أي شيء أنفقها؟!

وكيف يكون عند عثمان من الأموال ما جهز به جيش العسرة إلى تبوك حسب زعمهم الذي أثبتنا كذبه، ويصبح العباس بين ليلة وضحاها لا مال له يقضي به دين رسول الله الذي قد لا يكون سوى دراهم يسيرة جداً لعلها لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة؟! إذ لا شك في أن العباس لم ينفق أمواله في سبيل الله.. ولا في الصدقات، ولا في غير ذلك من الطاعات والمبرات!!

فهل من المعقول أن يفضل العباس بضعة دراهم على الفوز بمقام «الوصي» لأكرم رسول، وأفضل الخلائق؟!

د: ما شأن كبر السن بهذه الأمور اليسيرة التي طلبها منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتي لا تحتاج لأي حركة أو جهد؟

مع أن مع العباس أبناءه القادرين على معاونته، والمستعدين لطاعة أوامره.

٥ ـ ألم يفهم العباس من تكرار الرسول طلبه ثلاث مرات أنه «صلى الله عليه وآله» كان حريصاً على أن يقبل العباس منه هذه المهمة؟!

و: على أنه لا شيء يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد من العباس أن ينفق أمواله في قضاء دين الرسول، بل لعله يريد منه أن يتولى إنجاز عداته، وقضاء دينه مما تركه هو نفسه «صلى الله عليه وآله».

غير أن العباس قد فهم ذلك وقد ترك النبي «صلى الله عليه وآله» ليفهم ما يشاء، وليسمع الناس، وليروا إصرار النبي «صلى الله عليه وآله»، ورفض العباس فإن ذلك مطلوب له أيضاً، لأنه يريد أن يفهم الناس معنى بعينه، كما سيتضح..

٧ ـ وقد ظهر ذلك المعنى الذي أراده «صلى الله عليه وآله» في تعامل وفي كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» مع علي «عليه السلام» فقد أشهد الحاضرين في ذلك البيت على إقباض علي «عليه السلام» درعه، ورايته، وبغلته بسرجها وبلجامها، ففهم أن الغرض من هذا الإشهاد هو المنع من منازعة أحد له في ذلك..

٨ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب أن يقبل وصيته في هذه الأمور الثلاثة بعد صرفه النظر عن العباس إلا من علي «عليه السلام».. مخاطباً إياه باسمه، كما خاطب العباس باسمه، ليدل على أن هذا التحديد والتعيين مقصود له «صلى الله عليه وآله»..

ولعل من ثمراته أن يبطل دعاوى العباسيين المتوقعة بن لهم حقاً بشيء من الأمر، استناداً إلى الأقربية النسبية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا بطل الإستناد إلى الأقربية النسبية، فستبطل كل دعاوى الحق بالإستناد إلى الإشتراك إلى القرشية بطريق أولى، حيث استدل أبو بكر وعمر على الأنصار في السقيفة: بأنهم أولياء النبي «صلى الله عليه وآله» وعشيرته، فهم أحق بسلطانه.

٩ ـ ولا بد من التأمل ملياً في سر اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذه الأمور الثلاثة دون سواها، واختصاص علي «عليه السلام» بها، وهي: الدرع، والراية ، والبغلة ، ثم اشتراطه «صلى الله عليه وآله» على بلال أن يأتي بالبغلة بسرجها ولجامها.

فهل يريد «صلى الله عليه وآله» أن يقول لنا: إن الدرع رمز للحرب، التي يحتاج إليها خليفته «صلى الله عليه وآله» للدفاع عن الإسلام وأهله، فإذا انضم إلى الراية التي رمز القيادة، وعنوان السلطان، فإن الصورة تصبح أكثر وضوحاً، وأقوى تعبيراً..

أما البغلة فهي التي عرف اختيار رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها للتنقل في المواقع المختلفة، وفي أكثر الحالات، في السلم، وفي الحرب أيضاً،

مصرحاً بأنه اختارها لأنها تتواضع عن خيلاء الخيل، وترتفع عن الحمار، وشيمة الأنبياء التواضع، والتوسط في أمورهم كلها..

وهذا كله يشير إلى أنه لعلي «عليه السلام» مواقعه، وصفاته وسماته، وأخلاقه، وحالاته.

١٠ ـ وفي نفس هذا السياق نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: يا بلال إئت بدرعي، ورايتي، وبغلتي، بل أضاف الكلام في المواضع الثلاثة إلى كلمة «رسول الله»، فقال: درع رسول الله، وراية رسول الله، وبغلة رسول الله، مع أنه لو أورد الكلام على النحو الأول لكان أيسر وأخصر..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يؤكد هذا المفهوم في ذهن القارئ، ويرسخه ملفَّعاً بخصوص هذا اللثام، ليظهر به الخصوصية التي يريد للناس أن يتلقفوها بوضوح تام.

١١ ـ ثم يزيد الأمر وضوحاً، بتصريحه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أن يُشْهِد الحاضرين من المهاجرين والأنصار على إقباضه هذه الأمور الثلاثة لعلي «عليه السلام»: فدل ذلك على أنه ليس بصدد إعطائه أمراً عادياً، فإن الناس حين يريدون إعطاء درع أو راية لأحد، لا يرون أنهم بحاجة إلى الإشهاد، فضلاً عن إشهاد من حضر من المهاجرين والأنصار.

١٢ ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بالغ بالتصريح والتوضيح حين أعرب عن هدفه من هذا الإشهاد، فقال: «كي لا ينازعك فيه أحد من بعدي»، إذ لماذا يتخوف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من منازعة أحد علياً «عليه السلام» في خصوص هذه الأمور؟!

وما المبرر لأن يتوقع «صلى الله عليه وآله» منهم ذلك، وألم ينازع الناس علياً في بعض ما هو أغلى ثمناً، وأعظم أهمية وشأناً بنظر الناس من درع وراية وبغلة؟!

أليس لأن لهذه الأمور الثلاثة معنى هاماً يدعوهم إلى النزاع عليها، واستلابها من علي «عليه السلام»؟! ويريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يضيِّق ويضيِّع عليهم الفرص للحصول عليها؟!

وهل لهذا كله تفسير معقول غير ما قلناه في معناه ومغزاه؟!

وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

عن علي «عليه السلام» قال: «أوصاني النبي «صلى الله عليه وآله» إذا أنا مت، فغسلني بست قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلي، فادرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي.

قال: ففعلت. فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة».

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام»[1].

وعن عمرو بن أبي شعبة قال: «لما حضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الموت دخل عليه علي «عليه السلام» فأدخل رأسه معه ثم قال: يا

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٠٤ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ وج٢٢ ص٥١٧ و ٥١٤ عنه، ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص١٩٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج١ ص٦٤٩.

علي، إذا أنا مت فاغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب»[١].

وكان فيما أوصى النبي «صلى الله عليه وآله» به علياً «عليه السلام» قوله:

«ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وأمسح بها وجهك.

ثم وجهني إلى القبلة.

وتول أمري.

وصل علي أول الناس.

ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي.

فأخذ علي «عليه السلام» رأسه، فوضعه في حجره..

إلى أن تقول الرواية:

ثم قُبِضَ «صلى الله عليه وآله»، ويد أمير المؤمنين تحت حنكه، ففاضت نفسه «صلى الله عليه وآله» فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسحه بها.

ثم وجَّهَهُ، وغمضه، ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره[٢].

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٠٣ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢١٣ و ٢١٤ وج٢٢ ص٥١٨ عن بصائر الدرجات، وعن الخرائج والجرائح، والكافي. وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٤١٥ ومستدركات علم رجال الحديث ج٦ ص٧٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٩٤ ـ ٩٨ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٨٧ وبحار الأنوار =

وكان مما أوصى به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدفن في بيته الذي قبض فيه.

ويكفن بثلاثة أثواب. أحدهما: يمان.

ولا يدخل قبره غير علي «عليه السلام»[(١)].

وفي نص آخر عن ابن عباس: لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، من يغسلك منا، إذا كان ذلك منك؟!

قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهم بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، فمن يصلي عليك منا إذا كان

= ج٢٢ ص٤٧٠ و ٥٢١ عنه، وعن إعلام الورى ص٨٢ ـ ٨٤ و (ط أخرى) ١٤٣ ـ ١٤٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٦٧ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٠٣ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج١ ق٢ ص٣٤٦ وجواهر الكلام ج٤ ص١١ وراجع: قصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٧ والدر النظيم ص١٩٤ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص٣٠٤.

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وج٨٧ ص٣٧٩ عن الطرائف ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٣١ و ٢٣٤ و٣٥٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٦.

ذلك منك؟!

قال: مه رحمك الله!

ثم قال لعلي: يا ابن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني.

إلى أن قال: واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، [ثم أخرجوا عني ساعة، فإن الله تعالى أول من يصلي علي] فأول من يصلي علي الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل [ثم ملك الموت]. في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، ثم الحافون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، [ثم ادخلوا علي زمرة زمرة، فصلوا علي، وسلموا تسليماً].

ثم جلُّ أهل بيتي ونسائي، الأقربون فالأقربون. يومون إيماءً، ويسلمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة، ولا مرنَّة.

[**قال أبو بكر**: فمن يدخل قبرك؟!

قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، مع ملائكة لا ترونهم.

قوموا نادوا عني إلى من وراءكم.

فقلت للحارث بن مرة: من حدثك هذا الحديث؟!

قال: عبد الله بن مسعود].

وذكر الثعلبي ما يقرب من هذه القضية، لكنه ذكر اسم أبي بكر بدل عمار، وعلي.

ثم إن ما وضعناه بين قوسين إنما هو من رواية الثعلبي[١].

وفي نص آخر: أوصى أن يخرجوا عنه، حتى تصلي عليه الملائكة[٢].

ويذكر نص آخر: أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» قوله:

«يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف. وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي «عليه السلام»: بأبي وأمي، من يؤذن غداً؟!

قال: جبرئيل «عليه السلام» يؤذنك.

قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً، ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك[٣].

---

(١) الأمالي للصدوق ص٧٣٢ و ٧٣٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٠٧ و ٥٣١ عنه، وكشف الغمة ص٦ ـ ٨ و (ط دار الأضواء ـ بيروت) ج١ ص١٧ عن الثعلبي، وروضة الواعظين ص٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٢٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٨٥.

(٣) بحار الأنوار ج٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وج٧٨ ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ عن الطرائف، وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٥٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩.

الوصية حين الإحتضار:

وحين أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته جاء الحسن والحسين «عليهما السلام» يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأراد علي «عليه السلام» أن ينحيهما عنه.

فأفاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: يا علي، دعهما، أشمهما ويشماني، وأتزود منهما ويتزودان مني.

ثم جذب علياً «عليه السلام» تحت ثوبه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه.

فلما حضره الموت قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله، فإذا فاضت نفسي، فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله عز وجل.

وأخذ علي «عليه السلام» برأسه فوضعه في حجره، وأغمي عليه، فبكت فاطمة، فأومأ إليها بالدنو منه، فأسر إليها شيئاً تهلل وجهها، القصة.

ثم قضى، ومد أمير المؤمنين يده اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجهه، ومد عليه أزاره، واستقبل بالنظر في أمره[١].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٣ و ٢٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ و ٥٢٢ والأمالي للصدوق ص٧٣٦.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة عدة وقفات هي التالية:

هل أغمي على النبي صلى الله عليه وآله:

لا مجال لتأييد حديث إغماء الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الذي معناه: الغيبوبة، وفقد الشعور بما حوله. أما إن أريد به معنى لا يتضمن الغيبوبة، ولا ينافي معرفته وشهوده لكل ما هو مكلف بالشهادة عليه فلا مانع منه.. كأن يكون المراد بالإغماء: عدم قدرته على التكلم مع الناس أو نحو ذلك، مما لا ينافي كمال إدراكه لكل ما كان يدركه قبل عروض هذه الحالة له..

أما بالنسبة لسائر ما تضمنته الرواية، فربما يكون قد مضى بعض ما يفيد في بيان ما يرمي إليه، وقد يمر معنا بعضه الآخر، إن اقتضى الأمر ذلك..

النبي صلى الله عليه وآله بعد موته:

تقدم قوله «صلى الله عليه وآله»: اغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب.. وهو يدل على أمرين:

أولهما: إنه «صلى الله عليه وآله» حي حتى بعد موته، وأن حياته هذه هي غير حياة الشهداء..

الثاني: أن كلامه حجة بعد مماته، كما هو حجة في حال حياته..

ويشهد لحياته بعد الموت ما يلي:

١ ـ ورد في زيارتنا للمعصومين «عليه السلام» ـ والنبي أعظم منهم

شأناً ـ: «أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي»[١].

٢ ـ بل قالوا: إن الأخبار قد تواترت بحياة النبي «صلى الله عليه وآله» في قبره، وكذلك سائر الأنبياء «عليهم السلام»[٢].

٣ ـ وقالوا أيضاً: إن صلاتنا معروضة على النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن سلامنا يبلغه، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء[٣].

ويؤكد ذلك النص القرآني على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» شاهد على أمته، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾[٤]. وقال تعالى عن شهادة النبي «صلى الله عليه وآله» على جميع الأنبياء: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً**﴾[٥]. فهو

(١) راجع: عدة الداعي ص٥٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٣٦٤ و ٥١٦ و ٥٢٣ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤٥ وبحار الأنوار ج٩٧ ص٢٩٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٦٦ و ٤٨٦ وج١٢ ص٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٦٠ عن إنباه الأزكياء بحياة الأنبياء، وعن التذكـرة للقرطبي، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٨٢ و ٨٤ و ٤٣٢ وج٣٥ ص٣٨٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٥٥ عن الأنوار في أعمال الأبرار للأردبيلي الشافعي، وعن التذكرة للقرطبي. وراجع: فتاوى عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وتنوير الحلك للسيوطي ص٥.

(٤) الآية ٤٥ من سورة الأحزاب.

(٥) الآية ٤١ من سورة النساء.

شهيد على الأنبياء السابقين، مع أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد ولد بعد.. بل كان ولا يزال نوراً محدقاً بالعرش.. فذلك يدل على أن شهادته على الأمة لا تقتصر على خصوص من عاشوا معه في حال حياته..

علي عليه السلام الوصي والإمام:

وقد دل أمره «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بأن يضع فمه على فمه، وسماعه منه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة على:

أن لعلي «عليه السلام» خصوصية ليست لأحد سواه، وهي ترتبط بعلم الإمامة، واختيار الله تعالى له، ليختصه بهذا العلم، ليكون دليلاً وشاهداً على اختصاصه بالإمامة نفسها.

لأن الإمامة تثبت بطرق ثلاثة:

الطريق الأول: الإختيار الإلهي لشخص معين، والدلالة عليه بالنص الصريح.

الطريق الثاني: ثبوت أن لديه العلم الخاص الذي يؤثر الله به من يشاء من عباده، وقد دلت الرواية المتقدمة على أن لدى علي «عليه السلام» علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

الطريق الثالث: إعطاؤه مقاماً لا يكون إلا لنبي أو لإمام، مثل مقام الشاهدية على الأمة، أو إقداره على تصرفات لا يقدر عليها إلا من كان له مقام النبوة والإمامة، أو إيكال أمور إليه لا يصح إيكالها إلى غير المعصوم، الذي هو نبي أو وصي نبي، مثل أن يتولى غسله، والصلاة عليه.

علي عليه السلام يقضي الدين، وينجز العداة:

وفي الروايات الكثيرة أن علياً «عليه السلام» هو الذي يقضي دين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينجز عداته، ويبرئ ذمته[1].

---

(١) كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ج١ ص١٣٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٨٠ و٣٨١ وج٢٨ ص٥٥ وج٣٦ ص١٠٩ و ٣١١ و ٣٥٥ وج٣٨ ص١ و ٧٣ و ١٠٣ و ١١١ و ٣٣٤ وج٣٩ ص٣٣ و ٢١٦ وج٧٢ ص٤٤٥ وج٩٩ ص١٠٦ والخصال ج٢ ص٨٤ والأمالي للصدوق ص٤٥٠ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٩ وكفاية الأثر ص٧٦ و ١٣٥ و ٢١٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٤٣٢ وشرح الأخبار ج١ ص١١٣ و ١١٧ و ٢١١ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص١٤٠ والأمالي للطوسي ص٦٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٩٦ وج٢ ص٢٤٧ وج٣ ص١٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٩٢ والعمدة لابن البطريق ص١٨١ والمزار لابن المشهدي ص٥٧٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج١ ص٥٠٧ والطرائف ص١٣٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٣ عن المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٢٦١ ح٣٠٩ وبشارة المصطفى للطبري ص١٠١ و ٢٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٣٤١ ونهج الإيمان ص١٩٦ و ٤٤٠ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة الكوفي ص٢٠٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٢٤ وتفسير القمي ج٢ ص١٠٩ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص١٢٣ و ١٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٢٥٢.

الفصل الثاني:

جيش أسامة والكتاب الذي لم يكتب..

تجهيز جيش أسامة:

ومن الأحداث التي جرت في مرض النبي «صلى الله عليه وآله» تجهيزه لجيش أسامة، وجعل الصحابة فيه، بما فيهم أبو بكر وعمر[١]، وحثه له على المسير، ولكن الصحابة تثاقلوا وسوفوا، رغم أنه «صلى الله عليه وآله» لعن من تخلف عن جيش أسامة[٢].

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٧٤ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢١٥ وأسد الغابة ج١ ص٦٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٧٢ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٠ وج٤ ص٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ وسمط النجوم العوالي للعاصمي ج٢ ص٢٢٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٥٩ وج٦ ص٥٢ والكامل ج٢ ص٣١٧ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٤ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٣٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٠ ومنتخب كنز العمال ج٤ ص١٨٠ وحياة محمد ص٤٦٧.

(٢) راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٣ و (بهامش الفصل لابن حزم) ج١ ص٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٥٢ عن كتاب السقيفة لأحمد=

والذي يعنينا من هذا الحدث أمران:

الأول: لماذا لم يكن علي «عليه السلام» في ذلك الجيش؟!

الثاني: إذا لم يكن علي «عليه السلام» في هذا الجيش، فلماذا نذكر نحن هذا الحذف هنا في سيرة علي «عليه السلام»؟!

علي عليه السلام ليس في جيش أسامة:

أما بالنسبة لعدم دخول علي «عليه السلام» في جيش أسامة، فنقول:

ألف: إن ظاهر الحال يشير إلى أن المسلمين كانوا يعلمون بأن علياً «عليه السلام» لم يجعل في ذلك الجيش، ولم يشمله أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للصحابة بالإلتحاق به، ولذلك لم يعترض أحد من الصحابة على تخلُّفه عنه «عليه السلام».

كما أن جميع المسلمين والمحدثين، والناقلين، والمؤرخين لم يشيروا إلى أية شبهة، أو تساؤل حول ذلك، بل أرسلوه إرسال المسلمات، مع يقين

= بن عبد العزيز الجوهري وراجع: المسترشد للطبري ص١١٢ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ ونفحات اللاهوت ص١١٣ وتشييد المطاعن ج١ ص٤٧ ومعالم المدرستين ج٢ ص٧٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤١ و ٥٢٧ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢١ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٧ ونهج السعادة ج٥ ص٢٥٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٠٩ والنص والإجتهاد ص٤٢ والمراجعات ص٣٧٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢١٨.

راسخ بأنه لو جعله في ذلك الجيش لكان هو الأمير عليه.

كما أن الشيعة ما زالوا يشنعون على أبي بكر وعمر لأجل تخلفهما عن جيش أسامة، ولم نجد أحداً نقض عليهم بتخلف علي «عليه السلام»..

وأعداء علي «عليه السلام» من الأمويين والعباسيين أيضاً لم يشنعوا عليه في ذلك، ولا أوردوه في مناظراتهم، وكانوا وما زالوا يتلمسون المهارب والأعذار لأبي بكر وعمر فيما صدر منهما.

ب: إن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» وصياً بأمر من الله تعالى، والبيعة له في يوم الغدير يمنع من جعله إياه في جيش أسامة، لا سيما وهو «صلى الله عليه وآله» يتوقع أن ينزل به القضاء لحظة بعد أخرى، فقد أخبرهم «صلى الله عليه وآله» بدنو أجله، وأنه يوشك أن يدعى فيجيب.. ولا بد أن يغسله ويصلي عليه، ويدفنه وصيه من بعده.

كما أنه لم يكن «صلى الله عليه وآله» ليجعله مولى للناس، وأولى بهم من أنفسهم، ثم يجعل أسامة أميراً عليه، والمتصرف فيه، والآمر والناهي له.

ج: ورد في رسالة كتبها أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى شيعته قوله:

«وقد كان نبي الله أمّر أسامة بن زيد على جيش، وجعلهما (يعني أبا بكر وعمر) في جيشه.

وما زال النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن فاضت نفسه يقول: «انفذوا جيش أسامة».

فمضى جيشه إلى الشام، حتى انتهوا إلى أذرعات الخ..»[(١)].

فلو كانت حاله «عليه السلام» في التخلف عن جيش أسامة حال غيره لم تصح منه الإشارة إلى تخلفهما، وعصيانهما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لماذا جيش أسامة؟!:

ذكر العلماء «رحمهم الله»: أن بعث جيش أسامة، وجعل الصحابة كلهم فيه، كان ضمن سياسة معينه، لم يزل الكثيرون يحاولون تجاهلها، ويصرون على عدم الإعتراف بها..

ويؤكد ذلك: أن المهمة التي أوكلت إلى أسامة لم تكن تفوت بالتأجيل وكان «صلى الله عليه وآله» مريضاً، وكان أيضاً قد أخبرهم بقرب حضور أجله.

فالسؤال هنا هو:

ما معنى إصراره «صلى الله عليه وآله» على هذا البعث؟!

ولماذا يجعل فيه كبار صحابته؟!

ولماذا يلعن من يتخلف عنه؟!

والجواب:

هو أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبعد المناوئين لعلي «عليه السلام» عن

---

(١) الخطبة في بحار الأنوار ج٣٠ ص٧ ـ ١٢ وكشف المحجة ص١٧٦ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٤ ص٧٤ ونهج السعادة ج٥ ص٢٠٥ والإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران ج١ ص٧٩.

المدينة، ليبرم أمر خلافته في غيابهم، لكي يضعفوا عن منازعته، والخلاف عليه..

وإنما اختار أسامة للإمارة عليهم، رداً لجماح أهل الجماح منهم، ودفعاً لأي نزاع في المستقبل، وتفويتاً للفرصة على من يريد أن يتخذ من السن ذريعة للخلاف على من نصبه الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» لهم علماً وإماماً..

ولكن امتناعهم من امتثال أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وطعنهم في تأمير أسامة، وتثاقلهم عن الخروج، وتسويفهم حتى مضى حوالي نصف شهر، وتوفي «صلى الله عليه وآله» لم يستطع أن يحجب عن الناس المعاني والدلالات التي أراد «صلى الله عليه وآله» أن يفهمها للناس وللأجيال إلى يوم القيامة من إجرائه هذا..

هذا.. وقد تكلمنا حول كثير مما يرتبط بهذا الأمر في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٣٢ فلا بأس للرجوع إليه.

رزية يوم الخميس:

ثم كان من الأحداث التي جرت إبان مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما عرف برزية يوم الخميس، على حد تعبير ابن عباس: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين كتابه» أو نحو ذلك[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ وراجع: نفحات اللاهوت ص١١٧ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٨ وج٣ ص٦٩٣ و ٦٩٥ و ٦٩٩ ومسند أحمد =

= ج١ ص٣٢٥ و ٣٣٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١٣٨ وج٧ ص٩ وج٨ ص١٦١ و (ط دار ابن كثير) ج١ ص٥٤ وج٤ ص١٦١٢ وج٥ ص٢١٤٦ وج٦ ص٢٦٨٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٥ ص٧٦ و (ط دار إحياء التراث) ج٣ ص٢٢٥٩ وشرح مسلم للنووي ج١١ ص٨٩ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٠ وج١٨ ص٦٢ و ٦٣ وج٢١ ص٢٢٥ وج٢٥ ص٧٦ وفتح الباري ج٨ ص١٣٢ والملل والنحل للشهرستاني (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٣٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٣٣ وج٤ ص٣٦٠ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٦٢ والجمع بين الصحيحين ج٢ ص٩ ومسند أبي عوانة ج٣ ص٤٧٦ والدرر لابن عبد البر ص٢٧٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٥٥ وج٦ ص٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٤٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٨ و ٢٧١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٧١ والمنتقى من منهاج الإعتدال للذهبي ج١ ص٣٤٧ و ٣٤٩ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٦ ص١٩ و ٢٥ و ٣١٦ و ٥٧٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٧ ص١٨٤ وسلوة الكئيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي ج١ ص١٠٧ والبدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج٥ ص٥٩ وسمط النجوم العوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ج٣ ص٣٥٦ والأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العليمي ج١ ص٢١٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٥١ و ٤٩٨ ومجمع النورين ص٢٠٣ وموسوعة الإمام علي =

وذلك أنه لما اشتد برسول الله «صلى الله عليه وآله» وجعه قال: «إيتوني بكتاب (أو بكتف ودواة) أكتب لكم كتاباً لا (أو لن) تضلوا بعده» أو «لا يَظلمون ولا يُظلمون»، وكان في البيت لغط، فنكل عمر، فرفضها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

= «عليها السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٨٧ و ٣٨٨ و ٤٠٧ ومنهاج الكرامة ص١٠٣ ونهج الحق ص٣٣٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٩٤ و ٤٢٤ و ٤٢٦ والدرجات الرفيعة ص١٠٣ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٤ ص٣٧ . ومعجم الرجال والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص١٢٧ وج٢ ص٣ و ٩٧ و ١١١ و ٢٢٩ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٦٨١ وتشييد المطاعن ج١ ص٣٥٥ ـ ٤٣١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ٢ ص٢٠٣ وأمالي المفيد ص٣٧ والطرائف ص٤٣٣ واليقين ص٥٢١ وسعد السعود ص٢٩٧ وكشف المحجة لثمرة المهجة ص٦٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٦ و ١٠٠ ووصول الأخيار إلى كتاب الأخبار ص٧٣ والصوارم المهرقة ص١٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٣٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٧٣ و ٤٧٤ وج٣٠ ص٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٤ و ٥٣٦ و ٥٥٢ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٨٤ و٣٨٨ والمراجعات ص٣٥٣ والنص والإجتهاد ص١٤٩ والغدير ج٣ ص٢١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٢٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٨٠ وغاية المرام ج٦ ص٩٥ والفصول المهمة في تأليف الأمة ص١٠٥.

فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع. (أو مدّ عليه الوجع)، (أو إن النبي يهجر[١]) وعندنا كتاب الله، (أو وعندكم القرآن)، حسبنا كتاب الله.

فاختلف من في البيت واختصموا، واختلفوا، أو كثر اللغط، بين من يقول: قربوا يكتب لكم، وبين من يقول: القول ما قال عمر..

فقال «صلى الله عليه وآله»: قوموا عني، ولا ينبغي عندي. (أو عند نبي تنازع)[٢].

---

(١) صرح بأن عمر قال: «إن النبي يهجر» في شرح الشفاء للخفاجي ج٤ ص٢٧٨ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٦٨ ولا بأس بمراجعة جميع الهوامش في مكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٣ ـ ٧٠٢.

(٢) راجع فيما تقدم: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٨ عن أبي يعلى بسند صحيح عن جابر وعن ابن عباس كذلك، وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ق٢ ص٣٧ وراجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٣ و٦٩٤ و٦٩٦ في هامشه عن: البخاري ج١ ص٣٩ وج٦ ص١١ وج٧ ص١٥٦ وج٩ ص١٣٧ وفتح الباري ج١ ص١٨٥ وج٨ ص١٠٠ و ١٠١ وج١٣ ص٢٨٩ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٠ وج٢٥ ص٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٣٧ وابن سبأ ص٧٩ وصحيح مسلم ج٣ ص١٢٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط قم المقدسة) ج١ ص٢٣٥ عن ابن بطة، والطبري، ومسلم، والبخاري، قال: واللفظ للبخاري ولم يسم الراوي عن ابن عباس. وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٦٨ وج٣٠ ص٥٣١ و٥٣٣ و٥٣٥ عن إعلام الورى، =

= والإرشاد للمفيد، وص٤٧٢ عن المناقب لابن شهرآشوب، وج٣٦ ص٢٧٧ عن الغيبة للنعماني ص٣٨ و ٣٩ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، عن علي «عليه السلام» والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٣٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص٨٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٢ والإرشاد للمفيد ص٨٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ و ٣٣٦ والشفاء للقاضي عياض ج٢ ص٤٣١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ وكشف المحجة ص٦٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ و ٢٥١ والفائق للزمخشري ج٤ ص٩٣ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٤١ و ٢٤٣ والأدب المفرد ص٤٧ وشرح الخفاجي للشفاء ج٤ ص٢٧٧ وشرح القاري بهامشه ص٢٧٧ والطرائف ص٤٣٢ عن الجمع بين الصحيحين وغيره، وغاية المرام ص٥٩٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٥٤ عن الشيخين، وكذا ص٥٥ وج٦ ص٥١ عن الجوهري.

أضاف العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول: «لن تضلوا» كما في البخاري ج٩ ص١٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٣٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ و ٣٣٦ والطرائف.

وفي البخاري ج٧ ص١٥٦ فقال عمر: «إن النبي «صلى الله عليه وآله»..» وكذا ج٩ ص١٣٧.

والطبقات، ومسلم، وابن شهرآشوب، وعبد الرزاق ج٥ ص٤٣٨ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ والشفاء ج٢ ص٤٣١: «إن النبي قد اشتد به الوجع».

والطرائف ص٤٣١ و ٤٣٢ وفي شرح الخفاجي ج٤ ص٢٧٨: «وفي بعض طرقه، =

وفي نص آخر: منهم من يقول: القول ما قاله عمر، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي التنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟! استفهموه.

فذهبوا يعيدون عليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قوموا ـ لما

= فقال عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» يهجر».

وفي بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٦٨: فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال عمر: «ارجع، فإنه يهجر» و ص٤٩٨ عن سليم: «فقال رجل منهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يهجر» كما في الإرشاد أيضاً.

وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٥١: «فقال عمر كلمة معناها: إن الوجع قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»

وفي العبر وديوان المبتدأ والخبر: «وقال بعضهم: إنه يهجر، وقال بعضهم: «أهجر»؟ مستفهماً.

وقال الحلبي: فقال بعضهم أي: وهو سيدنا عمر: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غلبه الوجع».

وفي بحار الأنوار ج٣٦ ص٢٧٧ عن علي «عليه السلام»: أنه قال لطلحة: «أليس قد شهدت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دعا بالكنف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: «إن رسول الله يهجر»، فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتركها؟

وفي الطرائف: وفي رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدي قال عمر: «إن الرجل ليهجر».

وفي كتاب الحميدي قالوا: «ما شأنه هجر»؟

أكثروا اللغو والإختلاف عنده ـ دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه الخ..[١].

وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتف، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي.

فأخذ من عنده من الناس في لغط، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم، عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم.

فقال بعض القوم: اسكتي، فإنه لا عقل لك.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أنتم لا أحلام لكم[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ عن البخاري ومسلم، والبداية والنهاية ج٥ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٩٩ الإيضاح لابن شاذان الأزدي ص٣٥٩ واليقين لابن طاووس ص٥٢١ والبحار ج٣٠ ص٥٣١ و ٥٣٤ وفتح الباري ج٨ ص١٠٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٦ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٣٢٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٦٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ ومجمع النورين للمرندي ص٢٠٢ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٠٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٨ عن الطبراني، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٨ عن غاية المرام ص٥٩٨ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢١٥ والمعجم الكبير ج١١ ص٣٠.

فخرج ابن عباس وهو يقول: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه»[١] لاختلافهم ولغطهم.

ونقول:

إن هذا المورد، وإن كان كسابقه، لا ذكر فيه لعلي «عليه السلام» صراحة أيضاً، ولكنه يعنيه بلا ريب. وفي الجزء ٣٢ من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع، فمن أراد التوسع فليراجع ذلك الكتاب..

لكننا نورد هنا لمحة مما له مساس مباشر بعلي «عليه السلام»، فنقول:

ما أشبه الليلة بالبارحة:

إن ما جرى يوم الخميس قد تضمن إساءات عديدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٥ وقال في هامشه عن: تشييد المطاعن (ط الهند) ج١ ص٣٦٦ عن البخاري في باب العلم و ص٣٦٧ عن عبيد الله عنه في كتاب الجهاد، وكتاب الخمس عن سعيد، وباب مرض النبي «صلى الله عليه وآله» كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني عن عبيد الله وص٣٦٨ عن كتاب الإعتصام، وعن مسلم بطرق كثيرة عن سعيد وص٣٦٩ عن سعيد أيضاً، وعن المشكاة عن عبيد الله عن ابن عباس وص٣٨٠ عن الملل والنحل، وبحار الأنوار ج٣٠ ص٥٣٢ بالإضافة إلى نصوص أخرى تقدمت.

منها: امتناعهم عن تلبية طلبه «صلى الله عليه وآله» بتقديم كتف ودواة له، ومنعهم غيرهم ممن حضر من ذلك أيضاً..

ومنها: رفع أصواتهم، وضجيجهم، ولغطهم في محضره..

ومنها: تنازعهم عنده، حتى طردهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك المجلس..

ومنها: إغضابهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بتصرفاتهم غير اللائقة، ومنها قولهم لبعض النساء إنها لا عقل لها..

ومنها: اتخاذهم القرار المخالف لإرادة الرسول، حين قالوا: حسبنا كتاب الله.

ومنها: ما هو أعظم وأدهى، وأشر وأضر، وهو اتهامهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالهجر والهذيان..

وهذا يشبه كثيراً ما جرى في عرفة حيث ضج الناس، وصاروا يقومون ويقعدون، وبلغ من علو أصواتهم فوق صوت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أن صُمَّتِ الآذان عن سماع قول الرسول «صلى الله عليه وآله».. إلى غير ذلك مما تقدم..

تشابه آخر بين الحدثين:

والغريب في الأمر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح لهم في عرفة بما سوف يقوله، ولكنهم هم الذين استبقوا الأمور، ومنعوه من التصريح به.

وهكذا كان في يوم الخميس، فإنهم فعلوا كل تلك المعاصي، حتى لقد

اتهموه بالهجر والهذيان، والحال أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح لهم بعد بالذي يريد أن يكتبه في ذلك الكتاب أيضاً، وقد منعوه من ذلك بالفعل..

واللافت أيضاً: أن الذين تصدوا للنبي «صلى الله عليه وآله» في عرفات هم الفريق نفسه الذي تصدى له في يوم الخميس بأعيانهم وأشخاصهم!!

فما أشبه اليوم بالأمس، والليلة بالبارحة!!

ما الذي أراد صلى الله عليه وآله أن يكتبه؟!:

لا شك في أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يكتب في ذلك الكتاب أحكاماً ووصايا من قبيل: اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ونحو ذلك، كما ربما يدعيه بعض الناس.

أولاً: لأن قول الرسول: لن تضلوا بعده صريح في أن ما يريد كتابته يرتبط بالضلالة والهدى. وهذا يمثل استمرار خط النبوة ونهجها من خلال مقام الإمامة.

ثانياً: إنه لا مبرر لحرص عمر على المنع من كتابة أمثال هذه الوصايا التي تصون الأمة من الضلال إلى الحد الذي يتهم فيه النبي «صلى الله عليه وآله» بالهجر والهذيان!!

ثالثاً: إن كانت هذه الوصايا قد وردت في القرآن الكريم، فلا حاجة لكتابتها في كتاب، وإن لم تكن قد وردت فيه، فلا معنى لقول عمر: حسبنا كتاب الله..

رابعاً: إن الحافظ للأمة من الضلال لا بد أن يكون أمراً يمكن أن يؤثر في

كل قضايا الإسلام وحقائقه، واعتقاداته، وأخلاقياته، وشرائعه، وتوجيهاته، وتلك الوصايا المزعومة ليست كذلك.

نصوص تدل على مضمون الكتاب:

لقد ورد التصريح بمعلومية ما كان يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتبه.. على لسان عمر نفسه، وصرح به أيضاً ابن عباس، والخفاجي، والكرماني، والدهلوي، بل النبي نفسه أيضاً، فلاحظ النصوص التالية:

١ ـ قال الخفاجي، والكرماني، والدهلوي: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب ولاية علي «عليه السلام»(١).

٢ ـ وقال عمر لابن عباس في حديث لهما عن علي «عليه السلام»: «أراد أن يَذْكُرَهُ للأمر في مرضه، فصددته عنه، خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام. فعلم رسول الله ما في نفسي، وأمسك. وأبى الله إلا إمضاء ما حتم»(٢).

---

(١) راجع: شرح الشفاء للخفاجي ج٤ ص٣٢٥ وتشييد المطاعن ج١ ص٤٢٦ عن شرح المشكاة للدهلوي، وعن الخفاجي، والكرماني في شرح البخاري، وعن فتح الباري ج١ ص١٨٦ وج٨ ص١٠١ و ١٠٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٧٩ وراجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب ٧٣ ص٥٩٦ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٥٥٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٦.

٣ ـ عن ابن عباس: أن عمر سأله عن علي «عليه السلام»: «هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟!

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نص عليه؟!

قلت: نعم.

وأزيدك: سألت أبي عما يدَّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما.

ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، إشفاقاً وحيطة على الإسلام.

لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً»(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٢٠ و ٢١ عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وراجع ج١٢ ص٧٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٤ و ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٩٨ وج٧ ص١٨٨ وبهج الصباغة ج٦ ص٢٤٤ وج٤ ص٣٨١ وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص٧٢ و ٨٠. وراجع: بحار الأنوار ج٣٠ ص٢٤٤ و ٥٥٦ وج٣١ ص٧٥ وج٣٨ ص١٥٧ ونفحات اللاهوت ص٨١ و ١١٨ و ١٢١ والصراط المستقيم ج٣ ص٥ وغاية المرام (ط حجرية) ص٥٩٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٥٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٧ والدرجات الرفيعة ص١٠٦ وكشف الغمة =

٤ ـ وحين قال له ابن عباس: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد الأمر لعلي «عليه السلام». أجابه عمر:

يا ابن عباس، وأراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر له، فكان ماذا، إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟!

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله، أوكلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان؟!(١).

٥ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان قد أشار في بياناته الأخرى إلى ذلك الشيء الذي تحفظ به الأمة من الضلال، فقال: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»(٢).

= ج٢ ص٤٧ وكشف اليقين ص٤٧٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٩١ و ٣٩١ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٤ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٢٦.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٧٨ و ٧٩ وغاية المرام (المقصد الثاني) ص٥٩٦ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٥٥٤. وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٦١٠ وج٣ ص٧٠٧ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٧.

(٢) راجع: حديث الثقلين للوشنوي تجد شطراً وافياً من مصادر حديث الثقلين، والمراجعات ص٤٩ و ٥٠.

ولكن هذا لا يعني أن يصبح الهدى أمراً مفروضاً، وجبرياً تكوينياً. بل هو مشروط بالأخذ بما يكتبه لهم، واختيارهم له.. ولكن الكتابة من شأنها لو تحققت بشروطها أن تحصن الناس من الشبهات والأضاليل.

لعله أراد استخلاف أبي بكر:

وقد ادَّعت عائشة: أن غرض النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب كان: الوصية لأبي بكر، لا لعلي «عليه السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل، ويتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[١].

---

(١) راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٣٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢٥٣ وكتاب الوفاة للنسائي ص٢٦ والمعجم الأوسط ج٦ ص٣٤٠. ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١٠ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٢٤ وج٣ ق١ ص١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج٣ ص١٨٠ والبخاري ج٩ ص١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج١٣ ص١٧٧ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١ وج٢٤ ص٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ والمنتظم لابن الجوزي ج٤ ص٣٢ ومسلم ج٤ ص١٨٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨١ وكنز العمال ج١١ ص١٦٢ وج١٢ ص١٦٢ وج١٤ ص١٥٢ ومسند أحمد ج٦ ص٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج٦ ص٢١٤٠ و ج٢ ص٧٠٥ ومنحة المعبود ج٢ ص١٦٩ والبداية والنهاية =

ورواه البخاري بلفظ: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول قائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

ورواه مسلم بلفظ: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه: ادع لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

وقد ورد: أنه أراد أن يكتب كتاباً، ولم يذكر أبا بكر(١).

وعن عائشة: لما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» **دعا عبد الرحمن** بن أبي بكر فقال: ائتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه.

فذهب عبد الرحمن ليقوم. فقال: اجلس، أبى الله والمؤمنون أن يختلف

= ج٥ ص٢٢٨ وج٦ ص١٩٨ ومجمع الزوائد ج٣ ص٦٣ وج٥ ص١٨١ وبلوغ الأماني ج١ ص٢٣٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٤. وراجع: بحار الأنوار ج٢٨ ص٣٥١ وتشييد المطاعن (ط هند) ج١ ص٤١١ و ٤٣١ ومجموعة الوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص١٨ وابن أبي الحديد ج٦ ص١٣ عن البخاري، ومسلم، وأنكره وج١١ ص٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «ائتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده وقال قوم منهم: قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشييد المطاعن ج١ ص٤٣١ نقل الإنكار عنه وعن جامع الأصول.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧.

على أبي بكر[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ والأربعين البلدانية ص١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٩ و ٢٧٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١١ وفي هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٢٤ وج٣ ق١ ص١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج٣ ص١٨٠ والبخاري ج٩ ص١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج١٣ ص١٧٧ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١ وج٢٤ ص٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ والمنتظم لابن الجوزي ج٤ ص٣٢ ومسلم ج٤ ص٨٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨١ وكنز العمال ج١١ ص١٦٢ وج١٢ ص١٦٢ وج١٤ ص١٥٢ ومسند أحمد ج٦ ص٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج٦ ص٢١٤٠ وج٢ ص٧٠٥ ومنحة المعبود ج٢ ص١٦٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وج٦ ص١٩٨ ومجمع الزوائد ج٣ ص٦٣ وج٥ ص١٨١ وبلوغ الأماني ج١ ص٢٣٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٤. وراجع: بحار الأنوار ج٢٨ ص٣٥١ وتشييد المطاعن (ط الهند) ج١ ص٤١١ و ٤٣١ ومجموعة الوثائق السياسية، المقدمة الثالثة ص١٨ وابن أبي الحديد ج٦ ص١٣ عن البخاري، ومسلم وأنكره وج١١ ص٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبداً، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشييد المطاعن ج١ ص٤٣١ نقل الأنكار عنه وعن جامع الأصول.

ونقول:

أولاً: إن ما تقدم يدل على خلاف ذلك، ولا سيما ما نقلناه عن عمر نفسه.

ثانياً: إن عمر كان من أشد المتحمسين لولاية أبي بكر، وإبعاد الأمر عن علي «عليه السلام» طمعاً في وصول الأمر إليه.. حتى لقد ضرب الزهراء «عليها السلام» وأسقط جنينها، وفعل الأفاعيل في مختلف الإتجاهات من أجل ذلك، فلماذا يمنع النبي من كتابة ذلك..

ثالثاً: لو كان المقصود هو كتابة إسم أبي بكر، فقد حصل المطلوب، بوصول أبي بكر إلى الخلافة بالفعل بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فلماذا كان ابن عباس بعد ذلك يبكي حتى يبل الحصى، لأجل منع النبي من كتابة ذلك الكتاب يوم الخميس؟!

رابعاً: إن روايتهم حول الكتابة لأبي بكر تصرح بأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي عدل عن كتابة ذلك الكتاب، فلماذ يبكي ابن عباس؟!

ثم لماذا يتقلب النبي في تصرفاته، ويغير آراءه؟! والحال أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!

خامساً: لقد أبت الزهراء، وعلي «عليهما السلام»، وبنو هاشم وكثير آخرون خلافة أبي بكر، فهل لم يكن هؤلاء من المؤمنين؟! فكيف يقول «صلى الله عليه وآله» أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر..

واللافت: أن مضمون هذه الكلمة لم يتحقق، فإن الإختلاف لا يزال قائماً منذئذٍ وإلى يومنا هذا..

سادساً: لم يترتب على استخلاف أبي بكر صيانة الأمة من الإختلاف والضلال إلى يوم القيامة، بل تمزقت أوصالها، وظهرت الفتن فيها، وسفكت الدماء، وفشت الضلالات، وانتشرت الشبهات، وتحكم فيها فجارها، وقُهِر بل قُتِل خيارها وأبرارها وعلى رأسهم علي، والزهراء، والحسنان، وبقية الأئمة «عليهم السلام»..

صلاة أبي بكر بالناس:

ومن الأحداث التي جرت في مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه لما ثقل «صلى الله عليه وآله»، حاول أبو بكر أن يصلي بالناس مكانه، فمنعه الرسول نفسه.. فعن عائشة: فلما دخل في الصلاة، وجد رسول الله من نفسه خفةً، فخرج يهادي بين رجلين: أحدهما (الفضل بن) العباس، لصلاة الظهر، كأني أنظر إلى رجليه يخطان الأرض من الوجع.

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، بن مسعود: «فدخلت على ابن عباس، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟!

قال: لا.

قال: علي بن أبي طالب[1].

---

(١) آفة أصحاب الحديث ص٥٨ و ٥٩ و ٨٥ والبخاري ج١ ص١٧٥ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٩ وصحيح مسلم ج٢ ص٢١ وسنن النسائي ج٢ ص١٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨١ وج٨ ص١٥١ ومعرفة السنن والآثار =

ولكن عائشة لا تقدر على أن تذكره بخير[1]، أو لا تطيب له نفساً بخير»[2].

وعن ابن عباس، أنه «صلى الله عليه وآله» قال: ابعثوا إلى علي فادعوه.

فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر.

وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

= ج٢ ص٣٥٩ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٥٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٥ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٠٥ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٤٢ عن جامع الأصول ج١١ ص٣٨٢ ـ ٣٨٣ وسنن الدارمي ج١ ص٢٨٨ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص١٤٨ و ١٤٩.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٣ وعمدة القاري ج٥ ص١٩٢ وفتح الباري ج٢ ص١٣١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٨٧ والغدير ج٩ ص٣٢٤ و ٣٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص ٤١٥.

(٢) مسند أحمد ج٦ ص٣٤ و ٢٢٨ وعمدة القاري ج٥ ص١٩٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٨٧ وفتح الباري ج٢ ص١٣١ والغدير ج٩ ص٣٢٤ و ٣٢٥ وراجع: صحيح البخاري ج١ ص١٧٥ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٣٠ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص١٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٧٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٣ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣١١ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص٤٧٢ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣١ ص٤٥.

فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال «صلى الله عليه وآله»، انصرفوا، فإن تك لي حاجة ابعث إليكم، فانصرفوا.

وقال «صلى الله عليه وآله»: آن الصلاة، قيل: نعم. إلخ[1]..

٧ ـ وحسب نص ابن شهر آشوب عن ابن عباس:

لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي علياً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر.

قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر.

قال: ادعوه.

قالت أم الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العباس.

قال: ادعوه.

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً، فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٣٣ و٣٥ وسفينة النجاة للتنكابني ص١٤٩ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٩٧ والجمل للمفيد ص٢٢٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٥٢١ عنه، ومسند أحمد =

والظاهر هو أن قوله «صلى الله عليه وآله»: ادعوه.. عن أبي بكر، وعمر، والعباس هو إرجاع للأمر إليهم، وجعلهم بالخيار في أن يفعلوا ما يحبون، إذ لو كان أمراً لهم بدعوتهم لكان قد كلمهم حين حضروا عنده، والروايات المتقدمة تصلح قرينة على ذلك..

علي عليه السلام يروي ويستدل:

وروى البلاذري عن علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ولاه أمر دينهم، فولوه أمر دنياهم[١].

وروى البلاذري عنه قال: لما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرنا في أمرنا، فوجدنا النبي «صلى الله عليه وآله» قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله «صلى الله عليه

= ج١ ص٣٥٦ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩١ والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٨٩.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٦ عن البلاذري، وكنز العمال ج١١ ص٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤١ و ٤٤٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص١٢.

وآله» فيه؟!(١).

وروى الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرض ليالي وأياماً ينادى بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرت، فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا، فبايعنا أبا بكر(٢).

وروى البلاذري عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس، قام ينادي ثلاثاً: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم.

فقال علي: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الصلاة، فمن ذا يؤخرك؟!(٣).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٦ عن البلاذري، والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٩ والغدير ج٨ ص٣٦ عن الرياض النضرة ج١ ص١٥٠ والوافي بالوفيات ج١٧ ص١٦٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٥.

(٢) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٧١ وبحار الأنوار ج٢٨ ص١٤٦ عنه، والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٩ والغدير ج٨ ص٣٦ وعن صفة الصفوة ج١ ص٩٧ والوافي بالوفيات ج٧ ص١٦٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٧ عن البلاذري، والجامع لأحكام القرآن ج١ =

ونقول:

تقدم: أن عائشة وحفصة ترفضان تلبية طلب النبي «صلى الله عليه وآله» دعوة علي «عليه السلام» إليه، وتصران على دعوة أبي بكر وعمر، ويأتيان، فيرفض النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكلمهما ويصرفهما عنه.

وهذا يعطي الإنطباع عن محاولاتهم إبعاد علي، والإستبداد بالأمور، من دون رضا من النبي «صلى الله عليه وآله».

وقد تأكد ذلك بما جرى يوم الخميس، حيث اتهموا النبي «صلى الله عليه وآله» بالهذيان، ورفضوا تقديم كتف ودواة إليه ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

كما أنهم رفضوا المسير في جيش أسامة رغم لعن النبي «صلى الله عليه وآله» من تخلف عن ذلك الجيش، وتأكيده على تجهيزه ومسيره..

وحين علم النبي «صلى الله عليه وآله» بأن أبا بكر قد شرع يصلي بالناس، خرج رغم شدة وجعه، وعزله عن الصلاة، وصلى بهم بنفسه.

= ص٢٧٢ وج٧ ص١٧٢ وكنز العمال ج٥ ص٦٥٤ و ٦٥٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج١ ص٣١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٥٧٦ والعثمانية ص٢٣٥ وراجع: عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج١ ص٢٠١ وبحار الأنوار ج٣١ ص٦٢١ وج٤٩ ص١٩٢ والغدير ج٨ ص٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٤ ص٣٤٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص٢٢ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٣٣ ومصباح الهداية في إثبات الولاية ص٢٢١.

وقد ناقشنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما ادعوه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي أمره بالصلاة، وقلنا: إن ذلك لا يمكن أن يتلاءم مع قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد عزله عن الصلاة.

وأثبتنا هناك فساد أقاويلهم المختلفة في ذلك، فلا حاجة إلى تكرار ذلك هنا، ولكننا نذكر هنا إلماحات يسيرة إلى ما له ارتباط مباشر بعلي «عليه السلام»، فنقول:

أولاً: إن الإستدلال على صحة خلافة أبي بكر، الذي نسبوه إلى علي «عليه السلام» كما تقدم لا يصح، فإن من يصلح لإمامة الجماعة في الصلاة قد لا يصلح لإمامة الأمة، ولا لقيادة الجيوش، ولا للقضاء بين الناس إلخ.

ثانياً: لا يشترط في إمامة الصلاة عند هؤلاء الناس العلم والشجاعة في الإمام.. ولا غير ذلك من الشرائط المعتبرة في إمامة الأمة، بل لا يشترطون فيها حتى التقوى والعدالة، فقد رووا عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: صلوا خلف كل بر وفاجر[1].

---

(١) راجع: سنن أبي داود كتاب الصلاة: الباب ٦٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج٤ ص٣٣١ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص٧٥ والمبسوط السرخسي ج١ ص٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج١ ص٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج١ ص١٥٦ والجوهر النقي للمارديني ج٤ ص١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج١ =

ثالثاً: إذا كان الوجع قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى صار يهجر، أو غلبه الوجع حتى أسقط كلامه عن الإعتبار، كما زعمه عمر، ووافقه عليه جماعة ممن هم معه، فلا قيمة لما يصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» في هذه الحال حسب قول عمر نفسه.

رابعاً: صرحت الروايات بأن أبا بكر قد عزل عن هذه الصلاة، ولا أقل من أن ذلك محتمل إحتمالاً قوياً، استناداً إلى الروايات الصحيحة فيه، فلا يصح الإستدلال بأمر بادر هو إليه، فعزله النبي «صلى الله عليه وآله» عنه.

خامساً: إنهم يذكرون أن علياً «عليه السلام» كان يقول: إن عائشة هي التي أمرت أباها أن يصلي بالناس، فقد قال أستاذ المعتزلي:

= ص٦١٠ وتلخيص الحبير ج٤ ص٣٣١ ونيل الأوطار ج١ ص٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج٥ ص٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص٥٤ والطرائف لابن طاووس ص٢٣٢ وعوالي اللآلي ج١ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٩ وعمدة القاري للعيني ج١١ ص٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج١ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج٢ ص٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٩٧ وكنز العمال ج٦ ص٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١٥٦.

«فلما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان علي «عليه السلام» حينئذٍ بوصوله إلى الأمر ـ إن حدث برسول الله «صلى الله عليه وآله» حدث ـ أوثق. وتغلب على ظنه: أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدٌّ منازعته عليها..

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة ـ بإرسالها إليه، وإعلامه بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يموت ـ ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف.

فنسب علي «عليه السلام» إلى عائشة: أنها أمرت بلالاً مولى أبيها ـ حسب زعمهم ـ أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله ـ كما روي ـ قال: ليصل بهم أحدهم، ولم يعين. وكانت صلاة الصبح؛ فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في آخر رمق، يتهادى بين علي والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب ـ كما ورد في الخبر ـ ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى.

فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة.

ولم يحملوا خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن.. فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي «عليه السلام» على أنها ابتدأت منها.

وكان علي «عليه السلام» يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول:

إنه لم يقل «صلى الله عليه وآله»: إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه، وصرفه عن المحراب، فلم يجْدِ ذلك ولا أثّر. مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر، ويمهد له قاعدة الأمر، وتقرر حاله في نفوس الناس، ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار..

فقلت له «رحمه الله»: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباها للصلاة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعينه؟!

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن علياً كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه. كان حاضراً، ولم أكن حاضراً.. الخ»(١).

ونقول:

ونلاحظ: أن الفقرة الأخيرة أظهرت: أن المعتزلي فاجأ أستاذه اللمعاني بسؤاله، وربما يكون قد أخافه، فاضطر إلى أن يميز نفسه عن علي «عليه السلام» في هذا الأمر، مع إلماحه إلى أن علياً «عليه السلام» هو الذي يعيش الحدث، ويعرف تفاصيله، فقد كان علي حاضراً، ولم يكن اللمعاني حاضراً!!

ونحن تكفينا شهادة علي «عليه السلام» حول هذا الأمر، فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص١٩٦ ـ ١٩٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦١٩.

كيفما دار» أو نحو ذلك[(١)].

سادساً: إن علياً «عليه السلام» لم يزل يعلن سخطه وإدانته لأبي بكر في اغتصابه الخلافة منه بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله». فكيف يستدل لصحة خلافة أبي بكر، ثم ينكر عليه أخذها منه؟!

سابعاً: بالنسبة لمناداة أبي بكر في الناس ليقيله الناس البيعة نقول: إن فيه مغالطة ظاهرة، فإن المطلوب هو أن يقيلهم هو بيعتهم له، وليس العكس.

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٤ والجامع الصحيح للترمذي ج٣ ص١٦٦ وكنوز الحقائق للمناوي ص٦٥ و ٧٠ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وجامع الأصول ج٩ ص٤٢٠ وراجع: كشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ ـ ١٤٦ والجمل ص٣٦ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع نزل الأبرار ص٥٦ وكنز العمال ج٦ ص١٥٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٩٧ وج١٨ ص٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤٩.

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ــ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: علم.. وقضاء..

الفصل الثالث: بذل علي عليه السلام والإمامة..

الفصل الثامن: حديث الطير..

الفصل التاسع: من أحاديث الإمامة..

الفصل العاشر: أحقاد.. وآثار..

الباب الثالث عشر: المرض.. والوفاة..

الفصل الأول: وصايا النبي صلى الله عليه وآله في مرض الوفاة..

الفصل الثاني: جيش أسامة والكتاب الذي لم يكتب..

الفهارس: